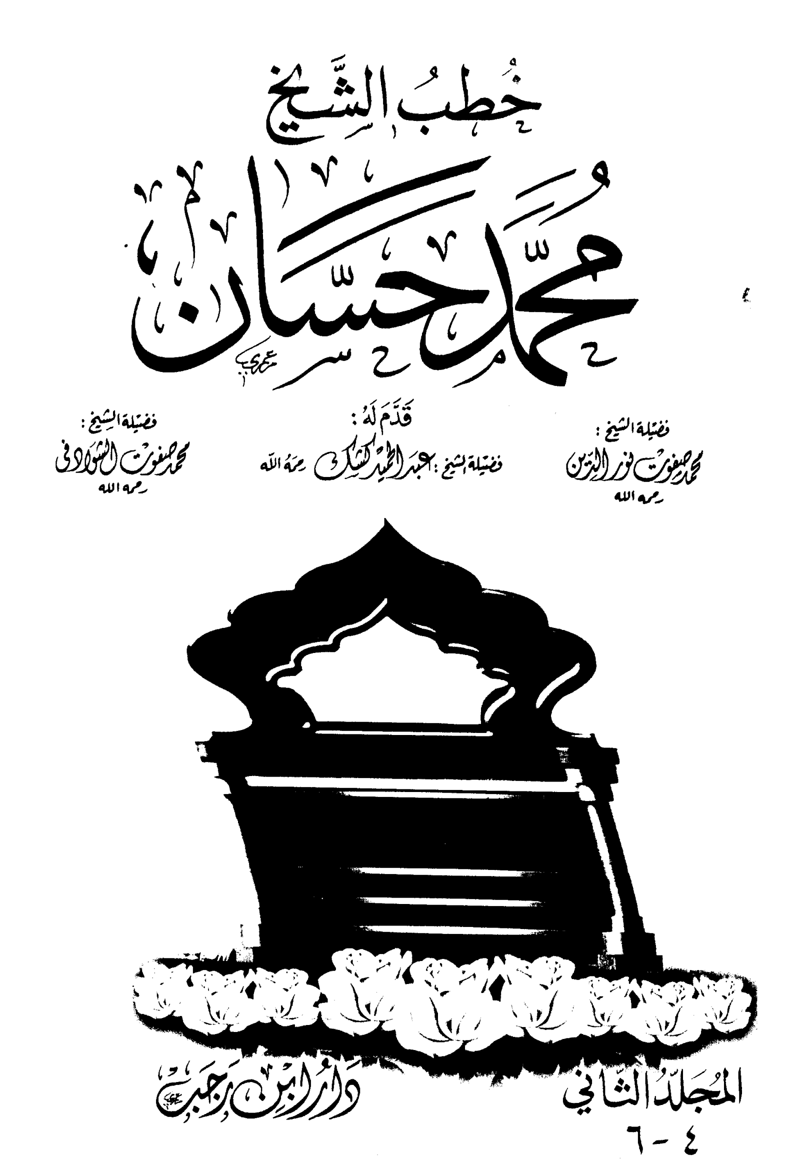

خطب الشيخ
محمد حسان
قدم له :
فضيلة الشيخ :
محمد صفوت نور الدين
رحمه الله
فضيلة الشيخ : عبد الحميد كشك رحمه الله
فضيلة الشيخ :
محمد صفوت الشوادفي
رحمه الله
المجلد الثاني
٤ - ٦
دار ابن رجب



خُطَبُ الشَّيْخ

مُحَمَّد حَسَّان

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع : ٧٦٢٦ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولي : 6 -057-390-977

دار ابن رجب طبع . نشر . توزيع

فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٢٣٦٨٠٠٢
المنصورة : شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨



الجزء الرابع

دار ابن رجب



يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى(*):

« ولقد جلستُ يومًا فرأيتُ حَولي أكثَر من عشرة آلاف، ما فيهم إلاَّ مَنْ قد رَقَّ قلبُه، أو دَمَعتْ عينُه، فَقُلتُ لنَفْسي كَيفَ بك إنْ نَجَوْا وهَلَكْت؟!

فَصِحْتُ بلسان وَجْدي: إلَهي وَسَيِّدي إنْ قَضَيْتَ عَليَّ بالعذاب غدًا فلا تُعلمهُم بعَذابي، صيانةً لكَرمِك لا لأجْلي، لَئَلا يَقُولوا: عَذَّبَ مَنْ دَلَّ عَلَيْه» .

(*) صيدُ الخاطر ص ١٨٦ طبعة دار ابن رجب.



مقدمة الشيخ محمد حسان

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد : فإن الكلمة مهما كانت مؤثرة ، فإنها لا تعطي مدلولها الحق إلا لمن أصغى لها سمعه ، وفتح لها قلبه ، وسأل الله أن يلهمه رشده ، ويأخذ بيده إلى الحق .

فالقرآن الكريم الذي استطاع به المصطفى ﷺ أن يربي جيلًا ، دمدم على العالم القديم كله بصولجانه وجبروته ، وأذل الأكاسرة ، وأهان القياصرة ، وأقام للإسلام دولة من فتات متناثر – وسط صحراء تموج بالكفر موجا – فإذا هي بناء شامخ لا يطاوله بناء !!

هذا القرآن بآياته وكلماته لازال بين يدي المسلمين يتلى ليل نهار .. لم تحذف منه آية أو تبدل فيه كلمة أو يسقط منه حرف .. لأن الذي تكفل بحفظه هو الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[الحجر: ٩]

ومع ذلك فإن واقع المسلمين الآن لا يخفى على أحد .. من ذل وهوان وضياع وجهل .. وذلك لأن الأمة – إلا من رحم ربك – قد أعرضت عن كلام الله ورسوله ﷺ !! .

وإني لأرجو الله جَلَّ وَعَلَا أن تعي أمتي سر أزمتها وذلها ..

فالمنهج الذي ارتقى بالجماعة المسلمة الأولى من درك الشقاء وسفح الجاهلية السحيق .. هو المنهج ذاته الذي سيرتقي بأمتي على الدرج الصاعد حتى يصل بها إلى الحق الذي من أجله خلقت وبه أمرت .. وما عليها إلا أن تفتح القلب ، وتسمع من جديد لله ورسوله ﷺ.. وأن تردد مرة أخرى مع السابقين الأولين الصادقين : ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

[البقرة : ٢٨٥]

أخي الكريم :

هذا هو **الجزء الرابع** من الخطب بين يديك ، وهذه كلمات لم تكتب في يوم وليلة ولم تولد حديثا ، وإنما التمعت في صدري وغلت في دمي مع كل حدث أليم مفجع يصيب أمتنا الجريحة .

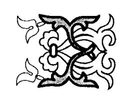
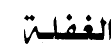
فانطلقت بها من منبر لآخر .. متضرعا إلى الله تعالى أن يزيل بها الغشاوة عن أبصار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .. وأن يجعلها خالصة لوجهه .. وأن ينفعني وإخواني وأخواتي بها إنه ولي ذلك ومولاه ... وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وكتبه

أبو أحمد محمد بن حسان

المنصورة - في الثالث عشر من شهر

ربيع الآخر لعام ١٤١٨هـ


الغفلة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله أدى الأمانة وبلّغ الرسالة ونصح للأمة فكشف الله به الغمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيًّا عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته، وصلِّ اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد، فحياكم الله جميعًا أيها الآباء الفضلاء، وأيها الإخوة الأحباب الكرام الأعزاء وطبتم جميعًا وطاب ممشاكم وتبوأتم جميعًا من الجنة منزلاً وأسأل الله العظيم الكريم جل وعلا الذي جمعنا وإياكم في هذا البيت المبارك على طاعته أن يجمعني وإياكم في الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

«الغفلة»

هذا هو عنوان لقائنا مع حضراتكم في هذا اليوم الكريم المبارك وكعادتنا فسوف ينتظم حديثنا مع حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية:

أولاً: التهالك على الدنيا والغفلة عن الآخرة.

ثانياً: الاستخفاف بأوامر الله ورسوله ﷺ.

ثالثاً: الغفلة عن الغاية.

وأخيراً: ففروا إلى الله.

فأعرنى سمعك وقلبك أيها الحبيب والله أسأل أن يجعلني وإياك ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب.

أولاً: التهالك على الدنيا والغفلة عن الآخرة:

قال تعالى: ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ**﴾ [الأنبياء:١] كلمات تهز الغافلين هزًّا ... الحساب يقترب وهم في غفلة، والآيات تتلى، ولكنهم معرضون، لأنهم في اللهو والباطل والملذات والمتاع الزائل غارقون.

«لاهية قلوبهم» والقلب الغافل اللاهي عن الله صاحبه في ضنك وشقاء، ولو كان في نعيم ورخاء، فالشقاء ثمرة الضلال، والضنك ثمرة الإعراض قال تعالى: ﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ**﴾ [طه:١٢٣-١٢٧]

فالشقاء ثمرة الضلال، والضنك ثمرة الإعراض

أيها الأحبة: أليس عجيباً أن يعرض المسلم عن الله؟!

أيها الأحبة: أليس عجيبًا أن يقضي المسلم جُلَّ عمره في غفلة عن مولاه ؟!

لا تزيده نعَم الله عليه إلا إعراضًا وعصيانًا وضلالاً، ولا يزيده حلم الله عليه وستر الله عليه إلا تماديًا واستخفافًا وإعراضًا فمن الناس من يغتر بنعم الله عليه، ويظن أن الله عز وجل ما أنعم عليه بهذه النعم إلا لأن الله يحبه، ولولا أنه أهل لهذه النعم ما أنعم الله بها عليه، مع أنه مقيم على المعاصي، مقصر في الطاعات، ونسي هذا المسكين أن هذا استدراج له من رب العالمين، كما قال سيد النبيين ﷺ في حديثه الصحيح الذي رواه أحمد والبيهقي في الشعب وغيرهما وحسنه الحافظ العراقي وصححه الشيخ الألباني من حديث عقبة بن عامر أنه ﷺ قال:

« **إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ تَعَالى يُعطي العَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلى مَعَاصِيه، فَاعْلَم؛ فإنَّمَا ذَلكَ مِنْهُ اسْتدراجٌ** »[1].

ثم قرأ المصطفى ﷺ قول الله جل وعلا: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥]

ومن الناس من يغتر بحلم الله عليه، يظلم خلق الله وعباد الله، يصد الناس عن سبيل الله وعن دعوة الله، يرتكب المعاصي والذنوب، ولكن الله عز وجل يمهله فلا يأخذه بذنوبه، لا يؤاخذه بجرمه فيظن هذا المسكين أن المعصية حقيرة، وأن الذنب هين ولو كان الذنب عظيمًا عند الله لأخذه الله بهذا الذنب في الدنيا ولَعَجَّلَ له العقوبة ونسي هذا

(١) رواه أحمد والطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٤١٤) وهو في صحيح الجامع حديث رقم (٥٦١).

المسكين أن الله جل وعلا يمهل ولا يهمل كما في الصحيحين من حديث أبي موسى أن النبي ﷺ قال: «**إنَّ اللَّهَ تَعَالى يُمْلي للظَّالم حتَّى إذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلته**» وقرأَ المصْطَفى ﷺ قولَ الله جلَّ وعَلاَ: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** ﴾ [هود:١٠٢][1].

ومن الناس من ينصرف بكلِّيته إلى الدنيا، ويكرس لها كل وقته وجهده وفكره... بل ويجعلها كل همه ويتفانى في السعي لها ولو على حساب الآخرة!!

ومع ذلك فقد يقولون: إنا نحسن الظن بالله، ولو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل. وهذا الصنف من الناس لا يعرف لله طريقًا... لا يعرف لله سبيلاً، إذا ذُكِّر ما تذكر...!! وإذا نُصِحَ ما انتصح!! وإذا دَلَّهُ صادق أمين على طريق الله سَخِرَ به!! واستهزأ منه وكأن الأمر لا يعنيه!!

فكل همه الدنيا... كل غايته الدنيا... انصرف بكل طاقة إلى الحياة، فهي معبوده الذي يتوجه إليه بخالص العمل، وبخالص العبادة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

مع أنه لن يحصل من الدنيا إلا ما قدره الملك له قال المصطفى ﷺ كما في الحديث الذي رواه أحمد وابن حبان والترمذي وغيرهم وصححه الألباني بشواهده في الصحيحة من حديث أنس ومن حديث ابن عباس

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٢٦٧) في التفسير، باب قوله: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾، ومسلم رقم (٢٥٨٣) في البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، والترمذي رقم (٣١٠٩) في التفسير باب ومن سورة هود، وأخرجه ابن ماجه رقم (٤٠١٨) في الفتن باب العقوبات .

ومن حديث زيد بن ثابت وغيرهم أن النبي ﷺ قال: « **مَنْ كَانت الدُّنْيَا هَمَّه جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَه بَينَ عَيْنَيه وفرّقَ اللَّهُ عَلَيْه شَمْلَه، ولَمْ يَأْته منَ الدُّنْيَا إلاَّ ما قُدِّرَ لَهُ وَمَنْ كَانَت الآخرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غنَاهُ في قَلْبه وَجَمَعَ اللَّهُ عَلَيْه شَمْلَه وأتتْه الدُّنْيَا وَهي رَاغمَةٌ** »[1] .

ألم يقل الحق جل وعلا: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ**﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

ألم يقل الحق جل وعلا: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾ [الأعراف: ٩٦]

ألم يقل الحق جل وعلا: ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾ [نوح: ١٠، ١٣]

ما لكم لا توحدون الله حق توحيده؟! ما لكم لا تعبدون الله حق عبادته؟! ما لكم لا تعرفون الله حق معرفته؟! ما لكم لا تجلّون الله حق جلاله ؟!!

وقد حذر الله جل وعلا من التهالك على الدنيا والغفلة عن الآخرة تحذيراً شديداً فقال سبحانه: ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ**﴾ [التكاثر: ١، ٢]

شغلتكم الدنيا وصرفكم نعيمها الزائل فلم تنتبهوا إلا وأنتم في المقابر قد عاينتم الحقائق كلها .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٤٦٧) في صفة القيامة، باب رقم ٣١ وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٩٤٩) .

وفي التعبير القرآني بكلمة زرتم إشارة لطيفة إلى أن الميت في قبره ما هو إلا زائر وحتماً ستنتهي مدة هذه الزيارة ولو طالت ليخرج هذا الزائر من القبر ليرجع مرة أخرى إلى الله جل وعلا ليقف بين يديه ليرى ما قدمت يداه في كتاب عند ربي لا يضل ربي ولاينسى .

قال تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٥-٤٩]

تذَكَّرْ وُقُوفَكَ يَوْمَ العَرْضِ عُريانا ... مُسْتَوحِشًا قلقَ الأَحْشَاء حَيْرَانَا
والنَّارُ تَلْهبُ مِنْ غَيظ ومِنْ حنقٍ ... عَلَى العُصَاةِ ورب العَرْشِ غَضْبَانَا
اقرأ كِتَابَكَ يَا عَبْدُ على مَهَلٍ ... فَهَلْ تَرَى حَرْفًا غَيْرَ ما كانَا
فَلَمَّا قَرَأتَ وَلَمْ تُنكِرْ قِرَاءَتَهُ ... وأقْرَرْتَ إقْرَارَ مَنْ عَرفَ الأَشْيَاءَ عرْفَانَا
نَادَى الجليلُ خُذُوهُ يَا مَلاَئكَتي ... وامْضُوا بعبدٍ عَصَى للنَّارِ عَطْشَانَا
المشْرِكُونَ غدًا في النَّارِ يَلْتَهِبُوا ... والموحِّدُون بدارِ الخُلْدِ سُكَّانَا

﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ⑦ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧، ٨] هل سمعت هذه الآية؟ هذا قرآن يتلى!

من رضي بالدنيا واطمأن بها ولها، محالٌ أن يرجو لقاء الله... محالٌ أن يفكر في لقاء الله... لماذا ؟!

لأنه رضي بالحياة الدنيا واطمأن بها ... عمَّرَ دنياه وخرَّب أخراه ... فهو يكره أن ينتقل من العمران إلى الخراب.

هل يقبل أحد منا أن يترك العمارة والعمران لينتقل ليعيش في الخراب والصحراء؟ محال !! عمرنا الدنيا وخربنا الآخرة ولذا فنحن نخشى الموت ونكره الموت لأننا نكره أن ننتقل من العمران إلى الخراب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ⑦ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧، ٨]

يشرب الإنسان ويعب من كئوس الدنيا كما يشتهي فيفرط في أمور الآخرة، ويتغافل عن كل شيء يذكره بها .. لا يفكر في الآخرة.. بل إذا سمع آية تتلى خاف وأغلق أذنيه!، إذا سمع شريط محاضرة أو موعظة خاف وأغلق الكاسيت !

يخشى أن يفتضح أمام نفسه، يخشى أن تعرى نفسه أمام نفسه، فهو لا يريد أن يسمع لله موعظة، ولا يريد أن يسمع لله أمرًا، ولا يريد أن يجتنب لله نهيًا ولا يريد أن يقف لله عز وجل عند حد !!

فيا أيها الغافلون، بل ويا أيها الطائعون: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ

الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]

هذا كلام ربنا جل وعلا وقد بين لنا المصطفى ﷺ هذه الحقائق بعد ما جلاها وبينها لنا القرآن فالقرآن يؤكد أن من غفل عن الله ومن نسي الله أنساه الله نفسه .

قال جل وعلا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [الحشر: ١٨-٢٠]

وقال تعالى: ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة: ٦٧]

﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٤]

نسأل الله أن يستر علينا وعليكم في الدنيا والآخرة .

الرسول ﷺ يؤكد لنا هذه المعاني أيها الأحباب، ويبين لنا حقيقة الدنيا؛ حتى لا نتخذ الدنيا غاية، يقول المصطفى ﷺ كما في الصحيحين من حديث عمر بن عوف الأنصاري :

«مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ ولَكِنْ أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»(١)

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٢٠٨) في الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، وفي الجهاد باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب، وفي المغازي باب شهود الملائكة بدرًا، وأخرجه مسلم رقم (٢٩٦١) في الرقاق، والترمذي رقم (٢٤٦٤) في صفة القيامة، باب خوف الرسول ﷺ على أمته أن تبسط لهم الدنيا .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: « **إنَّ الدُّنْيَا خَضِرةٌ حُلْوَةٌ وإنَّ اللَّهَ مُسْتَخلفُكُم فيْهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا واتَّقُوا النِّسَاءَ** »(١)

وفي سنن الترمذي أن النبي ﷺ قال: « **لَوْ كَانَت الدُّنيَا تَعْدِلُ عنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضة مَا سَقَى كَافرًا منها شربَةَ مَاء** »(٢).

وفي الصحيح من حديث أنس يقول رسول الله ﷺ :

« **يُؤتَى بأَنْعَم أَهْل الدُّنْيَا مِنْ أهل النَّار يَوْمَ القيَامَة فَيُصْبَغ في النَّار صبْغَةً، ويُقَالُ لَهُ: هَلْ رأيْتَ نَعيمًا قط؟ فَيقولُ: لا وَعزَّتكَ مَا رأَيْتُ نعيمًا قط ويُؤتَى بأَبْأَس أَهْل الدُّنْيَا منْ أَهْل الجنَّة فيُصْبَغُ في الجنَّة فَيُقَالُ لَهُ هَلْ رَأَيْتَ بؤسًا قطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَعزَّتكَ مَا رَأَيتُ بُؤْسًا قَطُّ** »(٣)

الله أكبر - أنساه نعيم الجنة كل شقاء والآخر أنساه العذاب والجحيم كل نعيم.

﴿ **يَوْمَ يَأْت لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلاَّ بإذْنه فَمنْهُمْ شَقيٌّ وَسَعيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذينَ شَقُوا فَفي النَّار لَهُمْ فيهَا زَفيرٌ وَشَهيقٌ (١٠٦) خَالدينَ فيهَا مَا دَامَت السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذينَ سُعدُوا فَفي الْجَنَّة خَالدينَ فيهَا مَا دَامَت السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ** ﴾ [هود: ١٠٥-١٠٨]

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٧٤٢) في الذكر باب أكثر أهل الجنة الفقراء، والترمذي رقم (٢١٩٢) في جملة حديث في الفتن ورواه ابن ماجه رقم (٤٠٠٠) في الفتن باب فتنة النساء.

(٢) أخرجه الترمذي رقم (٢٣٢١) في الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل، ورواه ابن ماجه رقم (٤١١٠) في الزهد، باب مثل الدنيا وهو حديث حسن.

(٣) أخرجه مسلم رقم (٢٨٠٧) في المنافقين، باب صبغ أشدهم بؤسًا في الجنة.

اللهم اجعلنا من أهل السعادة ولا تجعلنا بفضلك ورحمتك لا بأعمالنا من أهل الشقاوة إنك ولي ذلك والقادر عليه يا رب العالمين.

أيها الحبيب الكريم، من أجل ذلك كان يوصي النبي ﷺ أصحابه والمؤمنين الصادقين من بعدهم بهذه الوصية فيقول لابن عمر رضي الله عنهما والحديث في البخاري : **«يَا ابْنَ عُمرَ كُنْ في الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيْبٌ أو عَابرَ سَبْيل»**(*) وكان ابن عمر يقول **«إذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتظر الصبَّاحَ، وَإذَا أَصْبحتَ فَلاَ تَنْتظرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لمَرضِكَ، ومِنْ حَيَاتكَ لمَوْتكَ»**[1].

إن للَّه عِبَاداً فُطَنَا	**طلّقوا الدُّنْيَا وخَافُوا الفِتَنَا**
نَظَرُوا فِيهَا فَلمَّا عَلموا	**أنَّهَا لَيْسَتْ لحيٍّ وطنا**
جَعَلُوها لُجَّةً واتَّخَذُوا	**صَالحَ الأَعْمَال فِيْهَا سُفُنَا**

أيها الحبيب الكريم إنني أرجو ألا تفهم هذه الآيات وهذه الأحاديث فهمًا خاطئًا فنحن لا نريد بذلك أن ينصرف الناس عن الدنيا كلا بل إن الإسلام دين عمل، ودين جدٍّ ودين بطولة، وكذلك لا نريد أيضاً أن ينغمس الناس في الدنيا على حساب الآخرة... لا إفراطًا ولا تفريطًا بل إن الإسلام دين ودنيا .

(*) قال الطيبي: ليست (أو) للشك، بل للتخيير والإباحة، والأحسن أن تكون بمعنى «بل» فشبه الناسك السالك بالغريب الذي ليس له مسكن يؤويه، ولا مسكن يسكنه، ثم ترقى وأضرب عنه إلى عابر السبيل القاصد لبلد شاسع وبينهما أودية مردية، ومفاوز مهلكة، وقاطع طريق، فإن من شأنه أن لا يقيم لحظة، ولا يسكن لمحة .

(١) رواه البخاري (١١/١٩٩، ٢٠٠) في الرقاق، باب قول النبي ﷺ « كن في الدنيا كأنك غريب » والترمذي رقم (٢٣٣٤) في الزهد، باب ما جاء في قصر الأمل.

فهـذا رسول الله ﷺ يقول في الحديث الذي رواه مـسلم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ:

« اللَّهُمَّ أصْلِحْ لِي دِيني الَّذي هُو عِصْمَةُ أَمْرِي، وأَصلحْ لِي دُنْيايَ الَّتي فيها مَعَاشي، وأَصْلِحْ لي آخِرَتي الَّتي فِيهَا مَعَادي، واجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادةً لي في كُلِّ خَيْرٍ واجْعَلِ الموتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»[1].

انظر إلى هذا الجمع البديع بين الدين والدنيا فـالدنيا مزرعة للآخرة، وكل ذمٍّ واردٍ في القرآن والسنة في حق الدنيـا لا ينصب أبدًا على زمانها أو مكانها أو ما فيـها من خيرات ونعيم، فزمـانها الذي هو الليل والنهار قد جعله الله خلفةً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا .

ومكانها الذي هو الأرض قـد جعلها الله عـز وجل مسكنًا لبني آدم وما فيـها من خيرات ونعـيم من سماء وأشجار وأنهـار وكنوز وبحار إنما هي نِعَم الله عز وجل على عباده

إذن ما هو الذم الوارد في حق الدنيا؟ ما تفسيره ؟ وما تفصيله ؟

الجواب أيها الأحباب:

أن الذم الوارد في حق الدنيا في القرآن والسنة كما ذَكرت ببعضه آنفاً ينصب على كل مـا يُرتكب فيـها من مـعاص لا ترضي الله جـل وعلا فالعاقل اللبيب هو الذي يعرف حقيقة الدنيا ويجعل الدنيا مزرعة للآخرة

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٧٢٠) في الذكر والدعاء، باب التعـوذ من شرِّ ما عُمِلَ، ورواه أيضًا ابن ماجه من حديث ابن عمر والبزار والطبراني في الصغير من حديث أبي هريرة وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب.

كما قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ :

الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار غنى لمن تزود عنها، ودار نعيم لمن فهم عنها فهي مهبط وحي الله وفيها مصلى أنبيائه وهي متجر أوليائه ربحوا فيها الرحمة وكسبوا فيها الجنة .

لابد من معرفة هذه الحقيقة لأن كثيرًا من إخواننا حينما يتحدثون عن الدنيا يُشعرون كل صاحب نعمة في الدنيا أنه قد سقط وذل إلى الهاوية! هذا كلام غير دقيق، إننا نركز الآن على جزئية خطيرة حذر منها الله جل وعلا في القرآن ألا وهي **﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾**

[يونس: ٧]

غفل عن الآخرة .. نسي القبر، ونسي الموت، ونسي العرض على الله، ونسي الوقوف بين يدي الله، ونسي الميزان، ونسي الصحف، ونسي الجنة والنار.

فتراه هائمًا على وجهه يأكل ويتمتع ويشرب وهو ينتسب إلى الإسلام، ولكنه لا يمتثل للإسلام أمرًا ولم يجتنب للإسلام نهيًا ولم يقف للإسلام عند حد .

قال الله جل وعلا: **﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾** [الأعراف: ١٧٩]

هذا هو الصنف الذي وصفه الله عز وجل بأنه أضل من الأنعام بنص القرآن **﴿أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلّ﴾** له عين ولكنه لا يرى بها،

له أذن ولكنه لا يسمع بها، له قلب ولكنه لا يفقـه به، فهو لا ينظر بعينه إلا إلى الحرام ولا يسمع بأذنه إلا الحرام، ولا يفكر ولا يفقه بقلبه إلا عن غير الرحيم الرحمن، وعن غير سيد ولد عدنان ﷺ .

يا مسلمون! كم من الناس الآن ينتسب إلى الإسلام وهو في غفلة، يكاد القلب أن يتـمزق ويتقطع لا يكاد يعـرف شيئًا عن الدين، لا يكاد ينتسب إلى الدين أبدًا.

إن ذكّر ما تذكر !! بل ربما يهزأ بك أو ربما يسخر منك .

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ [المطففين: ٢٩، ٣١]

فـأذكّر نفـسي وإياكم أيها الأخـيـار الكرام بأن المال ظل زائل، وبأن المنصب إلى زوال، فالكرسـي الذي تجلس عليه الآن أيها الحـبيب الكريم جلس عليه قـبلك المئات.. بل الألوف.. بل الملايين.. وسيـجلس عليه من بعدك الألوف بل الملايين!! فأسـتحلفك بالله أن يقودك هذا الكرسي إلى الجنة، إياك.. إياك أن يقـودك هذا الكرسي إلى النار، فـإن الكرسي زائل وإن المنصب فانٍ، وإن المال ذاهب.

المال ظل زائل وعارية مسـترجعة، والدنيـا مهما طالت فهي قـصيرة ومهما عظمت فهي حقيرة؛ لأن الليل مهما طال لابد من طلوع الفجر، وأن العمر مهما طال لابد من دخول القـبر، فاتخذ الدنيا مزرعة للآخرة، ولا تنسي الآخرة أبداً .

مَـثِّلْ لِنفْـسِكَ أيُّهَـا المغْـرُورُ
يومَ القـيـامـةِ والسـمـاءُ تمورُ

إذا كُـوِّرَتْ شَمسُ النَّهَـارِ وأُدنيتْ
حتَّـى عَلَى رأسِ العِبـادِ تسـيـرُ

وإذا النجـومُ تَسَـاقَـطَتْ وتناثَرَتْ
وتَبَـدَّلَتْ بَعْـدَ الضِّـيـاءِ كُـدورُ

وإذا الجِبـالُ تَقَلَّعَـتْ بأصُـولِهـا
فـرأَيْتـهَـا مِـثْلَ السحـابِ تسيـرُ

وإذا الوحوشُ لَدَى القيامةِ حُشرَت
وتقـول للأمـلاك أيـن نسـيـر

وإذا العِـشَـارُ تَعَطَّـلَتْ وَتَخَـرَّبَتْ
خلَتِ الدِّيَارُ فَـمَـا بِهَـا مَـعْـمُـورْ

وَإِذَا الجَليلُ طَوَى السَّـمَاءَ بِيَمِـيْنه
طَيَّ السِّـجِـلِّ كِـتَـابَـهُ المنشـورُ

وإذا الصَّـحَائفُ نُشِّـرتْ وَتَطَايَرَتْ
وَتَهَـتَّكَتْ لِـلْعَـالَمينَ سُـتُـورُ

وإذا الجَنـينُ بِأمِّـهِ مُـتَـعَـلِّقٌ
يَخْـشى القِـصَـاصَ وَقَلْبُهُ مَـذْعُـورُ

هَذَا بِـلاَ ذنبٍ يَخَـافُ جنـايةً
كَـيْفَ المُصِـرُّ عَلَى الـذُّنُوبِ دُهُورْ

وإذا الجَـحِـيمُ تَسَعَّـرَتْ نِيْـرَانُهَـا
ولَهَـا عَلَـى أَهْلِ الذُّنُوبِ زَفِـيْـرُ

وإذا الجِنَانُ تَزَخْـرفتْ وَتَطَيَّـبَتْ
لِفَـتًـى عَلَى طُولِ البَـلاءِ صَـبُـورُ

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ

وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٦٨ ، ٦٩]

أيها الأحباب الكرام:

أذكر نفسي وإياكم وأسأل الله جل وعلا أن يجعلنا جميعًا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب .

وأكتفي بهذا القدر لأعَرِّج سريعًا على بقية العناصر في كلمات موجزة وأسأل الله أن يتقبل مني وإياكم صالح الأعمال، وأقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وكلِّ من اهتدى بهديه واستن بسنته، واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد فيا أيها الأحبة الكرام :

ثانيًا :«الاستخفاف بأوامر الله ورسوله ﷺ»:

من أبشع صور الـغفلة أن يستـخف رجل ينتسب للإسـلام أو امرأة تنتسب للإسلام بـأمر الله ورسوله ﷺ ، فإذا قلت له: إن الـله عز وجل يأمرك بـالصلاة في وقتـها .. الله عـز وجل يريد أن تخلص له العـبادة كاملة .. الله عز وجل يأمرك أن تذعن لشرعه .. الله عز وجل يأمرك يا أختاه بالحجاب الشرعي رأيته يستخف بأمر الله، بل يرد عليك قائلاً: إني مشغول لا أجد عندى وقتًا !!

هذا واقع يعرفه كـثير من المسلمين، يسمع الأذان وهـو في مكتبه أو في وظيفته أو في تجارته وكأنه ما سمع شيئًا وكأن الأمر لا يعنيه .

يا أختاه! الحجاب فرض .. فتقول لك: أريد أن أقتنع أولاً!!

استـخفاف بأوامر الله عـز وجل وأوامر المصطفى ﷺ ورب العـزة جل وعلا يقول لحبيبه المصطفى:

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾ [الجاثية:١٨]

أَمرٌ من الله تعـالى للمصطفى ﷺ وإلى المؤمنين الصـادقين ﴿ ثُـمَّ

جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ .

واختذال الشريعة في الحدود أمرٌ ينبغي أن يترفع عنه كل من يحترم عقله ونفسه، فما الحدود إلا جزء من المعاملات، وما المعاملات إلا قسم من أقسام الشريعة بمفهومها الشامل؛ لأننا إذا ما تحدثنا عن الشريعة يرد علينا على الفور :تريدون أن تقطعوا الأيدي ؟! تريدون أن ترجموا الزناة ؟! تريدون كذا وكذا ؟!! تتعطشون لشرب الدماء وسفك الدماء؟!

أبدًا ... إطلاقًا، بل لابد أن نَعِيَ أن إقامة الحدود لابد لها من ضوابط، سفهٌ أن نقطع يد سارق وهو لا يجد لقمة وتَعَرَّضَ للتلف والهلاك ...

لابد أن نفهم الدين... الإسلام دين عدل وإنصاف ... الإسلام دين يصلح للبشرية في كل زمان ومكان، لا أقول صالح لكل زمان ومكان، بل يصلح كل زمان ومكان به، لأنه دين الله .

الإنسان الذي يُشَرِّعْ لبني جنسه إنسانٌ محكوم من ناحية الزمان والمكان، محكوم بضعفه.. محكوم بفقره.. محكوم بشهواته.. محكوم بهواه ... فإن رأى الإنسان في مكان لن يرى ما في غيره.. وإن عاش الإنسان زمانًا لن يعيش زمانًا آخر، ومن ثم يأتي تشريعه قاصرًا ضيقًا أما تشريع الحق فهو تشريع الخالق الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير.

لماذا لا نذهب لمنهج خالق الإنسان لنعلم ما يسعده وما يشقيه ؟!

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨]

فالمؤمن الصادق يسمع هذا الأمر ويمتثل وشعاره «سمعنا وأطعنا».

أمرك بالتوحيد: سمعنا وأطعنا، أمرك بالصلاة: سمعنا وأطعنا

أمرك يا أختاه بالحجاب: سمعنا وأطعنا، أمرك بالإنفاق في سبيل الله: سمعنا وأطعنا كل أوامر الله، وكل نواهي الله، وكل حدود الله، المؤمن الصادق يقف أمامها بالسمع والطاعة :

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور: ٥١-٥٢]

قال تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴾** [الحجرات: ١-٢]

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله -: إذا كان مجرد رفع الصوت على صوت النبي ﷺ يُحْبِطُ العمل فكيف بمن قَدَّم عقله ورأيه وسياسته على قول الله وقول رسول الله ﷺ ؟

تدبر هذا جيدًا ... بل أنا أقول : فكيف بمن رمى شريعة الله وسنة رسول الله ﷺ بالجمود والرجعية والقصور وعدم قدرتها وعدم مسايرتها لمدنية القرن العشرين ؟

رفع الصوت يحبط العمل ... فما بالك بمن يرمي شريعة الله وشريعة رسول الله ﷺ بالقصور والجمود والتخلف والرجعية وعدم قدرتها لمسايرة روح هذه المدنية ؟!

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء: ٦٠، ٦١]

فالذي يسمع ويطيع هو المؤمن والـذي يصد هو المنافق بنص القرآن أسأل الله أن يحفظني وإياكم من النفاق وأن يجـعلني وإياكم جميعًا من المؤمنين الصادقين وأتضرع إليه أن يرد الأمة إلى شريعته ردًّا جميلاً إنه ولي ذلك والقادر عليه .

ثالثا : الغفلة عن الغاية :

أيها الوالد الكريم. . أيها الأخ الحبيـب. . أيها الابن العزيز. . أيتها الأخت الفاضلة:

إننا مخلوقـون لغاية لابد أن نعيـها وأن نعيش لهـا من أجلها وألا نتغافل عنها أبدًا ما هي؟

قال تعـالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]

هذه هي الغاية التي من أجلها خلقت ورد في الأثر الإلهي عن رب العزة أنه قال : « ...يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُم وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُم كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا.. يا عِبَادِي لوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُم،وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُم كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قلب رجُلٍ واحد مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذلكَ مِنْ مُلْكِي شيئًا، ،يَا عِبَادي لو أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ

وَجِنَّكُم قَامُوا في صَعِيد واحد، فسألُوني فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَان مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقُصَ ذَلكَ ممَّا عندي إلاَّ كما يَنْقُصُ المخيطُ إذا أُدخل البحرَ، يَا عِبادي إِنَّما هي أَعْمَالُكُم أُحْصِيهَا لَكُم ثُمَّ أُوَفِّيكُم إِيَّاها فَمَنْ وَجَدَ خيْرًا فَلْيحمد اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إلاَّ نَفْسَهُ»[1]، وقال جلَّ وعلا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ فاعرف الغاية.

والعبادة لا تقتصر على الصلاة والزكاة والصيام والحج، بل إن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

وأخيرا : ففروا إلى الله :

والفرار نوعان: فرار السعداء وفرار الأشقياء

وفرار السعداء: هو الفرار إلى الله.

وفرار الأشقياء: هو الفرار من الله.

ومع ذلك فلن تفر منه أبداً فلا ملجأ منه إلا إليه، أين تذهبون ؟!

يَا نَفْسُ قَدْ أَزِفَ الرَّحِيْلُ ... وَأَظَلَّك الخَطْبُ الجليلُ

فَتَأَهَّبِي يَا نَفْسُ لا يَلْعَب ... بِك الأَمَلُ الطَوِيلُ

فَلَتَنزِلَنَّ بمنزِل ... يَنْسَى الخليلَ به الخليل

وَلَيَركَبَنَّ عَلَيْك فِيْهِ ... مِنَ الثَّرَى ثقل ثقيل

قُرِنَ الفَنَاءُ بِنَا جَمِيْعًا ... فَلاَ يَبْقَى العَزِيزُ وَلاَ الذليل

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٧٧) في البر والصلة، باب تحريم الظلم، والترمذي رقم (٢٤٩٧) في صفة القيامة، باب رقم (٤٩).

عد إلى الله أيها الحبـيب ... يا من أشركت. يا من عصيت!! يا من وقعت في كبائر الذنوب!! يا من شـربت الخمر!! يا من وقعت في عمل قوم لوط !! يا من ضيعت الصلاة .!! يا من ضيعت الزكاة... يا من عقـقت الوالدين!! يا من ارتكبت الكبائـر!! عد إلى الله وأطرق على بابه فمـحالٌ محالٌ أن تطرق الباب وأن يغلـق الباب في وجهك: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٥].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨]

اللهم اغفـر لنا ذنوبنا، وإسرافنـا في أمرنا، وثبت أقدامنـا وانصرنا على القوم الكافرين .

اللهم لا تدع لأحد منا في هذا الجمع المبارك ذنبًا إلا غفرته .

... ولا مريضًا إلا شـفيته، ولا دينا إلا قضـيته، ولا همًّـا إلا

فرَّجته، ولا ميتا لنا إلا رحمته، ولا عاصيًا بيننا إلا شرحت صدره وهديته، ولا طائعًا معنا إلا زدته وثبته.

اللهم لا تتخلَّ عنا بذنوبنا، اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم، لا إله لنا سواك فندعوه ولا رب لنا غيرك فنرجوه.

يا منقذ الغرقى.. ويا منجي الهلكى.. ويا سامع كل نجوى.. يا عظيم الإحسان.. يا دائم المعروف.

اللهم اغفر ذنبنا.. اللهم استر عيبنا.. اللهم فرج كربنا.. اللهم اكشف همنا.. اللهم أَزِل غمنا .

اللهم اختم بالصالحات أعمالنا، اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا وبلغنا مما يرضيك آمالنا..

اللهم اجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكِّها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا.

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين، وأعل بفضلك كلمة الحق والدين.

اللهم احمِ المسلمين الحفاة واكسُ المسلمين العراة، وأطعم المسلمين الجياع.

اللهم اجعلْ بلدنا مصر واحة الأمن والأمان، اللهم لا تحرم مصر

من الأمن والأمان.

اللهم اجعل مصر سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم ارفع عن مصر الغلاء والبلاء والوباء برحمتك يا أرحم الراحمين.

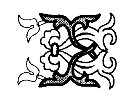
اللهم لا تحرم مصر من التوحيد والموحدين.

اللهم وفق ولاة الأمر إلى كل ما تحبه وترضاه برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم استرنا ولا تفضحنا، وأكرمنا ولا تهنا، وكن لنا ولا تكن علينا، وإن أردت بالناس فتنة فاقبضنا إليك غير خزايا ولا مفتونين، ولا مفرطين ولا مضيعين ولا مغيرين ولا مبدلين برحمتك يا أرحم الراحمين.

أيها الخيار الكرام:

هذا وما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من خطأ أو سهو أو نسيان فمني أنا ومن الشيطان والله ورسوله منه براء وأعوذ بالله أن أكون جسرًا تعبرون به إلى الجنة، ويُلقى به في جهنم، وأعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه وصلِّ الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وأقم الصلاة.

 **مقتضيات الحب الصادق** 

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾

[الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد :

فحيَّاكم الله جميعًا أيها الآباء الفضلاء وأيها الإخوة الأحباب الكرام الأعزاء، وطبتم جميعًا وطاب ممشاكم وتبوأتم جميعًا من الجنة منزلاً وأسأل الله العظيم الكريم جل وعلا الذي جمعنا وإياكم في هذا البيت المبارك على طاعته، أن يجمعني وإياكم في الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه . . .

أحبتي في الله: «**مقتضيات الحب الصادق**»

هذا هو عنوان لقائنا مع حضراتكم في هذا اليوم الكريم المبارك. . . وكعادتنا فسوف ينتظم حديثنا مع حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية :

أولاً: البراءة من الشرك .

ثانيًا: تحقيق التوحيد.

ثالثًا: تحكيم الشريعة .

رابعًا: الولاء والبراء .

خامسًا : سمع بلا تردد. وطاعة بلا انحراف.

وأخيرًا : حب يفوق حب النفس والمال والأبناء بلا غلو أو إطراء .

فأعيروني القلوب والأسماع فإن هذا الموضوع اليوم من الأهمية بمكان، لأننا نرى الأمة في هذه الأيام تحتفل بذكرى ميلاد المصطفى ﷺ وهي أمة لا تستحي إلا من رحم ربك جل وعلا!!

إذ أن الأمة الآن تدعي أنها تحتفل برسول الله ﷺ في الوقت الذي نحَّت فيه شريعته!!

فخذ مني أيها الحبيب المقتضيات التي إن حققتها وامتثلتها فأنت ممن أحب النبي ﷺ حبًّا صادقًا، تحشر مع النبي بالحبِّ الصادق، كما في

حديث أنس الُمخَرَّج في الصحيحين:

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله! متى الساعة؟ قال: «**وَمَاذَا أعْدَدْتَ لَهَا**» قال: ما أعددت لها كثير عمل إلا أنني أحب الله ورسوله، قال النبي ﷺ: « **المرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»(١).

يقول أنس: فما فرحنا بشيء كفرحنا بقول النبي ﷺ : « **المرءُ مَعَ مَنْ أحَبَّ**» ثم قال: وأنا أحب رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو الله أن أحشر معهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم .

أيها الحبيب الكريم: الحب الصادق له مقتضيات ... الحب الصادق له شروط .

مَنْ يَدَّعي حُبَّ النبيِّ ولَمْ يَفِدْ مِنْ هَدْيِه فَسَفَاهةٌ وهُراءُ
فَالحبُّ أَوَّلُ شَرطِه وَفُرُوضِه إنْ كَانَ صِدْقًا طاعةٌ ووفاءُ

قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾

[آل عمران: ٣١]

إن أردت أن يحبك الله جل وعلا، وأن يحبك رسول الله ﷺ فاتبع .. اتبع أثر النبي ﷺ واقتف أثر النبي ﷺ، واتبع هدي النبي ﷺ؛ لترى المصطفى ﷺ في نهاية هذا الطريق ينتظرك على الحوض إن شاء الله جل وعلا .

قف على مقتضيات الحب الصادق، لتتعرَّف على زعم الأمة الباهت،

(١) رواه البخاري ١٠/ ٤٦١، ٤٦٢ في الأدب، باب علامة حب الله عز وجل، ومسلم رقم (٢٦٤٠) في البر والصلة، باب المرء مع من أحب .

أنها تحتفل بالنبيِّ ﷺ، وكان من الواجب أن يكون قدر النبيِّ ﷺ في قلوبنا عظيمًا كما عظَّمه وأجلَّه ربه جل وعلا.

لا ينبغي أن تحتفي الأمة بالنبي ﷺ في ليلة ساهرة حافلة تحت الطبل والزمر واختلاط فاحشٍ بين الرجال والنساء والشباب والشواب ... ثم تنفض الليلة عند الفجر لينفض الجميع وما صلى أحدٌ منهم صلاة الفجر لله جل وعلا إلا من رحم ربك، أسأل الله أن يجعلني وإياكم ممن رحم .

أول مقتضى من مقتضيات حبك الصادق للنبي ﷺ:

البراءة من الشرك:

محالٌ أن تدَّعي الحب للنبي ﷺ ولهدي النبي وسنة الحبيب النبي ﷺ وقلبك ما نُقِّي وطُهِّرَ من أي شائبة من شوائب الشرك .

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ :

النفي المحض ليس توحيدًا وكذلك الإثبات بدون النفي فلا يكون التوحيد إلا متضمنًا للنفي والإثبات معًا .

قال علماؤنا : لابد من التخلية قبل التحلية .

والتخلية: هي أن تكفر بالأنداد والأرباب والآلهة والطواغيت .

نقِّب في القلب هل أخليت القلب من هذا ؟ هل تبرأت من الأنداد والآلهة والطواغيت وأخلصت القلب لله وحده لا شريك له ؟ هل كفرت بالطواغيت ؟

والطواغيت : جمع طاغوت، والطاغوت كما قال عمر : هو الشيطان.

وكما قال مالك: هو كل ما عبد من دون الله.

وكما قال ابن القيم: الطاغوت هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع .

فأنت مأمور يا من أحببت الله وأحببت رسول الله ﷺ أن تكفر بكل الطواغيت على ظهر الأرض قال جل وعلا: ﴿**فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٥٦]

لاحظ أن الله قد قدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله، إذ لابد من التخلية قبل التحلية .

وأن تكفر بالأنداد قال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾ [البقرة: ١٦٥].

اللهم ارزقنا حبك وحب نبيك وحب من أحبك يا رب العالمين .

المؤمن الصادق هو الذي امتلأ قلبه بحب الله وحب رسوله ﷺ لكن لاحظ أن كثيرًا من الناس قد امتلأت قلوبهم بمحبة الأنداد من دون الله أو مع الله.. ألم تسمع عن امرأة قد تخلصت من حياتها وانتحرت بسبب موت العندليب الأسود ؟!!

ألم تسمع عن رجلٍ جلس في إستادٍ للكرة فصرخ صرخةً فقد فيها روحه، لأن فريقه قد مُنِيَ بهدفٍ من الفريق الآخر ؟!!

ألم تسمع قول القائل :

هيبوني عيداً يَجْعَل العُرْبَ أَمَّةً ... وَسيرُوا بجُثْمَاني عَلَى دين بُرهم
سلامٌ على كفرٍ يُوَحِّدُ بيْنَنَا ... وَأَهْلاً وسهلاً بَعْدَهُ بِجَهَنَّمِ

ألم تسمع قول القائل :

آمنْتُ بِحِزْبِ البَعْثِ لا شَرِيكَ ... له وبالعُرُوبَةِ ديناً مَالهُ ثانِ

ألم تسمع قول القائل :

إن مصر ستظل فرعونية، ولو وقف الإسلام حَجَرَ عثرة في طريق فرعونيتنا لَنَحينا الإسلام جانبًا، لتظل مصر فرعونية ؟!!

ألم تسمع قول القائل :

لقد عزمنا على أن نأخذ ما عند الغربيين حتى الالتهابات التي في رئتهم والنجاسات التي في أمعائهم ؟!!

ألم يقل ربك :﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾ [البقرة:١٦٥]

قال رجل للحبيب المصطفى ﷺ :

ما شاء الله وشئت يا رسول الله، قال ﷺ : « **أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ** »[(١)]

فهل كفرت بالأنداد ؟! هل كفرت بالأرباب ؟ والأرباب جمع رب قال تعالى : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ** ﴾ [التوبة:١٦]

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٧) وابن ماجه (٢١١٧) وأحمد (١/ ٢١٤، ٢٨٣، ٢٩٤، ٢٤٧) وحسنه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (١٣٩).

اتخذوا العلماء والعبَّاد أربابًا من دون الله.

دخل عدي بن حاتم على المصطفى ﷺ وهو يقرأ هذه الآية فقال عدي: لا يا رسول الله، ما عبدناهم من دون الله، ففسر له النبي ﷺ الآية فقال الحبيب ﷺ: «**أَلَمْ يُحِلّوا لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ويحَرِّمُونَ عَلَيهِم مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَأطَاعُوهُم ؟**» قال: بلى قال المصطفى ﷺ: «**فَتِلْكَ عِبَادَتُهُم إِيَّاهُمْ**»[1].

أخي الحبيب: هل صرفت العبادة لله وحده ؟ هل امتثلت أمر الله؟

﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]

وأخيرًا أقول : إن أردت أن تنقب عن حبك للنبي ﷺ في قلبك فسل نفسك، هل تبرأت من الأنداد والأرباب والآلهة ودخلت في المقتضى الثاني ألا وهو: « **تحقيق التوحيد للعزيز الحميد** »؟

هذا هو المقتضى الثاني: أن تحقق التوحيد بأقسامه لله جل وعلا، وأن تقر بتوحيد الربوبية .

وتوحيد الربوبية معناه أن تعتقد وأن تقر لله بالخلق والرزق والأمر والتصريف والتدبير والإحياء والإماتة.

تدبر قول الله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ** ﴾ [آل عمران: ١٥٤]

هل حققت التوحيد لله ؟

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٠٩٤) في التفسير، باب ومن سورة براءة، وأخرجه ابن جرير رقم (١٦٦٣١)، (١٦٦٣٢)، (١٦٦٣٣) وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٣٠) وزاد نسبته لابن سعيد وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني.

ستعجب إذا قلت لك: إن توحيد الربوبية قد أقر به المشرك في أرض الجزيرة العربية .

فإذا سألت أبا جهل من خالقك ؟ قال: الله .

لو سألت المشرك من رازقك ؟ قال: الله .

قال جل وعلا: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]

وقال جل وعلا: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]

وقال جل وعلا: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾

[العنكبوت: ٦٣]

وقال جل وعلا: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]

بل لقد انفرد الأخنس بن شريق بأبي جهل .

فقال الأخنس: يا أبا الحكم! لا يوجد معنا أحد الآن يسمعنا، أستحلفك بالله أمحمدٌ صادق أم كاذب؟!

فقال أبو جهل: ويحك يا أخنس والله إن محمدًا لصادق !

فنزل قول الله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]

فهم يعلمون صدق النبي ﷺ .

بل قال قائلهم: والله إني لأقر لمحمد بالنبوة أكثر مما أُقِرّ لابني بالبنوة لأن الذي شهد بصدق محمد هو الله .

وللأسف الشديد ومما يندى له الجبين أنه يوجد من بين من ينتسبون الآن للإسلام مَن لم يحقق توحيد الربوبية للرحيم الرحمن .

يَا صَاحِبَ الهمِّ إنَّ الهمَّ مُنْفَرِجٌ	أَبْشِرْ بِخَيْرٍ فَإِنَّ الحافظ اللهُ
وإذا بُليتَ فَثِقْ بالله وارضَ بِه	إنَّ الذي يَكْشِفُ البَلْوَى هُوَ اللهُ
اللهُ الذي يُحْدِثُ بَعْدَ العُسْرِ مَيسرةً	لا تَجْزَعَنْ فَإِنَّ الخالق اللهُ
والله مالك غير الله من أحدِ	فَحَسْبُكَ اللهُ في كلٍّ لَكَ اللهُ

وأن تقر بتوحيد الألوهية (توحيد العبادة).

يعني أن تصرف العبادة بركنيها: من كمال الحب وكمال الذل وبشرطيها: من الإخلاص والاتباع، إلى من يستحق العبادة وهو الله وحده لا شريك له .

سل نفسك أيها الحبيب: هل استغثت بالله وحده؟هل استعنت بالله وحده؟ هل سألت الله وحده؟هل ذبحت لله وحده؟هل نذرت لله وحده؟هل حلفت بالله وحده ؟هل طفت ببيت الله في مكة فقط؟هل قال لسانك، وصدق قلبك، وترجم عملك هذه الأقوال وهذه الكلمات؟

اللهم إني أبرأ من الثقة إلا بك ... وأبرأُ من الأمل إلا فيك

وأبرأ من التسليم إلا لك ... وأبرأ من التفويض إلا إليك

وأبرأ من التوكل إلا عليك ... وأبرأ من الصبر إلا على بابك

وأبرأ من الذل إلا في طاعتك... وأبرأ من الرجاء إلا لما في يديك الكريمتين... وأبرأ من الرهبة إلا لجلالك العظيم .

هل امتثلت أمر الله ؟ هل آمنت بأسماء الجلال وصفات الكمال من غير تحريف لألفاظها أو لمعانيها، وأثبَتَّ ما أثبَتَهُ الله لذاته وما أثبته له رسوله المصطفى ﷺ .

لا يمكن على الإطلاق أن تدعي الحب للحبيب المصطفى ﷺ إلا إذا حققت هذا التوحيد لله جل وعلا .

المقتضى الثالث : «تحكيم الشريعة» :

أمة تدعي الحب للمصطفى ﷺ وقد نحَّت شريعته فهي أمة كاذبة. أمة تحتفل بالمصطفى في كل ربيع من كل عام وقد حَكَّمَت في الأموال والأعراض والدماء والفروج، القوانين الوضعية الفاجرة الجائرة ونَحَّت كتاب الله وشريعة رسول الله ﷺ . أمةٌ خاسرة، لا ساق لها ولا قدم.

وسترى الأمة تتعرض لمزيد من الضربات من إخوان القردة والخنازير ممن كتب الله عليهم الذل والذلة، حتى تفيء الأمة إلى منهج ربها وإلى شريعة الحبيب نبيها ﷺ .

فلا فلاح ولا عز ولا صلاح ولا سعادة في الدنيا والآخرة إلا إذا عادت من جديد وقد أعلنت توبتها إلى الله وحققت هذه التوبة على أرض الواقع في إذعان لأمر الله وانقياد لشرع رسول الله ﷺ .

قال الله جل وعلا على لسان نبيه يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام :

﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ ﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠]

فإن أرادت الأمة أن تعلن حب الله وحب رسول الله ﷺ فلتسأل الأمة نفسها: أين هي من شريعة نبيها المصطفى ﷺ ؟!

أمة ترقص وتَطبل وتَزْمُر وتسمع الكلمات الرنانة وتسمع الخطب المؤثرة وتسمع المواعظ الرقيقة !!

أمة راحت لتذوب في بوتقة الغرب الكافر، وتركت بين يديها أصل العز والكرامة، ومَازلْتَ تقرأ وتسمع إلى آلاف من بين أبناء الأمة المخدوعين من يتغنى بالغرب !! وكأن الغرب الآن أصبح إلهًا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه !!

أين الولاء والبراء ؟!

قال الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]

وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠]

وقال جل وعلا: ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]

هذا قرآن ربنا ... هذا هو القرآن لا زال يتلى علينا في الليل والنهار.

لا يكون توحيد إلا بالولاء والبراء ... لا يصح اعتقادك إلا بالولاء والبراء:

أن تُوَالِيَ الله ورسوله والمؤمنين، وأن تتبرأ من الشرك والمشركين

أَتُحب أَعْدَاءَ الحَبِيْب وَتدَّعي	حُبًّا لهُ؟ مَا ذَاكَ في الإمكَان
وَكَذا تُعَادي جَاهدًا أَحْبَابَهُ	أين المَحَبَّةُ يا أخَا الشَّيطان؟
إنَّ المحَبَّةَ أنْ تُوَافقَ مَنْ تُحب	عَلَى مَحبَّته بلا نُقْصَان
فَإن ادَّعَيْتَ لَهُ المَحبَّةَ مَعَ خلافكَ	مَا يُحبُّ فَأنْتَ ذُو بُهْتَان
نَعمْ لَوْ صَدَقْتَ اللَّهَ فيْمَا زَعَمْتَهُ	لَعَادَيْتَ مَنْ باللَّه وَيْحَكَ يَكْفُرُ
ووَالَيْتَ أَهْلَ الحقِّ سرًّا وَجَهْرَةً	ولَمَا تُعَاديْهم ولِلْكفْر تَنْصُرُ
فَلاَ كُلُّ مَنْ قَدْ قَالَ مَا قُلتَ مُسَلمٌ	وَلَكنْ بأشْرَاط هُنَالكَ تُذْكَرُ
مُبَايَنَةُ الكُفَّار في كُلِّ مَوْطن	بذَا جَاءَنَا النَّصُ الصَّحيْحُ المُقَرَّرُ
وَتَصْدَعُ بالتَّوحيد بَيْنَ ظُهورهمْ	وَتَدْعُوهُم سرًّا لذَاكَ وَتَجْهَرُ
هَذَا هُو الدِّينُ الحَنيْفيُّ والهُدَى	وملَّةُ إبْرَاهيم لَوْ كُنْتَ تَشْعُرُ

المقتضى الخامس: سمع بلا تردد وطاعة بلا انحراف:

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥١-٥٢]

هذا هو شعار المؤمنين ... سمع بلا تردد وطاعة بلا انحراف

اعرض نفسك أخي الحبيب على الأمر النبوي والنهي النبوي والحد النبوي. . .

هل امتثلت أمر النبي ﷺ؟ هل اجتنبت نهي النبي ﷺ؟

هل وقفت عند حدود النبي ﷺ؟

إن كنت ممن سمع الأمر وامتثل، والنهي فاجتنب، والحد فوقف عنده، فاسجد لربك شكرًا وسل الله أن يزيدك حبًّا على حب لحبيبك المصطفى ﷺ.

وإن كنت ممن سمع الأمر فلم ينته، والحد فلم يقف، فاعلم أن زعمك لحب النبي ﷺ زعمٌ باهتٌ بارد لا ساق له ولا قدم .

شعار المؤمنين السمع والطاعة، أما شعار المنافقين السمع والمعصية

قال جل وعلا: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً (٦٠)** ﴾ [النساء: ٦٠]

هذا هو شعار المنافقين · · · ألم تر يا محمد إلى هذا العجب العجاب إلى قوم يزعمون أنهم آمنوا بك وما أنزل عليك وما أنزل من قبلك، ومع هذا الزعم الباهت البارد الفارغ يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، وقد أمرهم الله أن يكفروا به .

والله الذي لا إله غيره ما رُحِمتْ هذه الأمة إلا ببركة السمع والطاعة .

لما نزل على رسول الله ﷺ قول الله تعالى: ﴿ **لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ**

وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٤]

قال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ : اشتد ذلك على أصحاب النبي ﷺ فانطلقوا حتى جثَوا على الرُّكَب بين يديه وقالوا يا رسول الله ﷺ كُلِّفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة ولقد أُنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، فغضب النبي ﷺ وقال: «**أتُريدُون أنْ تَقُولُوا مَا قَالَهُ أهلُ الكتَابَيْن منَ اليَهودِ والنَّصَارَى «سمعنا وعصينا»؟ بلْ قُولُوا: «سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير»** قالوا: «**سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**» فلما اقترأها القوم، وذَلَّتْ بها ألسنتُهم، أنزل الله في إثرها: **﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾**[البقرة: ٢٨٥].

فلما فعلوا ذلك: نسخها الله تعالى فأنزل الله عز وجل: **﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾** [البقرة: ٢٨٦] **قال: نعم. ﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ قال: نعم ﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال: نعم ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قال: نعم**»[1]

---

(١) رواه مسلم رقم (١٢٥) في كتاب الإيمان، باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق.

استجاب الله وخفف عن الأمة ببركة السمع والطاعة.

وما تحياه الأمة الآن من شقاء وضنك وضيق إنما هو نتيجة لانحراف الأمة عن منهج السمع والطاعة، فإن الأمة تجيد الآن الخطب الرنانة، وتجيد المواعظ المؤثرة، وتجيد السهرات الحافلة، وعشقت الأمة الهزل يوم أن كرهت الجد والرجولة.

ماذا تنتظر من أمة تسهر أمام المباريات إلى مطلع الفجر ؟!!

ماذا تنتظر من أمة أقامت الليل أمام المسلسلات والأفلام والمباريات؟!

والله لن يحرر الأقصى جيل تربى على هذه الميوعة، وتربى على هذه النجاسة والقذارة.. لن يحرر الأقصى إلا جيل تربى على كتاب الله وعلى سنة الحبيب رسول الله ﷺ .

نسأل الله أن يخرجهم من الأرحام إنه ولي ذلك والقادر عليه .

شعار المؤمنين: السمع والطاعة فيا من تدعي الحب للنبي ﷺ.

أمرك المصطفى ﷺ بالصلاة في وقتها فهل أديت الصلاة في أوقاتها؟

أمرك المصطفى ﷺ بترك الحرام والربا .. فهل تركت الربا ؟

أمرك المصطفى ﷺ بعدم شرب الخمر .. فهل تركت الخمر ؟

أمرك المصطفى ﷺ بترك الزنا .. فهل انصرفت عن الزنا ؟

أمرك ببر الوالدين .. هل امتثلت الأمر ؟

أمرك بالإحسان إلى الجيران .. هل امتثلت الأمر ؟

أمرك بالإحسان إلى الإخوة والأهل والأحباب.. هل امتثلت الأمر؟

أمرك بإعفاء اللحية .. هل امتثلت الأمر ؟

أوامر كثيرة ... اعرض نفسك على أوامر النبي ﷺ ونواهيه وحدوده.

فإن كنت ممن امتثل الأمر واجتنب النهي ووقف عند الحد الذي حده المصطفى ﷺ فاسجد لله شكرًا وسل الله أن يزيدك حبًّا على حبك لحبيبك المصطفى ﷺ .

واحذر هذه الدعوى التي يغني بطلانها عن إبطالها ويغني فسادها عن إفسادها .

ألا وهي: أنه يجب أن نعود الآن إلى القرآن وفقط لأن السنة فيها الضعيف والموضوع !! احذر هذا .. واعلم يقينًا بأنك إن عصيت رسول الله ﷺ فقد عصيت الله، وإن أطعت رسول الله ﷺ فقد أطعت الله وإن صدقت رسول الله،وإن امتثلت أمر النبي ﷺ فقد امتثلت أمر الله.

قال جل وعلا: ﴿ **مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ⑦ ﴾ [الحشر:٧]

وقال جل وعلا: ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾ [المائدة:٩٢]

وقال جل وعلا: ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾ [النساء:٨٠]

وقال جل وعلا: ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾

[النساء:٦٥]

وقال جل وعلا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١]

قال ابن عباس: أي لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة.

قال مجاهد: أي لا تفتاتوا شيئًا على رسول الله ﷺ حتى يقضي الله على لسان نبيه.

قال القرطبي: أي لا تقدموا قولاً على قول الله عز وجل ولا تقدموا قولاً وفعلاً على قول وفعل رسول الله ﷺ .

قال الشنقيطي:

لا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله ولا حلال إلا ما أحله الله ورسوله ولا دين إلا ما شرعه الله على لسان رسول اللَّه ﷺ فمن كذب المصطفى ﷺ فقد كذب الله ومن ضيع السنة فقد ضيع القرآن، ومن كفر بالنبي ﷺ فقد كفر بالرحمن .

ولقد حذر النبي ﷺ من هذا الصنف الخبيث الذي يتغنى بالقرآن والإعراض عن سنة خير ولد عدنان وحبيب الرحيم الرحمن ﷺ ففي سنن أبي داود من حديث المقدام بن معد كرب أن النبي ﷺ قال:

« أَلاَ إِنِّي أُوتِيتُ الكتابَ وَمِثْلَهُ مَعهُ (القرآن والسنة) أَلاَ يُوشِكُ رَجُلٌ شبْعَان مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِه يَقُولُ: عَلَيْكُم بهذَا القُرآن فَمَا وَجَدْتُم فِيْه منْ حَلال فَأَحلُّوا وَمَا وَجَدتُم فيه منْ حَرَام فَحَرِّمُوه، ثُمَّ قال ﷺ: أَلاَ إِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ الله كَما حرَّمَ اللهُ»[1] .

(١) رواه أبو داود رقم (٤٦٠٤) في السنة: باب لزوم السنة، والترمذي رقم (٢٦٦٦) في العلم: باب رقم (٦٠) وقال: هذا حديث حسن ، وأخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٣٠ - ١٣٢) وابن ماجه رقم ١٢ في المقدمة باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ .

وخذ مني هذه الهدية وهي من كلام ابن القيم رحمه الله يقول:

السنة مع القرآن على ثلاثة أوجه:

الوجــه الأول: أن تكون السنة مـؤكدة للقرآن مـن كل وجه وهذا يكون من باب تضافر الأدلة .

الوجه الـثاني: أن تكون السنة موضحة لما أجـمله القرآن فقد جاء الأمر بالصلاة في القـرآن وجاءت السنة لتبين لنا كيفيـة الصلاة وحدود الصلاة إلى آخره .

الوجـه الثـالث: أن تكون السنة موجـبة أو محـرمة لما سكت عنه القرآن.

هذا وأستغفر الله لي ولكم وصلِّ الله وسـلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

أما بعد فيا أيها الحبيب الكريم :

يجب أن يفوق حبك للحبيب ﷺ حبك لنفسك ولوالدك ولولدك بل والناس أجمعين، روى البخاري ومسلم من حديث أنس أن النبي ﷺ قال :

« **لاَ يؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حتَّى أَكُونَ أحبَّ إلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ والنَّاسِ أجْمعينَ** »(١) .

سيقول الحضور جميعًا نشهد الله أننا نحب النبي ﷺ أكثر من حبنا لآبائنا وأولادنا وأنفسنا .

أقول لك : قدم البرهان على هذه الدعوى .

ففي صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ: «والَّذي نفسِي بيدِهِ لأَنْتَ أحبُّ إليّ مِنْ كلِّ شيء إلاَّ من نفسي» .

فقال النبي ﷺ: « **لا يا عُمرُ، حتَّى أكُونَ أحب إلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ** »

---

(١) رواه البخاري في الإيمان ١/ ٥٥، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، ومسلم رقم (٤٤) في الإيمان باب وجوب محبة رسول الله ، والنسائي في الإيمان أيضًا (٨/ ١١٤، ١١٥) باب علامة الإيمان وأخرجه ابن ماجه في المقدمة رقم (١٦٧).

فقال عمر: «والذي نفسي بيده لأنت أحب إليّ من نفسي يا رسول الله».

فقال النبي ﷺ: «**الآنَ يَا عُمَرُ**»[١].

قال أهل العلم: أي الآن قد كمل إيمانك يا عمر.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح:

قال الإمام الخطابي: «حب الإنسان لنفسه طبع، وحب الإنسان لغيره اختيار بتوسط الأسباب»

أي أنا أحبك لأسباب وأنت تحبني لأسباب أما حبك لنفسك وحبي لنفسي فهذه جبلة طبيعية.

يقول: «وما طلب النبي ﷺ من عمر حب الطبع بل ما أراد منه إلا حب الاختيار إذ لا سبيل إلى قلب الطباع عما جبلت عليه».

أراد النبي ﷺ أن يلفت نظر عمر إلى أن الله عز وجل قد منَّ على عمر فنجاه من النار لَمَّا أرسل له المصطفى المختار ﷺ، ولكن هناك فرق بين حب يدور على الاتباع وبين غلو يدور على الابتداع.

ففي البخاري من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**لا تَطْرُوني كَمَا أَطْرت النَّصارَى ابنَ مَرْيم، فإنَّما أَنَا عبدٌ فَقُولُوا عَبْدُ الله ورَسُولهُ**»[٢]

قال الحافظ ابن حجر: الإطراء: هو المدح بالباطل والكذب.

فلا إطراء ولا غلو.

والحق أن الغلو في رسول الله ﷺ قد بلغ عند بعض مدعى المحبة

(١) رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور (٦٦٣٢): باب كيف كانت يمين النبي ﷺ.

(٢) رواه البخاري(٦/ ٣٥٤, ٣٥٥)في الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾.

حـداً خطيراً فخلعوا على رسول الله ﷺ صفات، ومنحوه خصائص الربوبية والألوهية.

كهذا الذي جعل رسول الله وحده ملاذه وملجأه إذا نزلت به الشدائد فقال مخاطباً المصطفى ﷺ:

يا أكرمَ الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حدوث الحادث العَمم
ولن يضيق رسولَ الله جَاهُك بي إذا الكريمُ تَجَلَّى باسم منتقم
فإن جودك الدنيا وضُرَّتها ومن عُلُومكَ علمُ اللوحِ والقَلَم[(1)]

ويقول آخر : فشأن محمد ﷺ في جميع تصرفاته هو شأن الله تعالى، فليس لمحمدٍ من محمدٍ شيء ولذلك كان نوراً ذاتيًا من عين ذات الله[(2)].

وهذه الشطحات كثيرة جداً ولا حول ولا قوة إلا بالله

ونقول لهؤلاء: تعالوا بنا لنتعرف على الحب الحقيقي ... الحب الصادق.

فهذا هو المغيرة بن شعبة يقف ليظلل على رأس النبي ﷺ من الشمس في الحديبية، فجاء عروة بن مسعود الثقفي رسولاً من قبل قريش للنبي ﷺ في الحديبية .

وجعل عروة بن مسعود يكلم النبي ﷺ وكلما كلمه أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة عند رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنصل

---

(١) ديوان البوصيري تحقيق محمد سيد كيلاني ص٢٠٠ ط. الحلبي.

(٢) النعمات القدسية في شرح الصلوات المحمدية الإدريسية محمد بهاء الدين البيطار .ط دار الجبل بيروت ص٩.

السيف، وقال: أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ[١].

يبقى أن تعلم أن المغيرة بن شعبة ابن أخي عروة !! هذا هو الحب الصادق .

وتخيل معي مشهد أبي دجانة في غزوة أحد وهو يترس على رسول الله ﷺ، والنبل يقع عليه وهو لا يتحرك .

وتدبر معي مشهد طلحة وهو يقاتل أمام النبي ﷺ يمنة ويسرة ويترس مع النبي ﷺ بترس واحد .

ففي البخاري من حديث قيس بن حازم، قال: «رأيت يد طلحة شلاء، وقى بها النبي ﷺ يوم أحد»[٢] .... هذا هو الحب .

لذلك استحق طلحة - رضي الله عنه - هذا الوسام العالي من سيد الناس محمد ﷺ .

ففي سنن الترمذي أن الحبيب النبي ﷺ قال: **«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إلى شَهيد يمشي عَلى وجه الأرض فَلْيَنْظُر إلى طَلْحَةَ»**[٣].

وهذا أبو طلحة - رضي الله عنه - كان يسور نفسه بين يدي رسول الله ﷺ ويرفع صدره ليقيه من سهام العدو .

عن أنس رضي الله عنه قال: لما كان يوم أحد انهزم الناس على النبي ﷺ، وأبو طلحة بين يديه مجوب عليه بجحفة له، وكان رجلاً راميا شديد

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٧٣١، ٢٧٣٢) في الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، وكتابة الشروط.

(٢) رواه البخاري رقم (٣٧٢٤) في فضائل الصحابة باب ذكر طلحة بن عبيد الله، وفي المغازي.

(٣) أخرجه الترمذي رقم (٣٧٤٠) في المناقب، باب مناقب طلحة بن عبيد الله، ورواه أيضا ابن ماجه رقم ١٢٥ في المقدمة وصححه شيخنا الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٩٤٠)

النزع، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثًا، وكان الرجل يمر معه بجعبة من النبل، فيقول: انثرها لأبي طلحة، قال: ويشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة: بأبي أنت وأمي لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك يا رسول الله[1] .

أحبتي في الله، هذا هو الحب الصادق إنهم جَسَّدوا الحب إلى واقع ... إلى عمل ... ليس الحب كلمة تقال.

إننا نرى أعظم احتفاء بالنبي ﷺ قولة الصديق يوم أن اتهم المشركون رسول الله ﷺ بالكذب ليلة الإسراء فرد الصديق بقوله: إن كان محمد قد قال ذلك فقد صدق [2].

هذا هو الاحتفاء .

نرى أن الاحتفاء الحقيقي في قولة فاروق الأمة عمر للنبى ﷺ : ألسنا على الحق ؟! فيقول: بلى، فيقول عمر: أليسوا على الباطل؟ فيقول: بلى.

فيقول عمر: فلم نعطي الدنية في ديننا ؟![3] هذا هو الاحتفاء .

نرى الاحتفاء الحقيقي يوم أن ارتقى النبي ﷺ المنبر وحث الناس على الصدقة لتجهيز جيش العُسرة فجاء عثمان؟ فقال: يا رسول الله عليَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض النبي ﷺ على الجيش، فقام عثمان فقال: يا رسول الله عليَّ مائتا بعير بأحلاسها

---

(١) رواه البخاري (٧/٢٧٨) في المغازي ،باب « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما » وفي الجهاد، باب غزوة النساء وقتالهن مع الرجال، ومسلم رقم (١٨١١) في الجهاد وباب غزوة النساء مع الرجال.

(٢) ذكره الحافظ ابن حجر في «الفتح» وقال: رواه البيهقي في الدلائل .

(٣) رواه البخاري رقم (٢٧٣١) في كتاب الشروط باب الشروط فى الحرب .

وأقتابهـا في سبيل الله، ثم حض على الجيش، فـقام عثمـان فقال: عليَّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، فنزل رسول الله ﷺ من على المنبر وهو يقول: « **مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا فَعَلَ بَعْدَ هَذه، مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا فَعَلَ بَعْدَ هَذه** »[1] هذا هو الاحتفاء.

نرى الاحتـفَاء الحقيـقي يوم أن نام علي في فراش النبي ﷺ لـيلـة الهجرة، وهو يعلم أنه إلى فناء ! ولم لا ؟ فليـفنى علي وليبقى حامل لواء الدعوة الحبيب النبي ﷺ .

هذا هو الاحتفاء.

فإن أرادت الأمة أن تحتفي بالحبيب المصطفى فلتتبرأ من الشرك ... ولتحـقق التوحيد ... وتحكِّم شـريعة النبي ﷺ ... وتوالـي اللـه ورسوله والمؤمنين ... فلتحقق من جديد مبدأ السمع والطاعة؛ لتسمع أمر ربـها وأمر نـبيـها بلا تردد ولا انحـراف ... ثم تنقب عن مكانة النبي ﷺ في قلبها ورحم الله من قال :

مَنْ يَـدَّعي حُبَّ الـنَّبـي وَلَمْ يَفـــدْ ... منْ هَـدْيه فَـسَـــفـــاهـةٌ وهراءُ
فـالحبُّ أوَّلُ شَـــرْطـه وفُـــرُوضـــه ... إنْ كَـانَ صِـــدقًـــا طاعــةٌ ووفـــاءُ

نسأل الله جل وعلا أن يجمعنا وإياكم على حوض الحبيب المصطفى ﷺ.

... الدعاء

(١) رواه الترمذي رقم (٣٧٠١) في المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

[الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد: فحيا الله هذه الوجوه الطيبة المشرقة، وزكّى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور، وطبتم جميعًا وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلا، وأسأل الله جل وعلا الذي جمعنا وإياكم في هذا

البيت المبارك على طاعته أن يجمعنا وإياكم في الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله :

«الدر المنثور في الذود عن أصحاب الرسول»

هذا هو عنوان لقائنا في هذا اليوم الكريم المبارك وكعادتنا فسوف ينتظم حديثي مع حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية:

أولا: حرب حقيرة ليست الأخيرة !!

ثانيا: عدالة الصحابة من القرآن والسنة.

ثالثا: وهل يسب الخيران ؟!!

وأخيرا: هم القدوة فاعرفوا لهم قدرهم.

فأعيرونى القلوب والأسماع، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب.

أولا: حرب حقيرة ليست الأخيرة !!

أحبتي في الله :

إن الصراع بين الحق والباطل قديم بقدم الحياة على ظهر هذه الأرض، والأيام دول كما قال الله عز وجل:

﴿ **وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ** ﴾ [آل عمران: ١٤٠] والإسلام العظيم منذ أن بزغ فجره واستفاض نوره لا زال إلى يومنا هذا مستهدفا من قبل أعدائه الذين يشنون عليه حروبا ضارية على كل الجبهات وفي جميع الميادين. ومن أخطر هذه الحروب «حرب إسقاط الرموز» ابتداء من الصحابة رضي الله عنهم وانتهاءاً بالعلماء والدعاة.

فهم يريدون أن يشككوا الأمة في دينها حينما يشككون الأمة في

نقلة هذا الدين من الصحابة الخيرين ،والعلماء العاملين والدعاة الصادقين. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يريدون أن يفصلوا بين الأتباع والقيادة، فإذا تم الفصل بين القائد والأتباع تشرذمت الأمة لتصبح ذليلة كسيرة مبعثرة كالغنم في الليلة الشاتية الممطرة!!

ومن آخر هذه الحروب وليست الأخيرة ما ينشر في هذه الأيام على صفحات الجرائد والمجلات السوداء التي تعزف على وتر الجنس لإثارة الغرائز الهاجعة ولاستجاشة الشهوات الكامنة.

هذه الحرب التي تثار الآن حرب سافرة تشن على رءوس هذه الأمة ابتداء من الصحابة الكرام!!.

حيث ترى دفاعًا مبطنًا لهذه الجرائد والمجلات على هذا الخطيب الشيعي المحترق الذي سب أصحاب النبي ﷺ سبًّا فظيعًا منكرًا يستحي اللسان العف أن يردد الآن لفظة واحدة مما قال!!

وتعمدت أن لا أعقب على هذا الشيعي المحترق، وما استحللت لنفسي أن أرد عليه إلا بعد سماعي لكلماته بأذني رأسي عبر شريط الكاسيت.

فإنني لا أثق ألبتة فيما ينشر على صفحات الجرائد والمجلات لأنهم كما تعلمون يكذبون على الجميع.

أيها الأحبة الكرام:يُسبُّ أصحاب النبي ﷺ! ! ويشوه العلماء ! ! وتعلن الحرب بضراوة على رءوس الأمة ليتشكك الناس في الدين فمن الذي نقل إلينا عن رسول الله ﷺ ؟

إنهم الصحابة - رضي الله عنهم - ومن سار على دربهم من

التابعين لهم بإحسان والعلماء العاملين والدعاة الصادقين.

وهذه الحرب التي تعلن الآن على الأطهار هي التي دفعتني لأقف اليوم بين أيديكم لأذود عن حرمهم الكريم ولأذود عن عرضهم الطاهر، لا لأرفع من قدرهم وشأنهم ،فإن الذي رفع قدرهم هو الله، وإن الذي رفع شأنهم وعدَّلهم رسول الله ﷺ.

وأنا أتحدث اليوم عن الصحب الأطهار لأرفع من قدر نفسي ومن قدر إخواني وأخواتي وأتضرع إلى الله عز وجل بحبنا لهم أن يحشرنا معهم،فالمرء مع من أحب يوم القيامة بموعد الحبيب محمد ﷺ.

أيها الأحبة الكرام:

والله الذي لا إله غيره لا أرى مثلا لهؤلاء الموتورين الذين يتطاولون اليوم على القمم الشماء ـ لا أرى لهم مثلا إلا كمثل ذبابة حقيرة سقطت على نخلة عملاقة فلما هَمَّت الذبابة الحقيرة بالانصراف والطيران قالت في استعلاء للنخلة العملاقة: أيتها النخلة تماسكي فإني راحلة عنك.

فقالت النخلة العملاقة:انصرفي أيتها الذبابة الحقيرة فهل شعرت بك حينما سقطت عَلَيَّ لأستعد لك وأنت راحلة عني ؟!!

نعم فهل يضر السماء أن تمتد إليها يد شلاء؟! وهل يوقف سير البواخر العملاقة الطحالب الحقيرة ولو اجتمعت على سطح الماء؟!!

فحريٌّ بهؤلاء الموتورين أن يحطموا أقلامهم وأن يفرغوها من مدادها العفن.

ومَنْ يَكُنْ ذَا فَمٍ مريضٍ يَجِدْ مرًّا بِهِ المَاءَ الزُّلالا!!

اعلموا أيها المسلمون الأخيار: وفقني الله وإياكم لمرضاته وجعلني الله وإياكم ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته.

اعلموا بأنه لا يجوز ألبتة لرجل زائغ العقيدة..،مريض القلب..، مشوش الفكر أن يتحدث عن أصحاب النبي ﷺ.

إذ أن الحديث عن الصحب الكرام يتطلب ابتداء صفاء في العقيدة وإخلاصاً في النية ودقةً في الفهم،وأمانة في النقل ونظرة فاحصة مدققة لأراجيف المبطلين والوضاعين، والكذابين، والمغرضين، وأصحاب الأهواء المبتدعين، ومن هم على طريقهم كالعلمانيين!!لابد من الفحص الدقيق لكل ما تقرأ، ولكل ما ينشر عن أصحاب النبي ﷺ،فلابد أن تعرف قدر هؤلاء، ومكانة هؤلاء فهم الجيل القرآني الفريد الذي تربى على يد من رباه الله على عينه، ليربي به الدنيا.

إنه الجيل الذي تربى على يد المصطفى وكفى .

وكل تلميذ يقتبس في العادة من أستاذه،فلك أن تتصور كيف يكون الاقتباس إذا كان المعلم هو سيد الناس؟

وكل فهم تربوي يترك طابعه على طلابه الذين يتربون عليه ولك أن تتصور كيف يكون الطابع إذا كان المنهج التربوي الذي تربى عليه أصحاب النبي ﷺ هو القرآن العظيم والسنة المشرفة، وهم صفوة الخلق بعد الأنبياء.

أخرج الإمام أحمد رحمه الله تعالى بسند حسن عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ:

إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه،فابتعثه برسالته،ثم نظر في قلوب الرجال بعد قلب محمد

ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون عن دينه[1].

وهذا الأثر جسَّدَ أنهم صفوة الخلق بعد الأنبياء، إنهم المهاجرون والأنصار الذين حملوا دعوة النبي المختار ﷺ، وصدقوا ما عاهدوا عليه العزيز الغفار، فاستحقوا بجدارة واقتدار أن يبشروا وهم في الدنيا بالجنة والنجاة من النار.

إنهم أصحاب النبي ﷺ الذين عدلهم ربهم ونبيهم ﷺ وهذا هو عنصرنا الثاني من عناصر هذا اللقاء.

ثانيا: عدالة الصحابة من القرآن والسنة.

قال الخطيب البغدادي في كتابه « الكفاية في علم الرواية»

إن عدالة أصحاب النبي ﷺ ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختيارهم بنص القرآن قال الرحيم الرحمن:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]

والمخاطب ابتداءً بالخطاب الرباني هم أصحاب الحبيب النبي ﷺ وهم المخاطبون ابتداءً بقوله تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾** [البقرة: ١٤٣]

وهم المخاطبون بقوله جل وعلا: **﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ**

---

(١) أخرجه أحمد رقم (٣٦٠٠) وإسناده حسن وذكره الهيثمي في المجمع (١/ ١٧، ١٧٨) وقال: رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير ورجاله موثوقون.

إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٧٢ - ١٧٤]

وقال الله عز وجل في حقهم مخاطبًا النبي ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤]

وهم الذين قال الله عز وجل في حقهم:

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥]

وهم الذين قال الله في حقهم:

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨]

وهم الذين قال الله عز وجل في حقهم: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠]

وهم الذين زكاهم الله عز وجل بقوله:

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٨-٩]

وهم الذين قال الله عز وجل في حقهم : ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح : ٢٩]

آيات كثيرة في كتاب الله عز وجل زكَّى الله بها أصحاب النبي ﷺ وأكتفي بهذا القدر منها، واسمع معي هذه الأوسمة من سيد النبيين ﷺ.

ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: عن النبي ﷺ قال : « خَيْرُ النَّاسِ قَرني، ثمَّ الذين يَلُونَهُمْ»[١]

وفي الصحيحين من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ قال :

مُرَّ بجنازة فأثني عليها خيرًا . فقال النبي ﷺ : «وجَبتْ، وجَبَتْ وَجَبَتْ»، ومُرَّ بجنازة فأثني عليها شرًّا. فقال نبي الله ﷺ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ». قال عمر: فدى لك أبي وأمي، مُر بجنازة فأُثني عليها خيرًا فقلت : وجبت وجبت وجبت، ومُرَّ بجنازة فأثني عليها شرًّا فقلت: وجبت وجبت وجبت؟

فقال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَثْنيتُم عَلَيْه خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الجنَّة، ومَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيه شَرًّا وَجَبَتْ لهُ النَّارَ، أَنْتُم شُهداءُ الله في الأرض، أَنْتُم شهداءُ اللَّه في الأرض، أَنْتُم شهداءُ اللَّه في الأرض» .[٢]

---

(١) رواه البخاري (٥/ ١٩١) في الشهادات ،باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد،وفي فضائل الصحابة،ومسلم رقم (٢٥٣٣) في فضائل الصحابة،باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم،والترمذي رقم (٣٨٥٨) في المناقب

(٢) رواه البخاري رقم (١٣٦٧) في الجنائز ،باب ثناء الناس على الميت،ومسلم رقم (٩٤٩) في الجنائز،باب فيمن يثنى عليه خيرًا أو شرًّا من الموتى.

إن الذين زكاهم هو رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي**»، وفي رواية: «**لاَ تَسُبُّوا أَحَدًا منْ أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أحدًا أنفق مثلَ أُحد ذَهبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحدهمْ ولا نَصيفَهُ**»[١].

وفي صحيح مسلم عن عائذ بن عمرو: أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها قال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «**يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغضبْتَهُم لَئنْ كُنْتَ أَغْضبْتَهُمْ لَقَدْ أَغَضبْتَ ربَّكَ**».

فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه! أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي!»[٢]

وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري أن الحبيب النبي ﷺ قال: «**يُدعى نُوحٌ يَوْمَ القيَامة فيقولُ: هلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ يَا نُوحُ؟ فيقَولُ: نَعَمْ، فيقالُ لأُمَّته: هَلْ بَلَّغكُمْ نُوحٌ؟ فيقولون: لاَ مَا أَتَانَا منْ نَذير، فيقولُ: مَنْ يَشْهَدُ لكَ يَا نوحُ؟ فيقولُ نُوحٌ: محمدٌ وأمتُهُ، قالَ النبيُّ ﷺ يَشْهَدُونَ أنهُ قَدْ بَلغَ، ويكونُ الرسولُ عليكُمْ شَهيدًا، فَذَلكَ قَوْلُ الله عز**

---

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣) في فضائل أصحاب النبي ﷺ، ومسلم رقم (٢٥٤) في فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، وأبو داود رقم (٤٦٥٨) في السنة، باب النهي عن سب أصحاب النبي ﷺ، والترمذي رقم (٣٨٦٠) في المناقب باب فيمن سب أصحاب النبي ﷺ.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٥٠٤) في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضل سلمان، وصهيب وبلال رضي الله عنهم.

وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[البقرة: ١٤٣][1].

في صحيح مسلم من حديث أبي بردة عن أبيه قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي بعد العشاء قال: فجلسنا. فخرج علينا، فقال: «مَا زِلْتُم هَهُنَا؟» قلنا: يا رسول الله، صلينا معك المغرب. ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء.

قال: «أَحْسَنْتُم أَوْ أَصَبْتُم» قال: فرفع رأسه إلى السماء ـ وكان كثيرًا ما يرفع رأسه إلى السماء ـ فقال: «**النُّجُومُ أَمنةٌ للسَّماء، فَإِذَا ذَهَبَت النجومُ أَتَى السَّماءَ مَا تُوعَدُ، وأَنَا أمنةٌ لأَصْحَابي، فَإِذَا ذَهَبْت أَتَى أَصْحَابي مَا يُوعدُونَ، وأَصحَابي أمنةٌ لأُمَّتي، فإذا ذهبَ أصْحابي أَتى أُمَّتي مَا يُوعَدُونَ**»[2].

وأختم بهذا الحديث الذي رواه الترمذي وابن حبان، وأحمد والبيهقي وأبو نعيم وغيره، وللأمانة العلمية أقول: إن به مجهولاً لكن متن الحديث ثابت صحيح كما ذكرت آنفا من حديث عبد الله بن مغفل أن النبي ﷺ قال: «**اللهَ اللهَ في أَصْحَابي لا تَتَّخذُوهُمْ غرضًا، فَمَنْ أَحبَّهُمْ فبحُبِّي لَهُمْ أُحبهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أُبْغضهُ، وَمَنْ آذاهُمْ فَقَدْ آذَاني، وَمَنْ آذاني فَقَد آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى الله يُوشكُ أَنْ يأخُذَهُ**»[3].

فبعد هذه الآيات وهذه الأحاديث الصحيحة لسنا في حاجة إلى مزيد بيان عن الصحب الكرام.

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٤٨٧) في التفسير، باب «**وكذلك جعلناكم أمة وسطا**... الآية».

(٢) أخرجه مسلم رقم (٢٥٣١) في فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه وكذا رواه ابن حبان.

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٨٦٢)، وأخرجه أحمد في المسند (٤/ ٨٧، ٥/ ٥٤، ٥٧).

ومع ذلك فإني مُصِر على أن أعطر هذا المجلس كذلك بكلمات ندية لأسد الله الغالب علي بن أبي طالب.

فإن الكلام من علي في هذا الموطن له مغزى وأود أن أحذر الأحبة جميعًا من أن ينتقصوا قدر علي خشية أن يقعوا فيما وقع فيه الروافض.. كلا!!

فإننا نثبت لعلي مناقبه، ونثبت لعلي مكانته فهو من هو؟! هو أسد الله الغالب... هو الذي قال له المصطفى ﷺ يوم خيبر ــ لما امتنعت حصون اليهود: «**لأُعْطِينَّ الرَّاية غَدًا رَجُلاً يُحبُّ اللهَ ورسُولهُ ويُحبُّهُ اللهُ ورسولُهُ، يَفْتَح اللهُ عَلَى يَدَيْه**» وفي الصباح اشرأبت الأعناق، وتمنى الأبطال القيادة حتى عمر المتجرد التقي المخلص النقي يقول: والله ما تمنيت الإمارة إلا يومها!!

وفي الصباح وقف الأبطال على أطراف الأقدام؛ ليراهم النبي ﷺ وشق هذا السكون صوت النبي ﷺ وهو يسأل عن القائد الذي سيدفع له الراية ليفتح الله عز وجل على يديه فقال ﷺ: «**أَينَ عليٌّ بنُ أبي طالب؟**» ونقب الحضور عن علي فلم يجدوه: ما حضر اليوم يا رسول الله، لأنه اشتكى وجعًا في عينيه قال ﷺ: «**فَأَرْسِلُوا إليه فَأْتُوني**» فلما جاء بصق في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع(١).

ودفع النبي ﷺ له الراية وأمره أن ينطلق، فانطلق أسد الله الغالب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ففتح الله على يديه حصون خيبر، وهتف الجميع بما هتف به النبي ﷺ أول يوم:

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٧٠١) في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب، ومسلم رقم (٢٤٠٧) في مناقب الصحابة، باب من فضائل علي.

« اللَّهُ أكْبَـرُ خَرِبَتْ خَيْبـرُ.. اللَّهُ أكْبَرُ خَـرِبَتْ خَيْبَرُ، إنَّا إذَا نَزَلْنَا بِسَـاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ المنذَرِينَ» [(١)].

أسأل الله عز وجـل أن يُخرب حصون اليهـود بقدرته إنه على كل شيء قدير.

علي بن أبي طالب: الذي تربى في حـجر المصطفى ﷺ وكـفى!!

أول شبل من أشـبال الإسلام يقف ليـصلي خلف النبي ﷺ ويســمع القرآن وحده من فم رسول الله ﷺ.

علي بن أبي طالـب الذي اضطر يومًـا لأن يفـخـر رضي الله عنه فقال:

مُـحَـمَّـدٌ النبيُّ أخي وَصِـهْـري ... وحَـمْـزةُ سَـيِّـدُ الشُّـهَـداء عَـمِّي

وجَـعْـفَـرُ الَّذي يمسي ويَضْـحَى ... يَـطِيـرُ مَـعَ المَلائكَـة ابْنُ أُمِّي

وبِنْتُ مُـحَـمَّـد سَكَنِي وزوْجِي ... مَنُوطٌ لَـحْـمُـهَـا بِدَمِي وَلَحْـمِي

وَسِـبْطَا أَحْـمَـدَ وَلَدَاي مِنْـهَـا ... فَـأَيُّكُمْ لَـهُ سَـهْمٌ كَـسَـهْـمِي؟

اسمع ماذا قال علي رضي الله عنه:

«سيكون بعدنا أقوام ينتحلون مودتنا يكذبون علينا مارقة، وآية ذلك أنهم يسبون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما».

لقد ذكـروا للإمام مالك بن أنـس أن رجلاً ينتقص من أصـحاب النبي ﷺ فقرأ مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ قول الله تعالى:

---

(١) أخرجـه البخاري (٧/ ٣٥٩) في المغـازي، باب غزوة خـيبر، وفي صـلاة الخوف: باب التكبـير والـغلس بالصبح، ومـسلم رقم (١٣٦٥) في الجـهـاد باب غزوة خـيـبر، ومـالك (٢/ ٤٦٨)، والتـرمـذي رقم (١٥٥٠)، والنسائـي (١/ ٢٧٢) وأحمـد (٣/ ١٠٢، ١٦١، ١٦٤، ١٨، ٢٠٦، ٢٤٦، ٢٦٣).

﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

[الفتح :٢٩]

ثم قال مالك: فمن وجد في قلبه غيظًا على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾

وقال الحافظ الكبير أبو زرعة ـ رحمه الله ـ: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب النبي ﷺ فاعلم بأنه زنديق، وذلك لأن الرسول حق، والقرآن حق، وما جاء به النبي ﷺ حق ، والذي بلغنا ذلك كله عن رسول الله ﷺ هم أصحابه فهؤلاء يريدون أن يهدموا الصحابة ليبطلوا القرآن والسنة.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

وأختم هذا العنصر بما قاله الإمام الطحاوي في عقيدته المشهورة، قال ـ رحمه الله ـ:

ونحب أصحاب الرسول ﷺ ولا نفرق في حب أحد منهم، ونبغض من أبغضهم وبغير الخير يذكرهم، محبتهم دين، وإيمان، وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان .اهـ[1].

(١) مهذب العقيدة الطحاوية (٣٨٢، ٣٨٣).

أحبتي في الله: إننا نعيش زمانًا تكلم فيه الرويبضات!!

بل وأفردت الصفحات للرويبضات!!

وحُجزت الساعات الطوال على الشاشات في الإذاعات للرويبضات

هل تدرون من الرويبضات؟ اسمع الجواب من رسول الله ﷺ .

والحديث رواه أحمد والحاكم في المستدرك وصححه الألباني من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال: « **سيَأتي عَلَى النَّاسِ سَنَواتٌ خدَّاعاتٌ يُصدَّق فيها الكاذبُ، ويُكذَّبُ فيْهَا الصادقُ ويُؤتمنُ فيها الخائنُ ويُخَوَّنُ فيها الأمينُ وينطقُ فيها الرُّويبضة**» قيل: من الرويبضة يا رسول الله؟قال: «**الرَّجُلُ التَّافهُ يتكلَّمُ في أَمْرِ العَامَّة**»[1]

والله لقد نطق التافهون، بل لقد نطق أبو الهول الذي لم يتكلم في شيء إلا في سب أصحاب النبي ﷺ ، والتشهير بالعلماء المخلصين والدعاة الصادقين للفصل بين القيادة والأتباع، لتتشرذم الأمة ولتصبح ذليلة كسيرة مبعثرة، ليسهل على الذئاب أن يفترسوها وأن يأكلوها أكل الذئب للغنم، أسأل الله عز وجل أن يقر أعيننا وإياكم بنصرة الإسلام، وعز الموحدين وأكتفي بهذا القدر، وأعرج على العنصرين الباقيين بسرعة بعد جلسة الاستراحة وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

---

(١) رواه أحمد، والحاكم في المستدرك ، وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة (١٨٨٨).

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ،اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد، فيا أيها الأحبة الكرام :

ثالثا :وهل يُسَبُّ الخيران أبو بكر وعمر:

يَسُبّ هذا الشيعي المحترق أبا بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ!!

والله الذي لا إله غيره بكلمات يعف اللسان عن ذكرها!!

يسب أبا بكر بأقبح الألفاظ !! يسب عمر الفاروق بأشنع الكلمات لا تصدر إلا من شرب الخمر فلعبت برأسه فهو يهذي لا يدري ماذا يقول !!

أبو بكر ذلكم الرجل الذي عاين طائر الفاقة يحوم حول حب الإيثار، فألقى له الصديق حبَّ الحُبِّ على روض الرضا واستلقى الصديق على فراش الفقر آمنا مطمئنًا، فرفع الطائر الحب إلى حوصلة المضاعفة وتركه هنالك، ثم علا أفنان شجرة الصدق يغرد للصديق بأغلى وأعلى فنون المدح ويتلو في حقه قول ربه: ﴿**وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى**﴾.

إن الأتقى هو الصديق: ﴿ **وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى** ﴾ [الليل: ١٧-٢١]

يسبّ أبا بكر ؟!! الذي استحق أن يكون أقرب الخلق إلى قلب رسـول الله ﷺ كما في صحيح مـسلم، قال عمرو بن العاص: يا رسول الله، أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عَائِشَةُ**» قال: من الرجال؟ قال ﷺ: «**أَبُوهَا**»[1] . قال: ثم من ؟ قال: «**عُمَرُ**».

يسبّ أبا بكر ؟!! الـعـمـلاق الذي قـال في حـقـه المصطفى ﷺ والحديث في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة:

«**مَنْ أَنْفَقَ زَوجَيْنِ مِنْ شَيءٍ مِنَ الأَشْـيـاء في سَـبِيلِ اللَّه دُعِيَ مِنْ أبواب الجنة: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْـرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْـلِ الصَّلاة دُعِي مِنْ بَابِ الصَّلاة، وَمَنْ كَانَ مِنْ أهلِ الجهـاد دُعِي مِنْ بَابِ الجِهَاد، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقة دُعِي مِنْ بَابِ الصَّدَقـة، وَمنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَام دُعِي مِنْ بابِ الصِّيَام، وبَابِ الرَّيَّان**» قال أبو بكر: هل على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة ؟ وفي رواية قال: وهـل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال: «**نَعَم وأَرجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ**»[2]

وفي صـحـيح مـسلم من حـديث أبي هريرة سـأل المصطفى ﷺ أصحابه يوما فقال: «**مَنْ أَصْبَحَ اليومَ مِـنْكُمْ صَائِمًا ؟**» قال: أبو بكر: أنا قال: «**فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُم اليومَ جَنَازةً؟**» قال أبو بكر: أنا، قال: «**فَمَنْ أَطْعَمَ منكُمُ اليـومَ مِسْكِينًا؟**» قال أبو بكر: أنا، قال: «**فَمَنْ عَادَ مِنْكُم اليومَ مَرِيضًا؟**» قال أبو بكر: أنا، قال رسول الله ﷺ: «**مَا اجْتَمَعْنَ في**

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٣٨٤) والترمذي رقم (٣٨٨٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح، رواه أيضًا أحمد فى الفضائل(٢١٤)، وابن أبي عاصم فى السنة رقم(١٢٣٥)والنسائي في الفضائل(٥).

(٢) رواه مسلم رقم (١٠٢٧) في الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر، والترمذي رقم (٣٦٧٤) في الفضائل.

رجُلٍ إلاَّ دَخلَ الجَنَّةَ»(١)

وهل يُسبُّ الفاروق عمر؟!!

ذلكم الرجل العملاق الذي بركت الدنيا بزينتها وزخارفها على عتبة داره فطلقهـا ثلاثًا وسرحها سراحًـا جميلاً وقـام ينفض من علائق هذا المتـاع الزائل، واستـأنف سيـره وسط الصحـراء تحت حرارة الشـمس المحرقة!!

تراه يجـري وراء بعـيـر قـد نَدَّ من إبـل الصـدقـة يخـشى عليـه الضياع، يخشى أن يسأل عنه بين يدي الله عز وجل يوم القيامة.

أو تراه وهو الفاروق الخليفة تراه منحنيًا على قـدر فوق نار مشتعلة ينفخ النيران تحت القدر لتنضج النيران طعمة سريعة لأطفال يتضورون جوعا!!

أو تراه واقـفًا أمام خـيمـة رجل يبكي لامرأتـه التي أدركهـا كرب المخاض وهي لا تجد أحدًا يؤنسها فيسرع ليأتي بزوجة خليفة المسلمين، لتقف مع هذه المسلمة حتى تضع ولدها !!

أو تراه يمشي في السوق يتفقد أحوال الناس فـيرى إبلاً ثمينة فيسأل عمر : إبل من هذه؟!!

فيقولون: إبل عبد الله بن عمر، وكأن حية قد انقضت عليه فلدغته وأفرغت كل سـمها في جـوفه فيـقول: بخ..بخ!! إبل عـبد الله بن عمر؟!! ائتونى به.

---

(١) رواه مسلم رقم (١٠٢٨) في الزكاة، باب من جـمع الصدقة وأعمال البـر، وفي فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر رضي الله عنه.

ويأتي عبد الله يرتجف ويرتعد، وهو من هو؟ إمام في الزهد والورع.

يقول عمر: يا عبد الله ما هذه الإبل؟

فيقول عبد الله: يا أبي إبل مريضة هزيلة اشتريتها بخالص مالي وأطلقتها في الحمى ترعى وأتيت بها إلى السوق لأبتغي ما يبتغيه المسلمون من الربح والتجارة.

فيقول عمر: بخ بخ يا بن أمير المؤمنين فإذا رأى الناس إبلك قالوا: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين !! اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين!! فتسمن إبلك ويربو ربحك يا ابن أمير المؤمنين، يا عبد الله!! قال: لبيك يا أبتي مرني بما شئت.

فقال عمر: بع الإبل الآن وخذ رأس مالك ، ورد الربح إلى بيت مال المسلمين !! يا خالق عمر سبحانك!

هذا هو عمر الفاروق الذي يسبه الآن هذا الشيعي المحترق !! يسب عمر الفاروق؟!! عمر الذي اشتهت زوجته الحلوى يوما فأبى عليها.

يَا رافعًا رَايَةَ الشُّورَى وحَارسَهَا ... جَزَاكَ رَبُّكَ خيْراً عَنْ مُحبِّيها

رَأي الجمَاعَةِ لا تَشْقَى البلادُ به ... رَغْمَ الخلاف ورأيُ الفرد يُشْقيْهَا

إنْ جَاعَ فِي شدَّة قَومٌ شَرِكْتَهُمْ ... فِي الجُوعِ أَوْ تنْجَلي عنهمْ غَواشيها

جُوعُ الخليفة والدُّنيا بِقَبْضَته ... مَنْزلَةٌ في الزُّهْد سُبْحَانَ مُوليهَا

فَمَنْ يُبَارِي أبَا حَفْص وَسيرَتَهُ ... أَوْ منْ يُحَاولُ للْفَارُوق تَشْبيهَا

يَوْمَ اشْتَهَتْ زَوْجُهُ الحَلْوَى ... فَقَالَ لَهَا: منْ أَيْنَ لي ثَمن الحَلْوَى فأَشْرِيْهَا

مَا زَادَ عَنْ قُوتنَا فالمُسْلمُونَ به أَوْلَى ... فَقُومي لبَيْت المال رُدِّيهَا

فَذَاكَ أَخْلاقُهُ كَانَتْ وَمَا عَهِدْتُ ... بَعْدَ النُّبوَّةِ أخلاقٌ تُحَاكِيهَا

واسمع للمصطفى ﷺ وهو يضع الأوسمة على صدر عمر الفاروق فيقول كما في سنن الترمذي من حديث ابن عمر وهو حديث حسن قال ﷺ: «**إنَّ اللَّهَ جَعَلَ الحقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهُ**»(١)

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال:

« **بَيْنَا أَنَا نَائمٌ رَأَيْتني في الجنَّة، فَإِذَا امْرأَةٌ تَتَوضَأُ إلي جَانب قَصْر، فَقُلْتُ: لمنْ هَذَا القَصْرُ؟ قالُوا: لعُمَرَ فَذَكَرتُ غَيْرتَهُ فَوليتُ مُدبراً، فَبَكَى عُمرُ وقال: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يا رَسُولَ اللَّه ؟**»(٢)

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بَيْنَا أَنَا نائمٌ رَأَيتَ النَّاسَ يُعْرَضُونَ وَعَلَيْهِم قُمُصٌ، فَمنها مَا يَبلغُ الثدْي،ومنهَا مَا يبلغُ دُونَ ذَلكَ، وعُرِضَ عَليَّ ابنُ الخطَّاب وَعَلَيْه قَميصٌ يَجُرُّه**» قَالُوا: فَمَا أَوَّلتهُ يَا رسولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**الدِّينُ**»(٣)

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -

---

(١)أخرجه الترمذي رقم (٣٦٨٣) في المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه، وإسناده حسن، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢)رواه البخاري رقم (٣٦٨٠) في فضائل أصحاب النبي ﷺ باب فضائل عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه، وفي النكاح، وفي التعبير، مسلم رقم (٢٣٩٥) في فضائل الصحابة باب فضائل عمر بن الخطاب وفي الإيمان وفي التعبير، ومسلم رقم (٢٣٩٠) في فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه.

(٣)رواه البخاري رقم (٣٩١) في فضائل أصحاب النبي ﷺ باب مناقب عمر بن الخطاب، وفي الإيمان، وفي التعبير، ومسلم رقم (٢٣٩٠) في فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه، والترمذي رقم (٢٢٨٧) في الرؤيا، باب ما جاء في رؤيا النبي ﷺ، والنسائي (٨/ ١١٣) في الإيمان باب زيادة الإيمان.

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بَيْنَا أَنَا نَائمٌ أُوتيتُ بقَدح لَبَن، فَشَرِبْتُ منْهُ حَتَّى إنِّي لأرى الريَّ يَخْرُجُ منْ أَظْفَارِي، ثمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الخطاب**» قال من حوله: فما أولت ذلك يا رسول اللَّه؟ قال: «**العلم**»[1].

وفي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: استأذن عمر على النبي ﷺ ،وعنده نسوة من قريش يكلمنه - وفي رواية يسألنه ويستكثرنه - عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب، فأذن له النبي ﷺ فدخل عمر والنبي ﷺ يضحك، قال عمر: أضحك الله سنك، بأبى أنت وأمى ما أضحكك؟ فقال: «**عَجِبتُ منْ هؤلاء اللاَّتي كُنَّ عنْدي، فَلمَّا سَمعْنَ صَوْتَك ابْتَدَرْنَ الحجَابَ**» قال عمر: فأنت يا رسول الله لأحق أن يهبن، ثم قال عمر: أى عدوات أنفسهن، أتهبنني ولا تهبن النبي ﷺ ؟ قلن: نعم أنت أفظ وأغلظ من النبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : «**إيه يَا ابْنَ الخطَّاب، وَالَّذي نَفْسي بيَده مَا لَقيَكَ الشَّيطَانُ سَالكًا فجًا إلاَّ سَلَكَ فجًّا غَيْرَ فجِّكَ**»[2].

يسب عمر فاروق الأمة ؟!!

يسب الخيران ؟!! أسأل الله جل وعلا أن يجمعنا بهما في جنات النعيم.

---

(١) رواه البخاري (٣٦٨١) في فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه، وفي العلم والتعبير، ومسلم رقم (٢٣٩٠) في فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر بن الخطاب، والترمذي رقم (٢٢٨٥) في الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ اللبن والقمص.

(٢) رواه البخاري (٧/٣٧) في فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه، ومسلم رقم (٢٣٩٦) في فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه.

وأخيرًا: « هم القدوة فاعرفوا لهم قدرهم»:

وأكتفي بهذا الأثر الذي رواه أحمد بسند حسن من حديث ابن مسعود موقوفًا عليه رضي الله عنه قال: من كان مُسْتَنًّا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ولإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم.

أيها الوالد الكريم :

تعلم سير الصحابة، وَعلِّم أبناءك سير الصحابة، لقد آن الأوان لنرنو بأبصارنا إلى هذه القمم... إلى هذه القدوات... إلى هذه المُثل... إن شبابنا الآن قدمت له قدوات فاسدة ومُثل هابطة، تعلم الكثير عن هؤلاء الأقزام في الوقت الذي لا يعلم فيه شيئًا عن هذه القمم الشماء، وعن هؤلاء الأطهار الخيار الكرام.

تعلم سيرة أصحاب النبي ﷺ، عُد من جديد واسمع السيرة.. اقرأ السيرة ... اجتهد على أن تسأل عن سيرتهم بعد ما حرمنا من صحبة أنفاسهم وأجسادهم، وربِّ ولدك على هذه السيرة لنأخذ العبرة والعظة من ناحية ولتتدفق من جديد في عروقنا دماء العزة والكرامة والزهد والورع من ناحية أخرى والتي ضرب لها أروع المثل أصحاب النبي ﷺ.

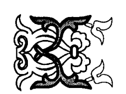
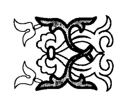
إننا نعيش زمانًا قدم فيه التافهون ليكونوا القدوة والمثل، وآن الأوان لأن ترنو جميع الأبصار إلى هذه القدوات الطيبة والمثل العليا ويجب

عليك أن تغار لأصحاب نبيك ﷺ إذا قرأت كلمة تمس عرض واحد منهم، يجب عليك أن تغار، ودَعْكَ من هذه السلبية القاتلة.

فهؤلاء هم رموز الأمة، لا ينبغي أن تسقط هذه الرموز، لا ينبغي أن تشوه صورهم.

أسأل الله عز وجل أن يقر أعيننا وإياكم بنصرة الإسلام وعز الموحدين، وأن يجزي عنا نبينا خير الجزاء، وأن يجزي أصحاب النبي ﷺ خير ما جزى به عباده الصالحين المصلحين، وأن يجمعنا بهم في جنات النعيم

. . . الدعاء

الهزيمة النفسية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له،ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله ،وحده لا شريك له،وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾

[الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله،وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة،وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد: فحيا الله هذه الوجوه الطيبة المشرقة ،وزكّى الله هذه الأنفس،وشرح الله هذه الصدور، وطبتم جميعًا وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله جل وعلا الذي جمعنا وإياكم في هذا

البيت المبارك على طاعته أن يجمعنا وإياكم في الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى ﷺ في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

لقد ابتلي المسلمون بنكبات وأزمات كثيرة مرورًا بأزمة الردة الطاحنة والهجمات التتارية الغاشمة والحروب الصليبية الطاحنة وسقوط الأندلس، وزوال ظل الخلافة، وضياع القدس الشريف!!.

فإن الأمة مع كل هذه الأزمات والنكبات كانت تملك مقومات النصر من إيمان صادق بالله واعتزاز بهذا الدين . . . أما اليوم فقد فقدت جُلَّ مقومات النصر !! في الجانب الإيماني، والجانب المادي، على السواء، فهزمت هزيمة نفسية نكراء وهذا هو موضوعنا مع حضراتكم اليوم في هذا اللقاء

« الهزيمة النفسية»

وكعادتنا فسوف نركز الحديث مع حضراتكم تحت هذا العنوان المهم في العناصر التالية :

أولا: أعراض الهزيمة النفسية.

ثانيا: أسباب الهزيمة النفسية

وأخيرا: العلاج.

فأعرني قلبك وسمعك فإن هذا الموضوع في هذه الأيام من الأهمية والخطورة بمكان، واللهَ أسألُ أن يجعلني وإياكم جميعًا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ،وأن يقر أعيننا وإياكم بنصرة الموحدين وعز الإسلام والمسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أولا: أعراض الهزيمة النفسية.

أيها الأحبة: إن للهزيمة النفسية أعراضًا كثيرة خطيرة أهمها ما يلي:

العرض الأول: تنحية الشريعة الربانية وتحكيم القوانين البشرية:

وهذا بلا منازع هو أخطر أعراض الهزيمة النفسية التي نُكِبَت بها الأمة المحمدية في العصر الحديث.

يقول الله عز وجل: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّام نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] فالأيام دول، والصراع بين الحق والباطل صراع دائم لا ينتهي ولن ينتهي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولا شك على الإطلاق أن الدولة والجولة الآن للغرب الذي انتصر في الجولة الأخيرة ،فراحت الأمة المهزومة عسكريًّا، واقتصاديًّا، ونفسيًّا تحاكي الغرب الذي انتصر في هذه الجولة.

وياليت الأمة راحت تنقل أروع ما وصل إليه الغرب في الجانب العلمي والتكنولوجي! ولكنها بكل أسف نقلت ما وصل إليه الغرب في الجانب العقدي والإيماني والأخلاقي والروحي حتى رأينا من بني جلدتنا من يدندن على هذا الوتر، يمجد الغرب ويسبح بحمده، حتى قال قائل: قد عزمنا على أن نأخذ كل ما عند الغربيين حتى الالتهابات التي في رئاتهم والنجاسات التي في أمعائهم!! ولله در القائل:

قَالُوا لَنَا الغَرْبُ قُلتُ: صناعةٌ!! وسياحةٌ ومظاهرٌ تغرينا

لَكنَّهُ خاو منَ الإيمان لا يَرْعَى ضَعيْفًا أو يَسُرُّ حَزِيْنَا

الغَربُ مَقْبَرَةُ المَبَادئِ لَمْ يَزَلْ يَرْمي بِسَهم المُغْرِيَات الدِّيْنَا

الغربُ مَقْبَرَةُ العَدَالَة كُلَّمَا رُفِعَتْ يَدٌ أَبَدى لَهَا السِّكِّيْنَا

الغَرْبُ يَكْفُرُ بالسَّلام وَإنَّما بِسَلامه الموهُومِ يَسْتَهْوِينَا

الغَربُ يَحْمِلُ خَنْجَرًا ورصاصةً فَعَلامَ يَحْمِلُ قَومنَا الزَّيْتُونَا

كُفْرٌ وإسْلامٌ فَأنَّى يَلْتَقِي	هَذَا بِذَاكَ أيُّهَا اللاَّهُونَا
أنَا لاَ ألُومُ الغَرْبَ فِي تَخْطِيطه	لَكنْ ألُومُ المسْلمَ المفْتُونَا
أُمَّتنَا الَّتي رَحَلَتْ عَلَى	دَرْبِ الخُضُوعِ تُرَافِقُ التِّنِّينَا
وَألُومُ فِينَا نَخْوةً لمْ تَنتَفِضْ	إلاَّ لتَضْربَنَا عَلَى أيْدِينَا!!

راحت الأمة تقلد الغرب المنتصر في هذه الجولة وظنت الأمة المسكينة أنها بتنحيتها للشريعة الربانية وتحكيمها لشريعة الغرب العلمانية!!

ظنت أنها قد ركبت قوارب النجاة وسط هذه الرياح الهوجاء والأمواج المتلاطمة، فخابت الأمة وخسرت وغرقت الأمة وأغرقت، ولا زالت الأمة إلى هذه الساعة تجني ثمار الخذلان واليأس والهزيمة النفسية بل والعسكرية والاقتصادية، والعلمية.

والعودة إلى شريعة رب البرية ليس نافلة ولا تطوعًا ولا اختيارًا، فإن الحياة البشرية من خلق الله، ولن تفتح مغاليق فطرتها إلا بمفاتيح من صنع الله، ولن تعالج أمراضها وعللها إلا بالدواء الذي يقدم لها من يد الله، ولا يمكن أبدًا أن يتعدى هذا الدواء كتاب الله وسنة الحبيب رسول الله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

[النساء: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾ [الاحزاب: ٣٦]

وقال تعالى :﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور: ٥١ـ٥٢]

قـال تعـالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ١ـ٢]

قال ابن القيم:

إذا كان مجـرد رفع الصوت على النبي ﷺ يحبط العمل فما ظنك بمن قدم قوله وفعله وسياسته على قول الله وفعل رسول الله ﷺ؟

أسأل الله أن يرد الأمة إلى الشـريعة الربانية ردًّا جمـيلاً إنه ولي ذلك والقادر عليه.

العرض الثاني: اليأس من إمكانية التغيير:

وهذا عرض خطير أصاب كـثيرًا من المسلمين في هذه الأيام ممن يرددون هذه الكلمـات التي أصبـحت تمثل معـتقـدًا لدى غالب المسلمين فـهم يرددون: «لا فـائدة»، « أنت تؤذن في خرابة»، « أنت تنفخ فـي رماد»، «عش عصـرك» «لا فائدة» «ربى أولادك» «تـفرغ لتجـارتك.. لأولادك.. لمكتبك.. لكرسيك... لوظيفتك!! هلك الناس » !!

إلى آخر هـذه الكلمات الخطيـرة التي تزيد المهزوم هزيمة، والنـشيط يأسًا وخذلانًا.

وقد شخَّص المصطفي ﷺ هذه النفسيات المهزمة تشخيصًا دقيقًا في حديث صحيح رواه الإمام مسلم فقال ﷺ:

« إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُم»[1].

قال الإمـام النووى: أهلكهم برفع الكاف وفتـحها ،والرفع أشـهر ومـعناها: أشدهم هلاكًـا، وأما رواية الفـتح فـمعناها : هو جـعلهم هالكين، لا أنهم هلكوا في الحقيقة.

واتفق العلمـاء على أن هذا الذم إنما هو فـيمن قـاله على سبـيل الازدراء على الناس واحـتقـارهم، وتفضيـل نفسه علـيهم، وتقـبيح أحوالهم؛ لأنه لا يعلم سر الله في خلقه، قـالوا: فأما من قال ذلك تحزنًـا لما يرى في نفسـه، وفي الناس من النقص في أمر الديـن، فلا بأس عليه.ا.هـ[2]

فهذا عَرَض خطير من أعراض الهـزيمة النفسية ألا وهو اليأس من إمكانية التغيير لهذا الواقع المر الأليم الذي تحياه الأمة، ويريد كثير من أبنائها أن يفـرضوا سياسـة الأمر الواقع على النشطين ممن يتحـركون لدين الله ودعوة الله جل وعلا.

العـرض الثـالث: السلبيـة القـاتلة في الدعـوة إلى الله والأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لقد ظللت سماء الأمة سحابة قاتمةٌ من هذه السلبية القاتلة.

المسلم يرى أخاه المسلم على معصية،ويهز كتفيه ويمضى وكأن الأمر لا يعنيه.

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٦٢٣) في كتاب البر ،باب النهي عن قول هلك الناس.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٤٢٤٨) ط. دار الحديث القاهرة.

ولَمْ أرَ في عُيُوبِ النَّاسِ عَيبًا كنَقْصِ القَادِرينَ علَى التَّمَامِ

وفي الحديث الذي رواه البخاري من حديث عبد الله بن عمر: «بَلِّغُوا عنِّي ولَوْ آيةً»[1].

وقال ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدرى: «مَنْ رأى منكُم مُنكَرًا فَلْيغَيِّرْهُ بيَده، فإنْ لَمْ يَستَطِع فَبلِسَانه، فإنْ لَمْ يَسْتطِعْ فَبقَلْبه وَذَلكَ أَضْعَفُ الإيمان»[2].

وتغيير المنكر كما نعلم جميعًا يكون بالضوابط الشرعية المعلومة.

فلا عذر لك أمام الله عز وجل فنحن جميعًا ركاب سفينة واحدة فيها الصالح والطالح ،وإن نجت السفينة نجا الجميع، وإن هلكت هلك الجميع كما في الصحيح من حديث النعمان قال ﷺ:

« مَثَلُ القَائم علَى حُدُود اللَّه وَالواقع فيْهَا كَمَثَلِ قَوْم اسْتَهَمُوا[*] علَى سَفيْنة فَأصَابَ بعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وأَصَابَ بَعْضُهُم أَسْفَلَهَا، فكَانَ الّذينَ في أَسْفَلهَا إذا اسْتَقُوا الماءَ مَرُّوا على مَنْ فَوْقَهُم فَقَالُوا: لوْ أنَّا خَرَقْنَا في نَصيْبنَا خرقًا ولَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا؟ فَإنْ تَرَكُوهُمْ ومَا أَرَادُوا هَلَكُوا، وهلَكُوا

---

(١) رواه البخاري(٦/ ٣٦١) في الأنبياء ،باب ما ذكر عن بنى إسرائيل ،والترمذي رقم (٢٦٧١) في العلم،باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل،وانظر شرح الحديث في «الفتح» حديث رقم (٣٤٦١).

(٢) رواه مسلم رقم (٤٩) فى الإيمان ،باب بيان أن النهى عن المنكر من الإيمان ،والترمذى رقم (٢١٧٣) فى الفتن: باب ما جاء فى تغيير المنكر باليد،وأبو داود رقم (١١٤٠) فى صلاة العيدين : باب الخطبة يوم العيد رقم (٤٣٤٠) فى الملاحم: باب الأمر ، والنهى والنسائى (٨/ ١١١) فى الإيمان: باب تفاضل أهل الإيمان،وأخرجه ابن ماجه رقم (٤٠١٣) فى الفتن، باب الأمر بالعروف والنهى عن المنكر.

(*) استهموا: الاستهام طلب السهم والنصيب ،والمراد به : الاقتراع.

جميعًا، وإنْ أَخَذُوا عَلَى أيْديهِمْ(*) نَجوا ، ونَجوا جَميْعًا»[1]

العرض الرابع: الدفاع عن الإسلام كمتَّهم في قفص الاتهام:

وهذا عـرض خطيـر . . الغرب يـثيـر من آن لآخـر بل في كل آن شبـهات خطيرة ضـد الإسلام مثل: الإسـلام دين إرهاب، الإسلام دين تطرف!! الإسلام ظلم المرأة!! البيت للمرأة المسلمة سجن مؤبد!!

الزوج سجان قاهر!! الأمـومة تكاثر حيواني!! لماذا تزوج محـمد تسعة لماذا يتـزوج الرجل في الإسـلام أربعة؟! لماذا حـرم الإسـلام الخلوة بين الرجل والمرأة ؟!! لماذا حرم الإسلام الاختلاط ؟!

لماذا تقطع يد السارق؟! لماذا يرجم الزاني؟! إلخ. . . شبهات تثار!!

فينبـري للرد على هذه الشبهات فـريق من أهل العلم، ولكن بمنطق أن الإسـلام متـهمٌ في قفص الاتهـام فـتأتي الردود هزيلة، لأنهـا ردود المهزوم نفسيًا.

ومن الجفاء أن أذكر هذا العرض الخطير ولا أُذَكِّر بهذا الوجه المضيء المنيـر لسلفنا الصالح يوم أن اعـتزوا بهـذا الدين وارتفعت به رؤوسـهم لتعانق كواكب الجوزاء.

أو إن شئت فقل لفضلهم وكرمهم تنزلت كواكب الجوزاء لتتوج هذه الرؤوس التي وحدت الله جل وعلا.

فهذا هو ربعي بن عـامر ذلكم البطل المسلم . . ضعيـف البنية قوي

(*) أخذوا على أيديهم : يقال: أخذت على يد فلان: إذا منعته عما يريد أن يفعله.

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٩٤) في الشركة، باب هل يقرع في القسمة، وفي الشهادات : باب القرعة في المشكلات، والترمذي رقم (٢١٧٤) في الفتن، باب ما جاء في تغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب.

الإيمان الذي ركب جـواده، وانطلق لمقـابلـة قائـد الفرس وكـلكم يعلم القصة ولكني أردت أن أنبه لأمر هام ألا وهو الاسـتعلاء .. العزة بهذا الدين ... وأراد الحـرس أن يدخل ربعي علـى رستـم وهو يمشي على قدميه فأبى ودخل على ظهر جواده، فسأله رستم قائد الجيوش الكسروية وقال: من أنتم وما الذي جاء بكم؟

فقـال ربعي : نحن قوم ابتعـثنا الله لنخرج العبـاد إن شاء الله من عـبـادة العبـاد إلى عـبـادة رب العـباد ،ومن جـور الأديان إلى عـدل الإسلام،ومن ضيق الدنيـا إلى سعة الدنيا والآخرة .. ابتـعثنا الله بدينه لندعو الناس إليـه فمن حال بيننا وبين دعـوة الناس إلى دين الله قاتلناه حتى نفضي إلى موعود الله .

قال رستم: وما موعود الله ؟!

قال ربعي: الجنة لمن مات على ذلك والنصر لمن بقي منا .

فقـال رستم: لقد سمـعت مقالتك فـهل لكم أن تؤجلوا هذا الأمر لننظر فيه ولتنظروا؟! فقال ربعي :كم أحب إليكم،يوم أو يومان؟

قال رستم:لا، بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا.

قال ربعي: لا ،قال رستم:ولم ؟! قـال: ما سنَّ لنا رسول الله ﷺ أن نُؤجِّل الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث فانظر أمرك وأمرهم.

قال رستم: أسـيدهم أنت؟ قال:لا ولكن المسلمين كالجـسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم .

عزة.. اسـتعلاء .. الأمة أمـا الآن قد شربت كـؤوس الذل والهوان ألوانًا وأصنافًا وأشكالاً،هزمت وراحت لتركع ولتخضع في محراب الشرق الملحد تارة ومحراب الغرب الكافر تارة أخرى ولا حول ولا قوة إلا بالله.

العرض الخامس: الخوف من إظهار الهوية الإسلامية:

وهذا عرض فَتَّـاك من أعراض الهزيمة النفسـية، يخشى المسلم الآن في ظل هذه الظروف أن يظهر السنة، وأن يظـهر هويته بعزة واسـتعلاء ويخشى أن يتهم بالإرهاب. يخشى أن يتـهم بالتطرف، ويخشى أن يتهم بالجمود والرجعية والتـخلف، وضيق الأفق، وعدم القدرة على الانفتاح العصري إلى آخر هذه التهم التي يغنى بطلانها عن إبطالها وفسادها عن إفسادها وكسادها عن إكسادها!!

بل تجـد المسلم الآن إلا من رحم الله إذا تعـامل مع غيـر المسلمين أو سافر إلى بلاد الشرق والغرب يأكل كمـا يأكلون، ويشرب كما يشربون !! ويلبس كما يلبسون !! ويتكلم كما يتكلمون !! بل ويخشى أن يقول هذا حلال.. وهذا حرام. وهـذه سنة وهذه بدعة وهذا حق وهذا باطل لماذا؟! لأنه مهزوم من داخله .. هزم نفسيًا فلا يعتز بدينه ورحم الله من قال:

ومـمَّـا زادَنـي فَـخْـراً وتَيـهـًـا ... وكِـدْتُ بأُخْـمُـصي أَطَـأُ الثُّـرَيَّا
دُخُولي تَحْتَ قَوْلكَ يَا عِـبـادي ... وأَنْ أَرْسَلْتَ أَحْمَدَ لي نبـيــًّـا

ارفع رأسك واعتز بتوحيدك ... أعلن هويتك بكل كرامة .. وأعلن السنة.. تمسكك بهـذا الدين فأنت لك وظيفـة .. أنت لك غاية .. لا تعش كهؤلاء الذين قال الله في حقهم: ﴿ **أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** ﴾ [الاعراف: ١٧٩]

وقال تعـالى: ﴿**وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٩]

أحبتي في الله :

إن هذه الأعراض كـانت نتيـجة لأسـباب عديدة وهذا هو عـنصرنا الثانى :

أسباب الهزيمة النفسية:

وأسباب الهزيمة النفسية في واقعنا عـديدة عجيبة منها أسباب داخلية وأخرى خارجية، وبكل أسف اسمحوا لي أن أستهل الحديث بالأسباب الداخلية، لأنه بكل أسف يقلل غالب المسلمين من شأنها مع أن الله عز وجل قال:

﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ١٦٥]

الهزيمة من عند أنفسنا من الداخل

أولا : الأسباب الداخلية:

السبب الأول: ضعف الإيمان عند غالب المسلمين.

أيها الحبيب : هذا بلا منازع أخطر سبب من أسباب الهزيمة النفسية والإيمان ليس قولا باللسان فحسب، ولكن الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالجوارح والأركان.

الإيمان يزيد وينقص،ويقوى ويضـعف ،وهذا أصل من أصول أهل السنة، وقد جسـد لنا الحبيب المصطفى ﷺ هذه الحالة تجسيـدًا دقيقًا في حديـثه الصـحيح الذي رواه أبو نعـيم الديلميُّ وصحـحه الألبـاني من حديث علي - رضي الله عنه - مرفوعًا إلى النبي ﷺ أنه قـال: «**مَـا من القُلُوبِ قَلبٌ إلاَّ ولهُ سَحَابةٌ كَسَحَابة القَمَـرِ فَبَـيْنَا القَمَـرُ مضيءٌ إذَا عَلَـتْهُ**

سَحابةٌ فَأظلمَ فإذا تَجلَّتْ عنه أَضَاءَ» . [1]

فكذلك القلب ،تعلـو القلب من آن لآخر سـحبٌ مظلمـةٌ من آثار المعـاصي والذنوب، فـتضـعف الإيمان في القلـب، فإذا انقـشـعت تلك السـحب ازداد الإيمان في القلب وأشـرق القلب بأنوار التـوحيـد ازداد الإيمان وقوي صاحب هذا الإيمان .

أيها الحبيب! إذا أردت أن تتعـرف على سر الإيمان إذا استقر وازداد في القلوب فبسرعة ارجع إلى التاريخ وعد إلى أصـحاب الحبيب محمد ﷺ الذين حولهم الإيمان من رعاة للإبل والبـقر، والغنم إلى سادة وقادة لجميع الأمم. . .انطلقوا بهذا الإيمان إلى أعظم الإمبراطوريات على هذه الأرض وأقاموا للإسلام دولة وسط صحراء تموج بـالكفر موجًا في فترة لا تساوي في حساب الزمن شيئًا .

الإيمان هو الذي جعل هذا البدوي الذي لا ذكر له في أرض الجزيرة يرفع إلى عنان السـمـاء يوم أن ترس بجـسده على الحـبـيب المصطفي ﷺليجـعل من ظهره حـائطَ صَدٍّ منيع؛ لتـتحطم عليـه رماح وسـيوف الأعداء ليحـمي رسول الله ﷺ وهو يقول للحـبيب ﷺ نحـري دون نحرك يا رسول الله !!

الإيمان هو الذي جعل هذا الـعربي البدوي في أرض الجـزيرة يقول للحبيب ﷺ: والله لا نقول لك ما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ،ولكن نقول لك يا رسول الله : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٢٦٨)، وصحيح الجامع (٥٦٨٢).

إنه الإيمان.... إنه الإيمان الذي يصنع الأعاجيب. فضعف الإيمان سبب خطير من أسباب الهزيمة النفسية عند غالب المسلمين في هذه الأيام أسأل الله أن يزيد إيماننا وإيمانكم إنه ولي ذلك والقادر عليه.

السبب الثاني: ترك الجهاد في سبيل الله :

ترك الجهاد يساوى الذل والهوان والاستسلام، وهذا هو كلام الصادق الذي لا ينطق عن الهوى، ففي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وأبو داود من حديث ابن عمر أنه ﷺ قال: « **إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ البَقَرِ، ورَضِيتمْ بَالزَّرْعِ، وتَرَكْتُمُ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيكُم ذُلاً لا يَنْزِعهُ عَنْكُمْ حتَّى تَرْجِعُوا إِلى دِينِكُمْ**»[١]

إنه الذل ... إنه الهوان بترك الجهاد.[٢]

أيها الأحباب: إن أعداء الأمة يعلمون علم اليقين أن الأمة إذا رفعت من جديد راية الجهاد في سبيل الله لأذلت الشرق والغرب، ولذا هم يحرصون كل الحرص على أن تنحى الأمة عن الجهاد وروح الجهاد وعلى ألا تُربى هذه الأجيال على سيَر الجهاد وسيَر الأبطال الفاتحين لتظل الأمة ذليلة مبعثرة كالغنم في الليلة الشاتية الممطرة. لا عز لهذه الأمة إلا إذا عادت من جديد لترفع راية الجهاد في سبيل الله العزيز الحميد ولترفع ذروة سنام هذا الدين.

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣٤٦٢) في البيوع ،باب فى النهي عن العينة وصححه شيخنا الألباني في صحيحه رقم (١١) ،والعينة: نوع من أنواع البيوع الربوية المحرمة.

(٢) راجع خطبة (سلعة ثمنها الجنة) الجزء الثالث من كتاب الخطب ص (٧٥) .

السبب الثالث: عدم المعرفة عند غالب المسلمين بطبيعة الطريق

إن الطريق إلى الله ليس هينا أيها المسلمون ... الطريق إلى الله ليس مفروشًا بالورود والزهور، بل إن الطريق مفروش بالدماء والأشلاء، محفوف بالعنت وبالأذى والابتلاء، فيأتي كثير من الناس يردد كلمة الإيمان يحسبها سهلة هينة، يرددها في وقت الرخاء وهو يظن أن الكلمة هينة، فإذا ما تعرض على الطريق الأول محك عملي من الفتن والأذى انقلب على عقبيه وتخلى عن طريق الله جل وعلا.

فهو يردد كلمة التوحيد والعقيدة فإن ربحت فهو مع الرابحين.

قال سبحانه: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ** ﴾ [الحج: ١١].

فلابد من معرفة طبيعة الطريق حتى لا تنزلق مع أول منعطف من المنعطفات على طريق المحن والفتن والابتلاءات قال تعالى:

﴿ **الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾ [العنكبوت: ١-٣]

أخي الحبيب: لابد أن تعي هذه الطبيعة حتى لا تنقلب على عقبيك فمن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا.

قال تعالى: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٤]

السـبب الـرابع:عـدم المعرفـة عند غـالب المسلمين بالقـدرات والإمكانيات والطاقات مع قلة الطموحات .

فهـذا سبب خطير من أسـباب الهزيمة النفـسية دائمـا نقلل من شأن الطاقات والقدرات والإمكانيات الهائلة التى من الله بها علينا،من أرض ومناخ وأموال وثروات وعنصر بشري هائل جبار فضلاً عن إسلام رضيه العزيز الغفار للبشـرية كلها دينًا،ومع ذلك ترى من أبناء الأمة من يقلل من قدر هذه القدرات والطاقات والإمكانيات.

أيها المسلمون: إن أموال المسلمين هي التي تدير دفة السياسة العالمية في بنوك الشرق والغرب.

إن عـقول المسلمين والعـرب هي التي تخطط وتبني في بلاد الشـرق والغرب اسألوا عن علماء الذرة.اسألوا عن علماء الجيولوجيا.!! اسألوا عن علماء الهندسـة.!!عقول إسـلامية وعربيـة حُجِرَ عليـها في بلادها فقـوبلت بقانون الروتين القـاتل للإبداع، فرحلت فـاستقـبلت في بلاد الشرق والغـرب استقبـال الأبطال الفاتحين، ومنحوا الإمكانيـات الهائلة للعمل والعطاء والإبداع فأبدعوا وهذا واقع نعيشه الآن.

لقد مررت على جسر رهيب جدا في نيويورك على المحيط لو نظرت إليه كـاد عقلك أن يطيش وكـانت المفاجـأة حينما وصلنـا إلى الشاطئ الآخر ووقف مرافقى فقال لي: هل تعلم أنَّ الذي صمم هذا الذي ترى مهندس مسلم من باكستان؟؟ هذه عقولنا!!

أيهـا المسلمـون: إن سلاحـا واحدا كسلاح البـترول استخـدمه المسلمون والعرب استخدامًا صحيحًا للحظات فانقلبت الموازين كلها.

إن عندنا قدرات وطاقات وإمكانيات وثروات هائلة، ولكننا لا نحسن

الاستخدام ونقلل دائما من شأن هذه القدرات والطاقات في الوقت الذي لا نرى فيه طموحًا على الإطلاق... لا يمكن أبدًا أن ترى شابًّا يطمح الآن إلا في أن يتخرج في الجامعة، وأن يتـزوج بفتاة جميلة، وأن يسكن سكنًا مؤثثا تأثيثا فاخرًا، وإن من الله عليه بسيارة فالحمد لله وهكذا.

هل فكر في هذا الدين ؟! هل فكر في أن يغـير أمتـهُ؟ أبدا لا يفكر في هذا؟! ولا يطمح لهذا؟!ويظل المسلم غالبا لا ينظر إلا تحت قدميه!!

وَمَنْ يَتَهَيَّبْ صُعُودَ الجبالِ　　يَعِشْ أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الحُـفَـرِ

وأختم هذه الأسباب حتى لا أطيل بهذا السبب الهام ألا وهو:

السبب الخامس: النظرة الضيقة للزمان والمكان.

شبابنا الآن ينظرون للمكان والزمان نظرة ضيقـة فتصيبهم هذه النظرة باليـأس والقـنوط كـيف؟ كـثـرت الفتن!! قل الملـتـزمـون!! كـثـرت المتبرجات!! الكتاتيب توقفت!! إذن بعد فترة لن نرى حافظًا للقرآن!!

هذه النظرة الضيـقة للمكان الذي يعيش فـيه تصيبـه باليأس والقنوط فيهزم هزيمة نفسية قاتلة فـيشل عقله وفكره، بل وحركته إن كان يستطيع أن يفعل شيـئا، يتوقف تماما عن فعل أى شـيء مع أنه لو خرج بها من قـريته أو مـدينته أو دولتـه ونظر نظرة أوسع ،ونظرة أشـمل إلى المكان ليعلم يقينا أن الأرض ما خلت ولن تخلو أبدًا من أبناء الطائفة المنصورة التي لا يخلو منها زمان ولا مكان بشهـادة الصادق سيد ولد عدنان.. كن واسع النظرة، كن شـمولي النظرة كذلك، لا تنظـر إلى الزمان نظرة ضـيقـة فشـبـابنا الآن يقولـون : ضاع الدين .. هزمت الأمـة .. إن الإسلام يتـعرض لأشد الهجـمات.. بل إنَّ المسلمين يتعرضـون لأشد الضربات على أيدي الأعداء!! : يقـولون إذن لا فائدة !! إلى آخر هذه

الكلمات مع أنه لو نظر نظرة واسعة للزمان لعلم يقينا أن الأمة قد نكبت نكبات أشد ومع ذلك غير الله الواقع وبدل الله الحال.

أخي الحبيب: إني أقول لك بلغة يحدوها الأمل وبقلب ملأه اليقين إن هذا الواقع سيتغير وإن هذا الحال سيتبدل.

يا مسلمون: لقد هجم التتار على المسلمين فمُلئت شوارع بغداد بأكوام اللحوم والأشلاء، وانطلقت الدماء في الشوارع كالأنهار بلا مبالغة، تعفنت الجثث من كثرة اللحوم والأشلاء، بل ولم تُصَلَّ صلاة جماعة في مسجد واحد من مساجد بغداد أربعين يوما إلى هذا الحد؟! نعم أغلقت المساجد..!!

كان المسلم يخشى أن يخرج إلى المسجد خوفا من القتل!!

كان المسلم إذا رأى التتاري، يقف في مكانه لا يتحرك خطوة حتى يأتي المجرم ليقتله!! انظر إلى حجم الهزيمة من الداخل.

ومع ذلك سلط الله على التتار مَنْ هزمهم شر هزيمة وغير الله الحال وبدل الله الواقع .

الصليبيون هجموا على المسلمين ووضعوا الصلبان على كل حوائط المسجد الأقصى .. بل ومنعت الصلاة في المسجد الأقصى واحدا وتسعين عاما.. تدبر وتذكر التاريخ، ومع ذلك قيض الله للأقصى من يطهره ، وبدل الله الحال وغير الله الواقع .

وإن كان الله قد قيض للأقصى من يطهره فإننا على يقين جازم أن الذي قيض للأقصى مَنْ طَهَّرَه حيٌّ لا يموت.

فَلَئِنْ عَرفَ التَّاريخُ أَوْسًا وَخَزْرَجًا فَلِلَّـه أوسٌ قَادِمُـونَ وَخَـزْرَجُ
وَإِنَّ كُنُوزَ الغَيْبِ تُفْضِي طَلائِعًا حُرَّةً، رَغْمَ المَكائِدِ تُخْـرَجُ!!

أيها المسلمون! وهجم القرامطة على المسلمين في بيت الله الحرام.. فقتلوا المسلمين في الكعبة وهم يلبسون ملابس الإحرام، وامتلأ بيت الله بالدماء والأشلاء وانطلق المجرم أبو طاهر القرمطي قائد القرامطة فانتزع الحجر الأسود من الكعبة المشرفة وصرخ في جوف بيت الله ورفع رأسه إلى السماء وقال: أين الطير الأبابيل؟! أين الحجارة من سجيل؟!

إنها فتنة تعصف بالقلوب يا عباد الله ،وظل الحجر الأسود بعيدا عن الكعبة المطهرة ما يزيد على عشرين عاما.

ومع ذلك غير الله الحال وبدل الله الواقع

فيا أيها المسلمون! لا تيأسوا ولا تقنطوا،ولا تنظروا للزمان نظرة ضيقة، ولا تنظروا للمكان نظرة ضيقة فهذا من أخطر أسباب الهزيمة النفسية الداخلية.

أما الأسباب الخارجية للهزيمة النفسية: فنراها بالجملة حتى لا نطيل تتمثل في السبب الخطير « التضخيم والتهويل من قوة أعداء الإسلام»

وَتَرٌ يعزف عليه بالليل والنهار بقصد أو بغير قصد ... قوة الأعداء .. القنابل النووية... القنابل الجرثومية ،.. الصواريخ .. الطائرات والدبابات ... العلم والتكنولوجيا.

لا نود أن ننفي بما وصل إليه الغرب في هذا الجانب، ولكننا نود أن نقول ينبغي أن نعلم يقينا أن الله عز جل ما أمر المسلمين بالإعداد إلا على قدر الاستطاعة فقال سبحانه:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٠]

وعبَّرَ الله جل وعلا بالقوة بصيغة التنكير ليبحث المسلمون عن القوة التي تناسب كل عصر ومصر: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠].

فما عليك إلا أن تبذل أقصى ما في استطاعتك فإن علم الله منك أنك قد عملت أقصى ما في طاقتك وما في وسعك، فاصبر واطمئن وكِّل النتائج إلى من بيده الكون كله.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]

والله لو علم المسلمون قدر قوة الله وازداد إيمانهم وثقتهم بالله، لغَيَّرَ الله الحال ولبدَّل الله الواقع لأن الله عز وجل لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

فلنعد إلى الله ابتداءً ولنحقق الإيمان؛ لأن الله قد علق النصرة به ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] فلا ينبغي أن نضخم من قوة الأعداء في الوقت الذي يجب علينا فيه أن نبذل أقصى ما في استطاعتنا لإعداد القوة ،وقد شاء الله أن يرينا كيف أرغم الفتناميون أمريكا ووضعوا أنفها في التراب؟!!

وكيف وضع الصوماليون الحفاة العراة الجياع أنف أمريكا في التراب؟!! يوم أن جَرَّ شباب الصومال بعض الجنود الأمريكيين في الشوارع والطرقات،ونقلت وكالات الأنباء هذه الصورة فاضطرت أمريكا أن تسحب جيوشها من الصومال في الحال.

كيف وضع المسلمون في البوسنة أنف لا أقول الصرب فحسب، وإنما أقول كيف وضع المسلمون في البوسنة أنف تآمر عالمي حاقد يهودي صليبي علماني رهيب؟!!!

كل المراقبين قرروا أن الحرب في البوسنة لن تستمر أكثر من أسبوع وصمد المسلمون في البوسنة!!

كل المراقبين قرروا أن الحرب في الشيشان لن تستمر أكثر من ثلاثة أيام وصمم المسلمون في الشيشان ومرَّغوا أنف الدب الروسي الغبي في التراب.

والأفغان يوم أن صَدَقوا الله ورفعوا الراية للجهاد في سبيل الله وضعوا أنف الدب الروسي في التراب ،ويوم أن رفعوا الراية للعصبية المنتنة سلَّط الله بعضهم على بعض لِنَعِي سنةً ربانية لا ينبغي أن نتجاهلها أبدا.

أيها الأحبة: يجب علينا أن نعي هذه الحقيقة، وألا نبالغ، لأن هذه المبالغة تزيد المهزوم هزيمة، وتزيد المنتصر على نفسه خذلانا وتكاسلا وأكتفي بهذا القدر لأعرج سريعا على العنصر الأخير وذلك بعد جلسة الاستراحة وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ﷺ اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد فيا أيها الأحبة الكرام

« فما هو العلاج »

العلاج في نقاط سريعة لا تحتاج إلى تفصيل

أولا: معرفة أسباب الداء فإن تشخيص الداء نصف الدواء

ثانيا: العودة الجادة الصادقة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتربية أفراد الأمة على العقيدة الصحيحة بشمولها وكمالها ولا بد أن نعى أن العقيدة الآن هي التي تحرك العالم كله، فالحرب في الشيشان حرب عَقَدِية، والحرب في الصومال حرب عقدية . . الحرب في فلسطين حرب عقدية . . والحرب في كشمير حرب عقدية. والحرب في البوسنة حرب عقدية.

فلابد أن نربى الجيل على العقيدة الصحيحة بشمولها وكمالها.

ثالثا: التخلص من الوهن الذي حذر منه النبي ﷺ.

كما في الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود من حديث ثوبان أن

النبي ﷺ قال: «يُوشكُ أنْ تدَاعى علَيْكُمُ الأُممُ، كَمَا تدَاعَى الأكَلَةُ إلى قَصْعَتهَا»، قَالُوا: أوَ منْ قلَّة نَحنُ يَومَئذ يا رسُولَ اللَّه؟ قَالَ: «كَلاَّ أَنتُمْ يَوْمئذَ كـثيرٌ ولكنْ غُثَـاءٌ كغُثَاء السَّيل، وليُـوشكنَّ اللَّهُ أنْ يَنزعَ المهابةَ منْ قلوبِ عدوِّكم وَلَيَقْذفنَّ في قُلُوبكُمُ الوهَنَ»، قيل: ومَا الوهَنُ يا رسول اللَّه؟ قال: «حُبُّ الدُّنْيَا وكَراهيةُ الموت»[1]

رابعا: تربية شباب الأمة على روح الجهاد في سبيل الله

خـامسـا: العودة الصحـيحة إلى التاريخ وسيـر السلف الصالح لا لمجرد الثقـافة الذهنية الباردة ،وإنما لأخـذ العبرة من ناحيـة ولتتدفق في عروق الأجيال دماء الغيرة والعزة والكرامة من ناحية أخرى.

وأخيرا: الاعتزاز المطلق بهذا الدين وفي نصرة رب العالمين.

قـال الله تعـالى: ﴿ وَعَـدَ اللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا منكُمْ وَعَـملُوا الصَّـالحَـات لَيَـسْتَـخْلفَنَّهُمْ في الأَرْض كَـمَا اسْتَـخْلَفَ الَّذينَ من قَـبْلهمْ وَلَيُـمَكّنَنَّ لَهُمْ دينَهُـمُ الَّذي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُـبَـدّلَنَّهُم مّنْ بَعْـد خَـوْفـهمْ أَمْنًا يَعْبُـدُونَني لا يُشْرِكُونَ بي شَيْئًا ﴾ [النور: ٥٥]

﴿إنَّ الَّذينَ كَفَرُوا يُنفقُونَ أَمْوَالَهُمْ ليَـصُدُّوا عَن سَبيل اللَّه فَسَيُنفقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذينَ كَفَرُوا إلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾

[الأنفال: ٣٦]

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٢٩٧) في الملاحم ،باب تداعى الأمم على الإسلام وفي سنده أبو عبد السلام صالح بن رستم الهاشمي، وهو مجهول لكن قـد رواه أحمد (٥/٢٧٨) من طريق آخر بسند قوي، وصحـحه شيخنا الألباني في الصحيحـة (٩٥٦)، وصحيح الجامع (٨١٨٣).

وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]

قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]

قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾

[الإسراء: ٨١]

أسأل الله عز وجل أن يتقبل منا وإياكم صالح الأعمال، وأن يرزقنا وإياكم العز والاستعلاء بالإيمان بهذا الدين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

. . . الدعاء.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل لـه،ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله ،وحده لا شريك له،وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾

[الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله،وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة ،وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد: فحيا الله هذه الوجوه الطيبة المشرقة ،وزكّى الله هذه الأنفس،وشرح الله هذه الصدور، وطبتم جميعًا وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلا،وأسأل الله جل وعلا الذي جمعنا وإياكم في هذا البيت المبارك على طاعته أن يجمعنا وإياكم في الآخرة مع سيد الدعاة

المصطفى ﷺ في جنته ودار كرامته، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله :

« صفحات سود من تاريخ يهود»

هذا هو عنوان لقائنا مع حضراتكم في هذا اليوم الكريم المبارك وكعادتنا فسوف ينتظم حديثنا مع حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية.

أولا: اليهود ومراحل الصراع.

ثانيا: أسئلة مريرة.

وأخيرا: ما السبيل؟

فأعيرونى القلوب والأسماع جيدا فإن هذا الموضوع في هذه الأيام من الأهمية بمكان .

أولا: اليهود ومراحل الصراع :

أيها الأحبة: إن الصراع بين الحق والباطل صراع قديم قدم الحياة على ظهر هذه الأرض، والأيام دُول كما قال الله جل وعلا :

﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] ، ولا شك أننا نعيش مرحلة من مراحل الدولة للباطل وأهله، يوم أن انشغل عن الحق أهله حيث تمكن أخس وأحقر وأذل أمم الأرض من أبناء يهود من إقامة دولتهم اللعينة الحقيرة على الثرى الطاهر في الأرض المباركة، وسيطروا على مسرى الحبيب محمد ﷺ وحركوا منبر صلاح الدين، بل وهم يقومون الآن بحفريات خطيرة في المسجد الأقصى لهدمه وتدميره وإقامة ما يسمونه بالهيكل المزعوم.

ومنذ أسبوعين فقط صرح أكبر حاخاماتهم في القدس بأنه لابد من هدم المسجد الأقصى لإقامة ما يسمونه بالهيكل المزعوم ثم قال: إن العرب سيغضبون أول الأمر لكن سيصبح الأمر عاديا بعد ذلك.

وهذا هو رئيس وزراء إسرائيل الجديد يصرح بمنتهى الصراحة

والوضوح ويقول: لامجال الآن للحديث عن تقسيم القدس فإن القدس عاصمة موحدة لأسرائيل .

يعلن بذلك الهوية اليـهودية بمنتهى الصراحـة والوضوح في الوقت الذي لازال فيه الكثير ممن ينتسـبون إلى هذا الدين يجهلون هذه الطبيعة اليـهودية أو يتـجـاهلونهـا على حد سـواء وها أنذا اليـوم أريد أن أبين للجميع من هم اليهود فأعيروني القلوب والأسماع جيدًا .

أيها المسلمون: اليهود منذ البداية هم نسل الأسباط الاثنا عشر ليوسف وإخـوته نزحوا إلى مـصر بدعـوة من نبي الله يوسف عـلى نبينا وعليـه الصلاة والسلام ،فعزلوا أنفسـهم عن المصريين وأبوا أن يندمجوا مع الشعب المصري على اعتبار أنهم من نسل الأنبياء فـتكاثر نسلهم وهم يتواصون فيما بينهم بعدم الاخـتلاط،وبالعزلة ليبقـى لكل سبط من الأسباط نسله المتـميز المعروف فكرههم الشعب المصرى ونبذهم، وزادت الهوة بين الشعب المصري وبين أبناء اليهود يومًا بعد يوم حتى سامهم فرعون مصر سوء العذاب.

ولما أرسل الله نبيه موسى عليه السلام إلى فرعون بقوله سبحانه:

﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (١٧) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات :١٧-١٩]

رأى اليـهود من بني إسـرائيل في موسى حـبل النجاة فـآمن به بنو إسرائيل لعل الله أن يـنجيهم من فـرعون وملَئه فنجـاهم الله جل وعلا وشق لهم طريقـا في البحـر يبـسا وأغـرق فرعـون وجنوده وامتن الله عليهـم بهذه النعمـة فقـال سبـحانه: **﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾** [البقرة : ٤٩: ٥٠]

ومع ذلك لما تركهم نبي الله موسى كفروا بالله سبحانه، وتمردوا على نبى الله هارون ،وعبدوا العجل الذهبى من دون الله العلي.

فلما انطلق نبي الله هارون ليقول لهم ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠) قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه : ٩٠:٩١]

فلما رجع إليهم نبى الله موسى ردّوا عليه باستعلاء واستكبار قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة :٥٥]ثم بعثهم الله من بعد موتهم لعلهم يشكرون، ولعلهم يتوبون إلى الله جل وعلا ولكنهم عاندوا وأعرضوا وازدادوا كفرًا فرفع الله جل وعلا فوق رؤوسهم جبل الطور كأنه ظلة تهديدًا ووعيدًا فارتعدت قلوبهم واضطربت نفوسهم وأعطوا العهود والمواثيق من جديد ولكنهم سرعان ما نقضوا العهود.

أيها المسلمون : هذه طبيعة اليهود وجبلتهم التي لا تفارقهم إلى قيام الساعة نقضوا العهد مع الله جل وعلا ونقضوا العهد مع نبى الله موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام واعتدوا يوم السبت فعاقبهم الله عز وجل فمسخهم قردة وخنازير كما قال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة : ٦٥:٦٦]

وقال سبحانه في سورة المائدة: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة :٦٠]

ثم أمرهم الله أن يدخلوا الأرض المقدسة مع نبى الله موسى فكذبوا وعاندوا وأعرضوا وأبوا ورفضوا أمر الله عز وجل،فحكم الله عليهم

بالتيه في الأرض أربعين سنة.

وبعد هـذه المدة الطويلة مَنَّ الله عليهم فـأدخلهم الأرض المقـدسة ولكن سرعان ما نقضوا العهد مرة أخرى مع الله جل وعلا فبدّلوا قولاً غير الذي قيل لهم.

فاليهود لا عـهد لهم ولا ذمة، ونقضوا العهد مع الله، ونقـضوا العهد مع نبي الله موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

ثم توالت عليـهم الأنبيـاء تترا بعـد نبي الله مـوسى فكذبوا فريقًـا من الأنبياء، وقتلوا فريقًا آخر كما قال الله جل وعلا: ﴿**أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧) وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ**﴾ [البقرة: ٨٧-٨٨]

كما أرسـل الله عز وجل إليهم بعد ذلك نبـيه عيسى عليـه السلام فاتهـموه منذ اللحظة الأولى أنه ولد زنا وأجـمعوا على قـتله بل أعلنوا ذلك في صراحة ووقاحة كـما قال الله عز وجل حكاية عنهم في سورة النساء: ﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ**﴾ [النساء: ١٥٧]

ولم يكتفوا بما أعلنوه مع نبي الله عيسى في حياته معهم بل دونوا افتراءاتهم عليه لأجيالهم المتلاحقة في كتابهم الخبيث الموسوم بالتلمود.

وأكتفي بذكر فقرة واحدة من هذا الكتاب الفاجر الجنسي الوقح في حق نبي الله عيسى تقول هذه الفقرة: «يسوع النصارى في لجات الجحيم بين الزفت والقطران والنار وأمه مريم قد أتت به من الزنا» وأعلن اليهود الحرب على التوحيد الذي جـاء به نبى الله عيسى، وأعلنوا الحرب على الموحـدين من أتباع عـيسى - عليـه السـلام - فسلط الله عليـهم من لا

يرحمهم فسامهم الرومان سـوء العذاب، ومزقهم الرومان شر ممزق فإذا هم أشتات وشرازم مبعثرة لا يخلو منهم مكان.

ساحوا في الأرض بعد ضربات الرومان المتلاحقة.

ومن الأرض المباركة التي ابتليت بشرزمة قذرة عفنة من هذه الشرازم الممزقة المدينة الطيبة مدينة رسول الله ﷺ

«اليهود في المدينة»:

انطلق اليهود إلى المدينة وهنالك أعلنوا أن الله عز وجل قد وعدهم في التوراة أنه سيبعث نبـيا ،وبينت التوراة صفة النبي ﷺ، بل وبيـنت الأرض التي سيبعث فـيها هذا النبى،واستعلى اليهود بمبـعثه بل تعالوا بذلك على الأوس والخزرج،وانتظروا مـبعث النبي ﷺ ظنـا منهـم أنه سيبعث منهم فهم شعب الله المختار كما يزعمون.

وظلوا يتـربصون هذه البـعثة، لـيجمع لـهم النبي المنتظر الملك من جديد فبعث الله نبيه المصطفي ﷺ من العرب لا من اليهود ،وقام النبي ﷺ يدعوا الأمة كـافة إلى لا إله إلا الله ومن هذه اللحظة كفـر اليهود برسول الله ﷺ وأعلنوا الحرب والعداء لدعوته ورسالته.

قال الله جل وعلا:

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩]

وقال تعـالى: **﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾** [البقرة: ١٤٦]

كفـروا برسول الله ﷺ بل لما ذهب عبد الله بن سلام حـبر اليهود

إلى النبي ﷺ ونظر في وجهه وعلم أن وجه النبي ﷺ ليس بوجه كذاب آمن بالنبي ﷺ وقال يا رسول الله! اجمع بطون اليهود واسألهم عني، فجمع النبي ﷺ اليهود وقال:

« مَاذَا تَقُولُونَ فِي عَبْدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ؟»

قالوا: هو سيدنا وابن سيدنا.

فقـام عبد الله بن سلام وقـال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشـهد أن محـمدًا رسـول الله، فقـام اليهود عـلى لسان رجل واحد وقـالوا: هو سفيهنا وابن سفيهنا!!

فالـيهود مـتخـصصـون في نقض العهـود والمواثيق، ولا يستـحي اليهودي من تغيير الميثاق أو نقض العهد.

لابد من معرفة هذه الطبيعة اليهودية الخبيثة الماكرة.

وهكذا أيهـا الأحبة الكرام: هاجـر النبي ﷺ من مـكة إلى المديـنة المنورة؛ ليقيم للإسلام دولة وسط الصحراء تموج بالكفر.

وهنا انتقل اليهود من الحرب السرية للنبي ﷺ ولدعوته إلى الحرب العلنية السافرة ،فأعلنوا العداء للإسلام بل وعلى رسول الإسلام ﷺ.

ففي أول معركة كبرى من معارك الإسلام مع الشرك في غزوة بدر الكبرى نصر اللـه المسلمين نصرا مؤزرا وأعز الله جند التـوحيد ،وهزم الله جند الشرك وتبعثر الجيش المشرك وسط الصحراء كتبعثر الفئران.

وهنا غلت مراجل الحـقد والغل والحسد في قلوب اليـهود في المدينة فقاموا بحملة إعلامية وهذه طبيعتهم وهذا أسلوبهم، قاموا بحملة إعلامية خبيثة حقيرة للنيل والتقليل والتحقير من النصر الإسلامي في غزوة بدر.

بل وقاموا ليثيروا الفتن والقـلاقل وليحرضوا المشركين في مكة للثأر من محمد ﷺ وأصحابه.

لما سمع النبي ﷺ بمكر اليهود ،انطلق إليهم وجمعهم في سوق بني قينقاع ،وقال لهم المصطفي ﷺ : « **يَا مَعْشَرَ اليهود أَسلمُوا قَبْلَ أَنْ يُصيبَكُمْ مَا أَصَابَ قُرَيْشًا** » قالوا : يا محمد : لا يغرنك من نفسك أنك قاتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس ،وإنك لم تلق مثلنا، فأنزل الله تعالى في ذلك : ﴿ **قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ** ﴾ [آل عمران : ١٢ : ١٣][1]

وقام النبي ﷺ وتركهم وما لبث اليهود أن قاموا بمؤامرة حقيرة يوم أن جلست مسلمة أبيَّة ـ تَربت في مدرسة النبي ﷺ ـ إلى صائغ يهودي في المدينة؛ لتشتري منه ذهبًا، فراود اليهود المجرمون المسلمة العفيفة أن تكشف عن وجهها فأبت أن تكشف لليهود عن وجهها، فتسلل الصائغ اليهودي الوقح إلى المسلمة الأبية فعقد طرف ثوبها في ظهرها، فلما قامت المسلمة انكشفت سوأتها، فاليهود متخصصون في كشف السوءات والعورات!!

فلما انكشفت المسلمة ضحك اليهود وصرخت المرأة، وسمع هذه الصرخة مسلم أَبِيّ فقام إلى هذا اليهودى فقتله.

شتان شتان بين هذه المسلمة الأبية التي أبت أن تكشف لليهودي عن وجهها وبين المسلمات اللائى ارتمين في أحضان الموضات العالمية في هوليود!!

وشتان شتان بين رجل أَبِيّ سمع صراخ مسلمة فانقض على اليهودى المجرم فقتله وبين رجال رأين أعراض أخواتهن تنتهك ولكن ﴿ **وَمَا أَنتَ**

---

(١)رواه أبو داود رقم (٣٠٠١) فى الخراج،باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة؟ وأخرجه الطبري رقم (٦٦٦٧) .

﴿بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ إنا لله وإنا إليه راجعون

وهكذا أيها الأحبة: انقض المسلم على اليهودي فقتله، فانقض اليهود على المسلم فقتلوه، فقام الحبيب المصطفى ﷺ وقام الصادقون من الرجال الأطهار وحاصروا اليهود المجرمين على حكم النبي ﷺ فغنم المسلمون أموال اليهود وأخرجوهم إلى أزرُعات الشام.

وفي السنة الرابعة دبر يهود بنو النضير مؤامرة حقيرة لاغتيال البشير النذير محمد بن عبد الله ﷺ يوم أن انطلق إليهم النبي ﷺ لتحصيل الدية، وجلس النبي ﷺ إلى جوار حائط من جدران اليهود وخلا اليهود المجرمون ببعضهم البعض وقالوا لن نجد الرجل في مثل هذه الحالة فمن منكم يقوم إلى صخرة كبيرة من فوق سطح هذه الدار ليلقيها على رأس الرجل ليريحنا منه.

فانبعث أشقى القوم عمرو بن جحاش بن كعب وقال: أنا لها، فقام عمرو بن جحاش وصعد إلى سطح هذه الدار؛ ليلقيها على رأس سيد الرجال ﷺ ولكن: ﴿يَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] فأطلع الله نبيه على ما أرادوا فقام النبي ﷺ مسرعا في الحال، وقام ومعه أصحابه رضوان الله عليهم.

فلما أخبرهم بالخبر، قالوا: يا رسول الله والله لابد من إجلاء هؤلاء، فانطلق النبيُّ ﷺ مع أصحابه فحاصروا يهود بنى النضير فأخذاهم الله وقذف في قلوبهم الرعب وأجلاهم رسول الله ﷺ وفيهم أنزل الله جل وعلا سورة الحشر بأسرها، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ

حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ [الحشر: ٢]

وبعد ذلك أيها الأحبة لعب يهود بني قريظة دورًا قذرًا حقيرًا داخل المدينة فلقد حاصر الأحزاب المدينة من كل ناحية، وفي وقت حرج خطير نقض يهود بني قريظة العهد فشكلوا تحديا خطيراً للجبهة الداخلية في المدينة، فلما علم المسلمون بذلك زلزلوا زلزالا عظيما حتى قام النبي ﷺ يرفع يديه إلى الله ويتضرع إليه بهذا الدعاء الحار الذي ورد في الصحيحين من حديث عبدالله بن أبى أوفى قام النبي ﷺ يلجأ إلى الله ويقول: «**اللَّهمَّ مُنزلَ الكتابِ سَرِيعَ الحِسابِ اهْزِم الأحْزابَ اللَّهمَّ اهْزِمهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ**».[1]

واستجاب الله دعاء حبيبه المصطفى فأرسل الله جنودًا من عنده ويالها من قوة لا يعرف المسلمون قدرها .

وما يعلم جنود ربك إلا هو ... لكن المسلمون يخططون ويضعون الخطط السنوية والخمسية، ويركعون للشرق والغرب، ولا يضعون ضمن خطتهم أبداً قوة الملك جلَّ جلاله.

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]

أرسل الله على الأحزاب جندًا من الريح فاقتلعت خيامهم وكفأت قدورهم، وأنزل الله الملائكة فألقت الرعب في قلوب الأحزاب فتبعثروا

(١) رواه البخاري رقم (٢٩٣٣) في الجهاد، باب الدعاء على المشركين، ومسلم رقم (١٧٤٢) في الجهاد، باب كراهية تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء، والترمذي (١٦٧٨).

في الصحراء كتبعثر الفئران.

ونصر الله عبده وأعز الله جنده وهزم الله الأحزاب وحده.

وانتهت المؤامرة ونزل جبريل على النبي ﷺ وهو يلبس لباس الحرب وقال جبريل عليه السلام: يا رسول الله أوقد وضعت لباس الحرب؟!

فوالله إن الملائكة لم تضع لباس الحرب بعد فاخرج إليهم قال: «**فإلى أين؟**» قال: ها هنا، وأشار إلى قريظة»[١]

فقام المصطفي ﷺ وأرسل مناديًا ينادي في الناس: «**مَنْ كَانَ سَامِعًا مُطيعًا فلا يُصَلِّيَنَّ العصرَ إلاَّ في بَنِي قُرِيظة**»[٢]

فانطلق الصادقون المؤمنون من أصحاب سيد النبيين والمرسلين ﷺ إلى بني قريظة فحاصروا يهود بنى قريظة حصارًا طويلاً.

وأخيرًا نزل اليهود والمجرمون على حكم سعد بن معاذ الذي حكم فيهم بقتل الرجال، وسبى الذرية، وتقسيم الأموال، فلما حكم فيهم سعد بن معاذ بذلك التفت إليه المصطفى ﷺ وقال: «**لَقَدْ حَكَمْتَ فِيْهِمُ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فوقِ سَبْعِ سموات**»[٣] وهكذا أخزى الله يهود بنى قريظة.

وفي السنة السابعة انطلق النبي ﷺ إلى يهود خيبر المجرمين الذين تحصنوا بحصونهم المنيعة المنيفة إلا أن الله عز وجل قد فتح الحصون على يد أسد الله الغالب على بن أبى طالب الذي قال عنه النبي ﷺ يومها:

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٤١١٧) في المغازي.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٤١١٩) في المغازي، ومسلم رقم (١٧٧٠) في الجهاد والسير.

(٣) رواه البخاري رقم (٤١٢١) في المغازي.

«**لأُعْطِينَّ الرَّايةَ غدًا رجلاً يُحبُّ اللَّهَ وَرسُولَهُ، ويَحبُّهُ اللَّهُ ورَسُولُه، يَفتَحُ اللَّهُ على يَدَيْه**» قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، قال: فتساورت لها رجاء أن أدعى لها، فدعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب فأعطاه إياها، وقال: فبات الناس يدُوكون ليلتهم، أيهم يُعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ، كُلُّهم يرجو أن يُعطاها، فقال: «**أَيْنَ عَليّ بنُ أبي طَالب**»، فقيل: هو يا رسول الله يشتكى عينه، قال: فأرسلوا إليه، فَأُتيَ به فبصق في عينيه، ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية»[1].

وانطلق علي بن أبى طالب ففتح الله على يديه الحصون ويومها هتف الحبيب ﷺ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ.. اللَّهُ أَكبرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إنَّا إذا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ المنذَرِينَ**».[2]

قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأنفال: ٦٢] ودبر اليهود مؤامرة حقيرة لسمِّ النبي ﷺ في خيبر إلا أن الله عز وجل قد نجَّى حبيبه المصطفى ﷺ.

وهكذا أجلى الله عز وجل اليهود من المدينة.

ولم ينته العنكبوت اليهودي الوقح عن نسج خيوطه الدقيقة وحبك

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٣٦٥)، ومسلم رقم (١٨٠٧)، وأحمد (٤/ ٥٢) من حديث سلمة بن الأكوع، وأخرجه البخاري (٧/ ٣٦٦) في المغازي باب غزوة خيبر، وفى الجهاد فضائل أصحاب النبي ﷺ، ومسلم (٢٤٠٦) فى فضائل الصحابة.

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٣٥٩) في المغازي، باب غزوة خيبر، وفي صلاة الخوف: باب التكبير والغلس بالصبح، ومسلم رقم (١٣٦٥) في الجهاد، باب غزوة خيبر، ومالك (٢/ ٤٦٨)، والترمذى رقم (١٥٥٠)، والنسائي (١/ ٢٧٢)، وأحمد (٣/ ١٠٢/ ١٦١، ١٦٤، ١٦٨، ٢٠٦، ٢٤٦، ٢٦٣).

مؤامرتـه الرهيبة التي بلغت أوجهـا في العصر الحديث بإخـراج هذه الغدة السرطانية الخبيثة وبوضع هذا المولود اللقيط الذي يُعرف الآن بدولة إسرائيل فوق الثرى الطاهر للأرض المباركة على مسرى الحبيب محمد ﷺ .

وُضعت هذه الـدولة غصة في قلـب العالم الإسلامى بـعد أن نجح اليهود في القضاء على الخلافة الإسلامية، والقضاء على السلطان البطل عبـدالحميـد ـ طيب الله ثراه ـ ذلكم الرجل الذي شوهـت الصهيـونية الحاقدة صورته وانطلقت الببغاوات العجماء لتحاكي ما يمليه الأسياد من الشرق والغرب دون وعي أو إدراك .

هذا البطل العظيم الذي حاول معه اليـهود بكل الوسائل والسُبل أن يبيع لهم أرض فلسطين فأبى وباءوا بالفشل الذريع .

أرسل اليهود للسلطان عبدالحميد أول الأمر اليهودي الماسوني الثري «قـره صو» فـذهب إليه وقـال للسلطان: أنا مندوب إلى جـلالتكم عن الجمعية المـاسونية وجئت لأرجو جلالتكم أن تقبلوا خمـسة ملايين ليرة ذهبية (انظر إلى وسائل اليهود التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان) إلى خزينتكم الخـاصة ولتقبل مـائة مليون ليرة ذهبيـة لخزينة الدولة على أن تمنحوا لنا بعض الامتيازات في دولة فلسطين، فاسـتشاط السلطان غضبًا ونظر إلى الجالسين معه في مجلسه وقال لهم :

أو ما كنتم تعرفون ماذا يريد هذا الخنزير ؟!!

والتفت إليه بقوة وقال: اخرج عن وجهي أيها السافل .

ولكن اليهود لا يَمَلَّون، فقرر أن يذهب إلى السلطان بنفسه مؤسس الصهيونية العالمية الأول (تيودر هيرتزل) وعرض عليه أن يبيع له فلسطين

بأى ثمن فرد عليه السلطان ردًّا عجيبًا وقال: إن هذه الأرض امتلكها المسلمون بدمائهم وهي لا تباع إلا بنفس الثمن.. الله أكبر.. ثم قال السلطان البطل: انصحوا الدكتور هيرتزل بألا يتخذ خطوات جدية في هذا الموضوع، فإنني لا أستطيع أن أتخلى عن شبرٍ واحدٍ من هذه الأرض فهي ليست ملكي، ولكنها ملك شعبي الذي ضحى في سبيلها، وروى ترابها بدمائه، فليحتفظ اليهود بملايينهم فإذا مزقت إمبراطوريتي يومًا فإنهم يستطيعون أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن، أما وأنا حي فإن عمل المبضع في بدني أهون عليّ من أن أرى فلسطين وقد بُتِرت من امبراطوريتي فإنني لا أستطيع أن أوافق على تشريح أجسادنا ونحن لا زلنا على قيد الحياة .

هذا هو السلطان البطل الذي شوهوا صورته ودرَّسوا صورته المقلوبة لأبنائنا وبناتنا ولا زالت .

إلا إنهم ما ملُّوا واستطاعوا أن يحققوا أغراضهم من خلال إثارة النعرات القومية وهذا خطر عظيم أن تثار النعرات داخل البلاد.

انظروا إلى الواقع على أرض أفغانستان اليوم .. ما الذي دَمَّرَ قوة أفغانستان ؟!! إنها النعرات القومية .هذه طائفة كذا وهذه قبيلة كذا .

إن النعرات القومية من أعظم الأخطار التي تبدد القوى .

استطاع اليهود عن طريق الجمعية الماسونية اليهودية العالمية التي تعرف (بجمعية الاتحاد والترقي) استطاعت أن تثير النعرات القومية لعزل السلطان البطل عبدالحميد لإخلاء الطريق وتلميع اليهودي العميل الخائن كمال أتاتورك ـ لا طيب الله ثراه ـ الذي مثل رأس الأفعى

اليهودية في القضاء على الخلافة الإسلامية.

ووقع هذا المجرم العميل الخائن معاهدة الذل والعار (معاهدة لوزان) وقضى بذلك على الخـلافة الإسلامية ولا حـول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهكذا أيهـا الأحبة الكرام انقـضت الخلافة، ولُمِّعَ هذا اليـهودي على أنه بطل قومي.

وفي الثامن من نوفمبر سنة ألف وتسعمائة وسبعة عشر صدر (وعد بلفور) بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .

وفي عام ألف وتسـعمائة وثمـانية وأربعين اسـتطاع اليهود بخـيانة مفـضوحة أن يحـتلوا ما يزيد على ثمـانية وسبـعون في المائة من أرض فلسطين .

وهكذا أسس لإسرائيل دولة لليهود في قلب العالم الإسلامي، ساعدهم في ذلك الشرق الملحد والغرب الكافر، والأنظمة العربية الخائنة وأسـست هذه الدولة وأفـرزت هذه الغدة السـرطانيـة في قلب العـالم الإسلامي.

هؤلاء هم اليـهود!!هؤلاء هم اليـهود والله مـا وعدهم (اسـتالين) بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين إلا ليتخلص من شرهم!!

وما بحث لهم هتلر عن صندوق قـمامة عالمية إلا ليـطهر ألمانيا من قذرهم!! وأمريكا تعاني منهم اليوم ما تعاني!!ولكنها مغلوبة على أمرها فاللوبي الصهيوني يخنق أنفاسها تمامًا!!

هؤلاء هم اليهود الذين أفسدوا العالم ودمروه.

فاليهودي (كـارل ماركس) كان وراء الشيوعيـة الملحدة التي أفسدت فطرة الإنسان .

واليهودي (دور كايم) كان وراء علم الاجتماع الذي قوَّض الأسرة.

واليهودى (فرويد) كان وراء علم النفس الذي أسس بنيانه على الجنس الفاضح .

واليهودي (سارتر) كان وراء الوجودية الإباحية الملحدة .

هؤلاء هم اليهود الذين فضحهم القرآن وعرّى نفسياتهم الخبيثة تعرية واضحة وعدَّدَ القرآن صفاتهم الدنيئة، والقرآن لا زال بين أيدينا يتلى ... لكن أين من يتدبر القرآن ؟! لقد وضعت الأقفال على القلوب، ولا حول ولا قوة إلا بالله علام الغيوب.

وها أنذا أعدد لك أيها الحبيب بعض الصفات التي ذكرها القرآن في حق اليهود: اليهود متخصصون في الكذب على الله: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ** ﴾ [التوبة: ٣٠]

اليهود اتهموا الله بالبخل !!: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾ [المائدة: ٦٤]

اليهود اتهموا الله بالفقر: ﴿ **قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ** ﴾ [آل عمران: ١٨١]

اليهود متخصصون في تكذيب الأنبياء وقتلهم :

قال تعالى : ﴿ **أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**﴾ [البقرة: ٨٧]

﴿ **وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ** ﴾

[البقرة: ٨٨]

اليهود متخصصون في أكل الربا والسحت والحرام:

قال تعالى: ﴿ **وَتَرَىٰ كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢) لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ﴾ [المائدة: ٦٢-٦٣]

اليهود متخصصون في نقض العهود والمواثيق ويسعون في الأرض فساداً .

اليهود أحرص الناس على حياة وبأي ثمن .

قال تعالى: ﴿ **وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ** ﴾ [البقرة: ٩٦]

اليهود متخصصون في كتمان الحق والتلبيس والتضليل .

قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ١٤٦]

اليهود أجبن خلق الله ولو أظهروا لنا الشجاعة والوحدة والألفة :

قال تعالى: ﴿ **لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ** ﴾ [الحشر: ١٤]

اليهود ملعونون على ألسنة الأنبياء .

قال جل وعلا: ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩]

أيها الأحبة : هذه صفات اليهود ... هذه بعض صفات اليهود في قرآن الله جل وعلا ولا ينبئك عن اليهود مثل خبير .

﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤]

هؤلاء اليهود يا زعماء العرب والمسلمين .. لابد أن نعرف طبيعة اليهود قبل أن نمد إليهم أيدينا بالسلام المزعوم، فأنا أتساءل مع حضراتكم أسئلة مريرة وهذا هو عنصرنا الثاني بإيجاز .

أسئلة مريرة :

لماذا نسيت أو تناست الأمة تاريخ اليهود ؟!! لماذا يا قوم والتاريخ بين أيدينا . سطور ؟!! لماذا يا قوم والحقائق معلومة للأحياء، بل وللأموات داخل القبور؟!!

لماذا نسيت الأمة تاريخ اليهود ؟!!

سؤال يحتاج إلى جواب، والجواب في كلمات قاطعة لأن المؤامرة على هذا الدين وعلى هذه الأمة قد حبكت تعليميًا وإعلاميًا حبكًا دقيقًا محكمًا . !!

وضعوا المناهج الدراسية لنا ولأبنائنا وضعًا دقيقًا فشوهوا العقيدة وشوهوا مفهوم لا إله إلا الله ، ونَحَّوْا عن الحكم شريعة الله وشوهوا التاريخ الإسلامى ، ومَجَّدوا هذه المناهج الجاهلية الأرضية .

ومجدوا جاهلية حورس ، وجاهلية مينا ، وجاهلية «خوفو»!!!

علمونا في هذه المناهج أن «ماجلان» عبقرى وبطل كل زمان!!

ولم يعلمونا أنه هو الذي أضرم في المسلمين النيران!!

علمونا أن الدين هو الرجعية والتخلف!!

علمونا أن الحملة الفرنسية كانت فتحًا لمصر، ولم تكن غزوًا، ولم

يخبـرونا أن نابليون دخـل الجامع الأزهر بخيـوله لحرق قلوب العـلماء والمسلمين!!

علمونا أن العلمانية هي الصراط المستقيم!! ومن يعرض عنها فإن له معيشة ضنكا!!

علمونا أن التمسك بالدين رجعية،وأن التمسك بالدين تخلف،وأن خليفة المسلمين هو الرجل المريض!!

علمونا فلسفة الشك منذ نعـومة أظافرنا وحفظوا لنا « أنا أشك إذن أنا موجود» ولو صدق المجرمون لقالوا: « أنا أشك إذا أنا دبوس!!»

علمونا منذ اللحظات الأولى في هذه المناهج الدراسية حب جبران، والسوبرمان وشكسبير وسارتر وسـيمون وديبوفوار وكل الوجوديات وما بها من أفكار وأن هؤلاء هم الذين يقولون الحق ويعدلون به!!

علمونا كيف يكون الاستسلام بذلٍّ وعار؟

بل وكيف يكون القبول للخروج من الأرض والديار؟!

ولازال مسلسل خروج المسلمين من الأرض مستمرا إلى هذا النهار!

بدأت أولى حلقات « مسلسل خروج المسلمين من الأرض» في بلاد الأندلس ثم في بلاد مورو في الفلبين في بخـارى، وفي طشقند ،وفي طاجكستان، وفي تركستان وفي كشمير، وفي الصومال، وفي البوسنة، وفي الشيشان، وفي فلسطين.. ولا زال المسلسل مستمرا حتى الآن!!

إنه مـسلسـل دقـيق كنتـاج مـسلسل «دالاس» ولـكن الفـارق بين المسلسلين أن مسلسل خروج المسلمين من أرضهم وديارهم لا تتحرك له مشاعر الرأي العام ... ولم لا ؟! ولم لا وقد وضع المسلسل بدقة إنه

من تأليف وسيناريو الصهيونية والصليبية العالمية الحاقدة ،ومن ألحان الماسون وأتباعهم العلمانيين، ومن إنتاج وإخراج الفاتيكان.

وسؤال مرير آخر يملأ قلبي مرارة .

لماذا انتصر اليهود وانهزم المسلمون ؟!

لماذا انتصر اليهود وهم لا يزيدون عن بضعة ملايين ـ وانهزم المسلمون وهم يزيدون على ألف مليون؟!!

والجواب في آية واحدة محكمة من الله جل وعلا: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ [الرعد: ١١]

فلما غيرت الأمة دين ربها وشريعة نبيها ﷺ وتخلت عن أصل عزها أذلها الله إنه الذل لليهود الذين يتلاعبون بالعالم الإسلامى بل بالعالم كله فاستوى المسلمون مع اليهود في المعاصي والبعد عن الملك، فترك الله المسلمين لليهود فذل اليهود المسلمين.

سنة ثابتة . . . إن الله لا يحابي أحدًا من الخلق بحال مهما ادعى لنفسه من مقومات المحاباة.

سنن ربانية في الكون لا تتغير ولا تتبدل لابد أن يعيها المسلمون من جديد.

وأقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . . . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . . اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحـابه وأحبابه وأتبـاعه وعلى كل من اهتـدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أمـا بعـد : فيا أيها الأحبـة الكرام : بعد هذا العرض المر المؤلم لهذا التاريخ المسطور المعلوم يتساءل الشبـاب بل والمسلمون : ما السبيل ؟! ما الحل ؟! أين الطريق؟!

وها أنذا أوجز هذا السبيل أو مـشروع الخلاص وتمنيت والله أن يتبنى زعـماء العـرب والمسلمين هذا المشـروع ليـسعـدوا في الدارين في الدنيـا والآخرة . . . لتسعد بهم أمتهم وليسعـدوا أمتهم وليعيشوا في عز وشرف وكرامة وشهامة ومروءة ورجولة.

في نقاط محددة نقدم مـشروع الخلاص من هذا المأزق الحرج والواقع المر الأليم

أولاً: أن ترجع الأمة إلى الله جل وعـلا بتصحـيح العقيدة والعـبادة وتحكيم الشـريعـة وتقويم الأخـلاق، وتحويل الإسـلام إلى منهج عـملي وواقع حياة.

ثانيا: أن تصطلح الأمة مع شبابها الطاهر المتوضئ المؤمن الذي تصب الأمة الآن على رأسـه جام غضبـها في الوقت الذي تكرم فيـه الساقطين والتافـهين ممن سيكونون أول من يفـر ساعة الجـد كفرار الفـئران لابد أن

تعرف الأمة قدر الشباب الطاهر الذي سيقف في الميدان إذا جد الجد وحمي الوطيس .. لابد من الصلح معه فإن أمة تتحدى شبابها الطاهر أمة خاسرة لا كيان لها ولا بقاء.

هذا الشباب هو المحرك الحقيقي .. هذا الشباب هو الذي دفع اليهود المجرمين إلى أن يجلسوا مع عرفات على مائدة المفاوضات وقد صرح بذلك!!

هذا الشباب هو مصدر القلق والفزع والرعب لأعداء الله جل وعلا بل وقد صرح اليهود بذلك فقالوا: لقد استطعنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في المنطقة أن يظل الإسلام بعيدًا عن حلقة الصراع، ولابد أن يبقى الإسلام بعيدًا عن حلبة الصراع!!

يا مسلمون: إن الصراع بيننا وبين اليهود ليس صراع أرض وحدود، ولكن صراع عقيدة ووجود أسأل الله أن يرد الأمة إلى الإسلام ردًا جميلا.

ثالثًا: رفع راية الجهاد في سبيل الله، فلا عز للأمة إلا بالجهاد.

فوالله ما ذلت الأمة وما هانت إلا يوم أن ضيعت الجهاد، الذي جعله النبي ﷺ ذروة سنام هذا الدين.

ولقد حرص أعداؤنا على أن يحولوا بين الأمة وبين الجهاد وحاولوا بشتى الطرق ألا تربى الأجيال المسلمة على روح الجهاد وسير الأبطال الفاتحين!!

وها هو الواقع يصرخ في وجوه المخمورين الغافلين أن مجلس الأمن

وهيئة الأمم المتحدة، وجميع المحافل الدولية لن تعيد للأمة المكلومة أراضيها أو دماءها أو كرامتها، بل لا سبيل لذلك مطلقًا إلا برفع راية الجهاد في سبيل الله. فالعالم اليوم لا يحترم إلا الأقوياء!!

كما قال الإرهابي الكبير «مناحم بيجن» : إننا نحارب إذن نحن موجودون!!!

تمنيت أن لو وعت الأمة هذه الحقائق. وأضرع إلى الله سبحانه أن يردها إلى الحق ردًّا جميلاً.

ومع هذا فإنني لعلى يقين أن المستقبل لهذا الدين رغم كيد اليهود المجرمين والمنافقين، أسأل الله أن يقر أعيننا بنصرة الإسلام وعز الموحدين، وأن يأذن بتحرير الأقصى من دنس الخائنين.

. . . الدعاء.

رسالة إلى أصحاب الأسرة البيضاء

إن الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، أدى الأمانة وبلَّغ الرسالة ونصح الأمة وكشف الله به الغُـمّة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين فاللهم اجـزه عنا خير ما جزى الله به نبـيًّا عن أمته ورسولا عن دعوته ورسالته.

وصلِّ اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى أصحابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد :

فحياكم الله جميعًا أيها الآباء الفضلاء وأيها الإخوة الأحباب الأعزاء وطبتم وطاب ممشاكم وتبوأتُم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم جل وعلا الذي جمعني وإياكم في هذا البيت الطيب المبارك على طاعته، أن يجمعني وإياكم في الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى ﷺ في دار كرامته إنه ولى ذلك والقادر عليه.

أحبتى في الله : (**رسالة إلى أصحاب الأسرة البيضاء**)

هذا هو عنوان لقائنا مع حضراتكم في هذا اليوم الطيب الكريم

المبارك، وكعادتنا فسوف ينتظم حديثنا مع حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية .

أولا: صبر أيوب .

ثانياً: قصة مثيرة لامرأة صابرة بالمنصورة .

ثالثاً: رسالة إلى أصحاب الأسرة البيضاء.

وأخيراً: رسالة إلى أهل العافية من البلاء.

فأعيروني القلوب والأسماع، والله أسأل أن يرزقنا وإياكم الإخلاص.

أولاً: صبر أيوب :

أحبتي في الله: إن الله جل وعلا قد جعل الصبر جوادًا لا يكبو.. وجندًا لا يهزم.. وحصنًا لا يُهدم، وبين أن الصابرين في معية الله ويالها من كرامة قال جل وعلا: **﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾** [الأنفال: ٤٦]

وبيَّنَ فضل الصابرين وكرامتهم فقال سبحانه :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]

بل وجعل الله الأمانة في الدين منوطة بالصبر مع اليقين قال جل وعلا: **﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾** [السجدة: ٢٤]

بل وبين الله سبحانه كرامة الصابرين في الجنة بدخول الملائكة للسلام

عليهم وتهنئتهم فقال جل وعلا: ﴿ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٤]

بين جل وعلا في الجملة أن ثواب الصبر لا حدود له فقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠]

فما هو الصبر؟

الصبر لغة: المنع والحبس.

والصبر شرعًا: حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكي، وحبس الجوارح عن المعاصي، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

صبر على المأمور: أي صبر على الطاعة.

وصبر عن المحذور: أي صبر عن المعصية.

وصبر على المقدور: أي على ما قدره الله عليك من المصائب والمحن والبلايا.

والصبر الجميل: هو الذي يبتغي به العبد وجه الله الجليل لا تحرجا من أجل ألا يقول الناس جزع، ولا أملاً في أن يقول الناس: صبر، وإنما يصبر يبتغي بصبره وجه الله جل وعلا، يصبر واثقًا في الله، مطمئنًا بقضاء الله وقدر الله، مستعليًا عن الألم، مترفعًا على الشكوى.

والتحقيق أن الشكوى نوعان: شكوى إلى الله، وشكوى من الله.

أعاذنا الله وإياكم من الأخيرة.

الشكوى إلى الله: لا تنافي الصبر، فلقد مدح الله نبيه يعقوب وأثبت له الصبر في قرآنه، وقد رفع يعقوب شكواه إلى مولاه فقال:

﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [يوسف: ٨٦]

وأثنى الله على عبده أيوب ـ عليه السلام ـ فقال جل وعلا:

﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٤٤]

ومع ذلك فقد رفع نبى الله أيوب عليه السلام شكواه إلى الله كما قال الله جل في علاه: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]

الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر أما الشكوى من الله: أعاذنا الله وإياكم منها. هي شكوى للمخلوق من الخالق.

وإذا ذكر الصبر ذُكِرَ نبيُّ الله أيوب على نبينا وعليه الصلاة والسلام فلقد ابتلى الله أيوب في ماله وولده وبدنه.

فقد المال كله!! مات جميع أبنائه جملة واحدة!!

ابتلاه الله في جسده.. أقعده في الأرض وأصيب بمرضٍ ألزمه الفراش.

لم يسلم من بدنه البتة إلا قلبه ولسانه !!.

فصبر وامتلأ قلبه بالحب لله والرضا عن الله!!!

فلقد ابتلى الله جل وعلا أيوب ـ عليه السلام ـ في ماله وولده وبدنه!!

فقد ضاع ماله كلُّه!!

ومات جميعُ أبنائه!!

وابتلي بمرض في جسده أقعده في الأرض وألزمه الفراش ولم يسلم له من بدنه كله إلا قلبه ولسانه

أما قلبه فقد امتلأ بالحب لله والرضا عن الله وأما لسانه فلم يفتر عن ذكر الله جل وعلا وهذه والله هي الحياة ففي الصحيحين عن أبي موسى

أن النبي ﷺ قال: « **مَثلُ الَّذي يَذكُرُ ربَّهُ والَّذي لا يَذْكُرُ ربَّهُ كَمَثَلِ الحيِّ والميتِ**»[١] .

فالذاكر لله حي وإن ماتت منه الأعضاء!!والغافل عن ذكر الله ميت وإن تحرك بين الأحياء !!

وفزعت زوجته الصابرة الوفية حينما قالت له: ادعُ الله ليفرج كربك فقال نبي الله أيوب: لقد عشت سبعين سنة وأنا صحيح ولله عليَّ أن أصبر سبعين سنة وأنا سقيم !!

واختلفت الآراء في المدة التي مكثها نبي الله في البلاء وأصح ما ورد في هذه الأقوال ما رواه الإمام الطبري، وابن حبان وابن أبي حاتم والبزار والحاكم في مستدركة وصححه على شرط الشيخين، وقال الإمام الهيثمي في المجمع ورجال البزار رجال الصحيح من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ :

قال: «**إن نَبيَّ الله أيوبَ مَكَثَ في بَلائه ثَلاثَ عَشرةَ سَنَةً فَرفَضهُ القريبُ والبعيدُ، إلاَّ رَجُلَين منْ خَواص أَصْحَابه، كَانَا يَغْدُوَان عَلَيْه ويَرُوحَان فَقَالَ أَحَدُهُمَا للآخَرِ: لَقَدْ أَذْنَبَ أيوبُ ذَنبًا عظيمًا وإلاَّ لَكُشفَ عَنهُ هَذَا البَلاءُ**».

قال أهل التفسير: فلما سمع أيوب ذلك خشي الفتنة فلجأ إلى الله جل وعلا بهذا الدعاء الحنون الذي سجله الله في قرآنه فقال جل وعلا:

---

(١) رواه البخاري ١١/ ١٧٥، ١٧٦ في الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، ومسلم رقم (٧٧٩) في صلاة المسافرين باب استحباب صلاة النافلة في بيته .

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾

[الأنبياء: ٨٣]

انظر إلى الجواب: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤]

ما الذي حدث؟!!

أمر الملك القدير جل وعلا نبيه أيوب أن يضرب الأرض من تحت قدميه، فضرب أيوب المريض المسكين الأرض ضربة هينة بقدمه ففجر الله له عينا من الماء وإذ بأيوب يسمع النداء من الملك ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢].

أمر الله أيوب أن يشرب فشرب أيوب من الماء فشفاه الله من جميع أمراضه الباطنة، فأمره أن يغتسل فاغتسل فشفاه من جميع أمراضه الظاهرة وصدق الله إذ يقول: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

أيها المُبتلى:

كُنْ عَنْ هُمُومِكَ مُعْرِضًا ... وَدَعِ الأُمُورَ إِلَى القَضَا
وَانْعَمْ بِطُولِ سَلامَةٍ ... تُغْنِيكَ عَمَّا قَدْ مَضَى
فَلَرُبَّمَا اتَّسَعَ المَضِيقُ ... وَرُبَّمَا ضَاقَ الفَضَا
اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ.. ... فَلاَ تَكُنْ مُعْتَرِضًا

* * *

قُلْ لِلطَّبِيبِ تَخَطَّفَتْهُ يَدُ الرَّدَى ... يا شَافِي الأَمْرَاضِ مَنْ أَرْدَاكَ؟!
قُلْ لِلمَرِيضِ نَجَا وَعُوفِي بَعْدَمَا ... عَجَزَتْ فُنُونُ الطِّبِّ مَنْ عَافَاكَ؟!

قُلْ لـلصـحـيح مَـاتَ لاَ مِنْ عِـلَّة مَنْ بـالمنـايا يا صَـحِـيحُ دهاكَ؟!
بَلْ سـائلِ الأعـمَى خطَّى وسطَ الزحـامِ بلا اصْطدَامٍ مَنْ يا أَعْمَى يقودُ خُطَاك؟!
بل سـائل البـصيرَ كـان يحـذرُ حفـرةً فَـهَـوى بهَـا مَـنْ ذا الذي أهْواكَ؟!
وَسَلِ الجـنينَ يَعـيْشُ مـعـزولاً بلاَ راعٍ ومَـرْعَى مَنْ ذا الذي يَرْعَـاكَ؟!
وإذا تَرى الثـعـبـان ينفـثُ سُـمَّـهُ فاسْأله مَـنْ بالسموم يا ثعبـانُ حَشاكَ؟!
بَلْ سَلْـهُ كـيفَ تَـعـيشُ يـا ثعـبـانُ أَوْ تحـيَـا وهـذَا السُّمُّ يمـلأُ فَـاكَ؟!
واسْأل بطـونَ النحلِ كـيف تَـقَـاطَرَتْ شَـهْدًا وقلْ لـلشَّـهْـد مَنْ حَـلاكَ؟!
بال سائل اللبنَ المصفَّى كانَ بينَ فرث ودمٍ مَـنْ ذَا الـذي صَـفَّـاكَ؟!

قل إن الأمر كله لله . .

﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [ص:٤٢]

فاغتسل نبى الله عليه السلام وشرب فشفاه الله عز وجل وعافاه وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « أَمْطَرَ اللهُ عـز وجل عَلَيْه جَـرَادًا منْ ذَهَب فقـامَ نبيُّ الله أيوبَ ليَـأخُذَ الجرادَ منْ ربِّه العلـيِّ ليضَعَ في ثَوْبهَ يَأْخُذُ الجَـرادَ ويضعُ في ثوبه، فنادى عليه ربُّهُ جَلَّ وعَلاَ قال: يا أيوبُ أَمَا تَشْبَعُ؟، فَقَالَ أيوبُ: ومَنْ يَشْبَعُ مِنْ رحَمتكَ يَارب، ومَنْ يَشْبَعُ منْ رَحْمَتكَ يا رَبِّ»[1] .

وهكذا نجَّى الله أيوب ورفع عنه البلاء بعد هذه السنوات الطوال من الصبر الصادق.

وأود قبل أن أنهي الحديث عن هذا العنصر أن أحذر مَنْ لا يجيدون

(١) رواه البخاري رقم (٣٣٩١) في الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وأيوب إذ نادى ربَّه...﴾ الآية.

السباحة في البحور الهائجة، ومن لا يجيدون النزال من اقتحام الخطوب والأهوال من أمثال هؤلاء الذين انساقوا وراء إسرائيليات خطيرة شُحنت بها الكتب.

ومن أمثلة هذا الكذب العريض زعموا بأن الله قد ابتلى نبيه أيوب بالدود، وكانت كلما سقطت دودة من جسدة انحنى إليها وردَّها إلى جسده مرة أخرى، وانبعثت منه رائحة كريهة اشمأزَّ الناس منها، وانصرف الناس عنه !! كذب عريض.. كذب حقير خطير يمتهن العقول السليمة والطباع الكريمة التي تعلم يقينًا أن الله جل وعلا قد نزَّه أنبياءه ورسله من مثل هذا.

ثانيا : قصة مثيرة لامرأة صابرة بالمنصورة :

أحبتي في الله : لولا أنني وقفت على هذه القصة بنفسي ورأيت هذه المرأة المسلمة الصابرة بعيني لظننت أن قصتها ضرب من الخيال .

امرأة من أمة الحبيب المصطفى ﷺ تجسد لنا في قرننا العشرين صبر نبي الله أيوب.. الحمد لله أن رأينا من أمة الحبيب من يحاكى صبر الأنبياء!!

هذه المرأة تبدأ قصتها بمولدها بقرية جُدَيدة الهالة بمركز المنصورة.

وفي الثامنة عشرة تتزوج.

وبعد سنتين تنجب طفلها الوحيد، وفي عام سبعة وستين يهاجمها المرض فتحس بآلام شديدة في بطنها فَتُنْقَل على الفور إلى المستشفى الجامعي بالمنصورة ويشخص الأطباء المتخصصون الحالة بأنها انسداد في الأمعاء الدقيقة ويقرر الأطباء للمريضة المسلمة الصابرة جراحة عاجلة لاستئصال جزء من الأمعاء!!

وبعد ستة أشهر قرر الأطباء مرة أخـرى جراحة ثانية لاستئصال جزء آخر من الأمعاء!!

وبعد سـتة أشـهر قرر الأطبـاء جراحـة لاستئـصال جـزء جديد من الأمعاء!!

وفي هذه المرة اكتشف الأطبـاء أن المرأة مصابة بمرض خطير مـشهور ألا وهو مرض «الدرن» المعروف عالميا بـ T.B وهنا قرر الأطباء عدم التدخل الجراحي واكتفى الأطباء بالعقاقير والحقن، وتركوا أمرها لله جل وعلا ..

صبرت المرأة واسـتسلمت لقضاء الله جل وعـلا ونامت على سريرها الأبيض وفـي فراشها البيضاء مستسلمة لقضاء الله وقدره جل وعلا.
لا يفتر لسانها عن ذكر الله سـبحانه ويلهث لسانها بالثناء وبالشكر على الله جل وعلا .

ثم هاجمها المرض هجومًا عنيـفًا بعد ذلك فانتقل هذا المرض الخطير إلى الأمعاء الدقيقة كلها!! ثم انتـقل المرض بعد ذلك إلى كليتها اليمنى فتوقفت الكلية اليمنى تمامًا!!

ثم انتقل المرض بعد ذلك إلى الرحم فأصيب الرحم بهذا المرض!!

ثم انتقل المرض بعد ذلك إلى العظام فنخر المرض العظام نخراً!!

وأصبحت العظام هشة متآكلة ثم فـقدت عينها اليسرى فلم تعد ترى بها !!

انظر إلى هذه المراحل مـن مراحل الابتـلاء ومع كل مـرحلة إذا مـا عَلِمَت من الطبيب المسلم مـا ابتلاها الله به تبتسم، وتنظـر إلى السماء وتقول: الحمد لله.. الحمد لله..

جَبَلٌ من جِبَالِ الصبر.. منذ عام سبعة وستين لم تفارق سريرها في المستشفى الجامعي!!

طلقها زوجها بعد ست سنوات من المرض، ثم مات ولدها الوحيد وهو في الرابعة من عمره واحتسبته عند الله جل وعلا..

وفي عام ٨٥ قبل موسم الحج سمعت في إحدى المحاضرات والأشرطة محاضرا يتحدث عن الحج فقررت قرارًا عجيبًا..

ما هو ؟ قررت أن تحج بيت الله الحرام !! ما هذا ؟!

وقالت للطبيب المختص أريد أن أحج بيت الله الحرام !!فابتسم

وقالت: لقد عَـزَمْتُ وتوكلت على الله، فهددها الأطباء بأنها لو فارقت سريرها ستعرض حياتها للخطر في التو واللحظة..!!

فقالت بكل ثقه ويقين: أريد أن ألقى الله وأنا على طاعة له!! الله أكبر!!

قررت أن تلقى الله على طاعة..فباعت ما تملك من الأرض وقررت حج بيت الله الحرام واقترب منها طبيب تقي نقي وحثها على ذلك وسأل الله عز وجل لها الثواب.

وجاء يوم السفر وجيء بالسيارة التي ستحملها إلى المطار تقدم الأطباء لنزع الخراطيم من هذا الجسد النحيل الضئيل فهي امرأة لا تعيش إلا بهذه الخراطيم، أستغفر الله بل لا تعيش إلا بأمر الملك رب العالمين.

الخرطوم الأول ينزع..ما وظيفته ؟ توصيل المحاليل الغذائية لأن المرأة لا تأكل منذ عام سبعة وستين ..!!

بل تعيش على هذه المحاليل الغذائية عبر هذه الخراطيم .

الخرطوم الثاني أعزكم الله ... لاستخراج الفضلات .

الخرطوم الثالث لأكياس الدماء يوصلونها للبدن الضئيل .

الخرطوم الرابع لإخراج الرايل من الأمعاء الدقيقة عن طريق الأنف.

ومع ذلك وقف الأطباء يتوقعون لها الموت مع نزع أول خرطوم فَنُزِعَت الخراطيم واحدًا تلو الآخر، والمرأة تتحدث وتبتسم وهي سعيدة أنها ذاهبة لحج بيت الله الحرام !!!

وحُملت في السيارة ثم إلى الطائرة، وحملت في جميع مناسك الحج وأدت فريضة الله جل وعلا بإعجاز الملك الذي يقول للشيء كن فيكون، وهي تحكي هذه القصة وتعجب وتقول ما أكلت شيئًا إلا عن طريق الفيتامينات وعن طريق الأدوية!!

قضت هذه الفترة وهي تبكي طول الرحلة تشكر الله جل وعلا الذي أعانها أن رأت بيته وانطلقت إلى المدينة لزيارة المسجد النبوي والسلام على الحبيب النبي ﷺ .

وعادت بعد حج بيت الله الحرام، وزيارة مسجد النبي عليه الصلاة والسلام، إلى السرير مرة ثانية ونامت في فراشها . . في سريرها الأبيض وطلبتنى لزيارتها فذهبت لزيارتها مع بعض الأحبة وهم معنا الآن في المسجد، ذهبت إليها لأذكرها بالله . . ووالله ذهبت لأذكرها بالله فذكرتني هي بالله!! وخرجت من عندها وقد احتقرت نفسي واحتقرت جهدي واحتقرت عملي لله جل وعلا . .

امرأة عجيبة لا يفتر لسانها عن ذكر الله، ولا يفتر لسانها عن الثناء والحمد لله جل وعلا .

انظر إلى غرفتها أيها المسلم قسمت الغرفة إلى قسمين، فصلت الغرفة بستارة وجعلت النصف مسجدًا لله جل وعلا، وجعلت النصف

الآخر لسريرها ووضعت إلى جوارها صندوقًا لجمع التبرعات من أراد أن يتبرع لفقراء المرضى ممن يعجزون عن شراء الدواء وجعلت إلى جوارها مكتبة صغيرة للأشرطة مع جهاز الكاسيت إذا ما دخل عليها طبيب، أو ممرضة أعارته شريطًا لمحاضرة من المحاضرات.

وهي في هذه الحالة.. تدعو إلى الله.. إنها الحياة.. هذه والله هي الحياة..

فكم من أناس يتحدون الله بِنَعَمِه عليهم وهذه المرأة في هذه الحالة لا تفتر عن الدعوة إلى الله جل وعلا !!

تدعو إلى الله بالأشرطة الإسلامية.. تدعو إلى الله بالصدقة.. تدعو إلى الله بالإصلاح بين الأطباء وبين الطبيبات .. تدعو إلى الله بالإصلاح بين المرضى .. هيأت حياتها كلها لطاعة الله جل وعلا ولسانها ذاكر.. وقلبها شاكر.. وجسدها على البلاء صابر.

فذهبت إليها قبل أن تلقى الله بأربعة أيام وجلست إلى جوارها فقلت كيف حالك ؟! قالت: الحمد لله، فأثنيت أنا عليها خيرًا .. فقالت: والله إني لخائفة ..

قلت: لماذا ؟

قالت: أخشى ألا يتقبل الله مني صبرى طيلة هذه السنوات!! ولكن ادعُ الله لي أن يرزقني حسن الخاتمة..

قلت: أبشري لقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أن من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بُعِثَ عليه وفي يوم الأربعاء العاشر من أبريل لعام ستة وتسعين توفيت ولسانها رطب بذكر الله - رحمها الله تعالى - وجمعنا بها في جنات النعيم وصدق الله إذ يقول :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢]

ما أرخصها من حياة إن عشت لشهواتك ونزواتك.. ما أرخصها من حياة يا من لا تعيش إلا من أجل متاع الدنيا الحقير، ما أرخصها من حياة يا من تعيش من أجل كرسيك الزائل، كرسيك الفاني !!

وما أغلاها من حياة يا من بذلت وقتك كله لطاعة الله، ما أغلاها من حياة يا من استخدمت كل نعمة من نعم الله التي أنعم الله بها عليك لمرضاة الله جل وعلا، ومن ثم فها أنذا أوجه رسالة إلى أصحاب الأسرة البيضاء وهذا هو عنصرنا الثالث من عناصر هذا اللقاء .

رسالة إلى أصحاب الأسرة البيضاء:

إلى كل مسلم ومسلمة من أصحاب الأمراض والبلاء وقد حبسهم المرض على الأسرة البيضاء، فصبروا على قدر الله واطمأنت قلوبهم بالقضاء.

أيها المسلمون المبتلون على فراش المرض أو في أي مكان اصبروا وأبشروا.

أيها المبتلون الصابرون! اعلموا أن الحياة الحقيقية هي حياة القلوب حينما تمتلئ بالإيمان بعلام الغيوب، اعلموا أن الحياة في انطلاق اللسان بذكر الرحمن وإن حُبست عن الحركة الرجلانُ واليدان!!

أيها المبتلون الصابرون! أبشروا بحديث رسول الله ﷺ ففي الحديث

الذي رواه مسلم من حديث صهيب الرومي أن النبي ﷺ قال: «**عَجَبًا لأمر المؤمن إنَّ أمْره كُلُّه له خيرٌ، ولَيْسَ ذَلكَ لأحَد إلاَّ للمُؤمن، إنْ أصابَتْه سرَّاء شكَرَ فكَانَ خيرًا لهُ، وإنْ أَصَابَتْهُ ضرَّاء صَبَرَ فَكَانَ خَيراً له**»[1].

أبشروا أيها المبتلون الصابرون بحديث رسول الله ﷺ الذي رواه البخاري وغيره قال الحبيب ﷺ: «**مَا يُصيْبُ المُسلمُ منْ وَصَبٍ وَلا نَصَبٍ ولاَ همٍّ وَلاَ حَزَنٍ حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُها إلاَّ كَفَّرَ اللهُ بهَا منْ خَطَايَاهُ**»[2].

وقد ابتلى المصطفى ﷺ بالحُمّى، وانتفض جسد الحبيب من شدة حرارتها ودخل عليه ابن مسعود والحديث في الصحيحين فقال ابن مسعود: إنك توعك وَعْكًا شديدا يا رسول الله، فقال المصطفى ﷺ «**أَجَلْ يَا عَبْدَ الله إنِّي أُوعكُ كَمَا يُوعَكُ الرَّجلان منْكُمْ**».

فقال ابن مسعود: ذلك بأن لك أجرين يا رسول الله ؟

قال: «**أَجَلْ مَا منْ مُسْلم يُصيْبهُ أَذَىً منْ مَرَضٍ فيْمَا سواهُ ـ حتَّى الشَّوكَةُ يُشَاكُهَا ـ إلاَّ حطَّ اللهُ به منْ سيِّئَاته كَمَا تَحطُّ الشَّجَرةُ وَرَقَهَا**»[3]

المرض يحط عنك الخطايا أيها المسلم المبتلى الصابر.

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٩٩٩) في الزهد، باب المؤمن أمره كله خير .

(٢) رواه البخاري رقم (٥٦٤١، ٥٦٤٢) في المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، ومسلم رقم (٢٥٧٣) في البر باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، والترمذي رقم (٩٦٦) في الجنائز، باب ما جاء في ثواب المريض .

(٣) رواه البخاري رقم (٥٦٤٧) في المرضى، باب شدة المرض، ومسلم رقم (٢٥٧٢) في البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن، والموطأ (٢/ ٩٤١) في العين، باب ما جاء في أجر المريض، والترمذي رقم (٩٦٥) في الجنائز، باب ما جاء في ثواب المريض .

قال الله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢-٣]

وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤]

أيها المبتلى الصابر أبشر بحديث رسول الله ﷺ الذي رواه أحمد والترمذي وهو حديث حسن صحيح من حديث مصعب بن سعد بن مالك عن أبيه قال:

سألت النبي ﷺ وقلت: يا رسول الله أى الناس أشد بلاء؟. قال: «الأنبياءُ ثُمَّ الأمْثَلُ فَالأمْثَلُ، يُبْتَلى الرَّجلُ عَلَى حَسَب دينه فَإنْ كَانَ دينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاَؤُه وَإِنْ كَانَ في دينه رقَّة أبْتَلاهُ عَلى حَسَبَ دينه فَمَا يَبْرَحُ البَلاَءُ بالعَبْد حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشي عَلى الأرض ومَا عَلَيْه خَطيئةٌ»(١) .

فالبلاء رحمة إن صبرت عليه، يُكَفِّر الله به عنك الخطايا أيها المبتلى المسلم الصابر .

وأذكركم يا أصحاب الأسرة البيضاء بهذا الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ قال: «لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أحدُكُمْ الموتَ لضُرٍّ وَقَعَ به فَإنْ كَانَ لاَبُدَّ فاعلاً فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ أَحْيِني مَا كَانَت الحَيَاةُ خَيْرًا لي وَتَوَفَّني إذَا كَانت

(١) أخرجه الترمذي رقم (٢٤٠٠) في الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح وهو كما قال ورواه أيضاً أحمد والدارمي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وغيرهم، وهو في صحيح الجامع رقم (٩٩٢) والصحيحة (١٤٣).

الوفاة خَيْرًا لي»[١].

وأختم هذه الرسالة إليكم أيها المسلمون الصابرون بهذه الكلمات الدقيقة لشداد بن أوس ـ رضي الله عنه ـ إذ يقول: «أيها الناس لا تتهموا الله في قضائه، فإن الله لا يظلم أحدًا، فإذا أنزل بك شيئًا تحبه فاحمد الله على العافية، وإذا أنزل بك شيئًا تكرهه فاصبر واحتسب، واعلم بأن الله جل وعلا عنده حسن الثواب» .

أسأل الله جل وعلا لهذه المرأة المسلمة أن يغفر لها وأن يتقبلها عنده في الشهداء، فإن النبي ﷺ قد أخبر أن من مات من المسلمين ببطنه فهو شهيد عند الله جل وعلا، والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال النبي ﷺ : « **مَا تعدُّونَ الشَّهيدَ فيْكُمْ ؟** »

قالوا: من قتل في سبيل الله فهو شهيد قال المصطفى ﷺ : «**إنْ شُهَدَاءَ أُمَّتي إذًا لَقَليْلٌ**»

قالوا: فمن هم يا رسول الله؟ .

قال: «**مَنْ قُتلَ في سَبيْلِ الله فَهُو شَهيْدٌ وَمَنْ مَاتَ في الطَّاعُونِ فَهُو شَهيدٌ ومَنْ مَاتَ في البَطْنِ فَهُو شَهيدٌ**»[٢].

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٥٧١) في المرضى، باب تمني المريض الموت، وفي الدعوات، باب الدعاء بالموت والحياة ومسلم رقم(٢٦٨٠) في الذكر والدعاء، باب كراهية تمني الموت، والترمذي رقم (٩٧١) في الجنائز، باب في النهي عن تمني الموت، وأبو داود رقم (٣١٠٨)، (٣١٠٩) في الجنائز، باب كراهية تمني الموت، والنسائي (٣/٤) في الجنائز، باب تمني الموت .

(٢) رواه مسلم رقم (١٩١٥) في الإمارة، باب بيان الشهداء، والموطأ (١/١٣١) في صلاة الجماعة، باب ما جاء في العتمة والصبح والترمذي رقم (١٠٦٣) في الجنائز، باب ما جاء في الشهداء من هم .

وفي رواية الموطأ والترمذى أن رسول الله ﷺ قال : «**الشُّهَداءُ خَمْسَةٌ: المَطْعُونُ والمَبْطُونُ والغَرِقُ، وصَاحبُ الهَدْمِ، والشَّهِيْد في سَبِيْلِ الله**» والمبطون :هو الذي يشكو بطنه .

هذا فضل الله جل وعلا، أسأل الله جل وعلا أن يتقبلها عنده في الشهداء ،وأسأل الله لجميع إخواننا وأخواتنا من أصحاب الأسرة البيضاء، ممن ابتلاهم الله عز وجل بالأمراض والبلاء أن يجعل شفاءهم سهلاً، ميسورًا، اللهم اشفِ مرضانا ومرضى المسلمين.

اللهم اجعل شفاءهم سهلاً ميسورًا يا أرحم الراحمين،اللهم أبدلهم لحمًا خيرًا من لحمهم ،ودمًا خيرًا من دمهم، وأنزل عليهم رحمةً عاجلةً عليهم يارب العالمين .

وأخيرًا أختم هذا اللقاء برسالة إلى أهل العافية من البلاء أسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأرجئ الحديث عن هذا العنصر إلى ما بعد جلسة الاستراحة وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله .

اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد .

رسالة إلى أهل العافية من البلاء :

أيها الأحبة: أذكر نفسي وإياكم جميعًا وأقول: اسجدوا لله شكرًا على العافية بعد الإسلام، فإن الصحة تاجٌ على رؤوس الأصحاء يتلألأ لا يراه إلا المرضى !! .

يا مَنْ مَنَّ الله عليك بالعافية بعد الإسلام اسجد لربك شكرًا على هذه النعمة.

يا مَنْ مَنَّ الله عليك بالعافية، اسجد لربك شكرًا على هذه النعمة، واعلم بأن نعمة الله عليك بالعافية بعد الإيمان هي أعظم نِعَمِه عليك .

هناك من الناس من يظن أن الرزق هو المال ونسي نعمة العافية ونعمة الصحة ونعمة الإسلام قبل ذلك .

واعلم بأن الشكر يدور على ثلاثة أركان:

الاعتراف بالنعمة باطنًا، والتحدث بالنعمة ظاهرًا، واستغلال النعمة في طاعة الله جل وعلا .

فالحمد يدور على القلب واللسان، أما الشكر فإنه يدور على القلب واللسان والجوارح والأركان.

قال الرحيم الرحمن ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ﴾ [سبأ: ١٣]

وفي الصحيحين من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قام النبي ﷺ حتى تفطرت قدماه فقيل له ألم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟!

فقال المصطفى ﷺ: « أفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا »[1]

النَّفْسُ تَجْزَعُ أَنْ تَكُونَ فَقِيرة ... والفَقْرُ خَيرٌ مِنْ غنىً يُطغِيهَا
وَغنى النُّفُوسِ هُو الكَفَافُ فَإِنْ ... أَبَتْ فَجَمِيعُ مَا في الأرضِ لاَ يَكْفِيهَا
هي القَنَاعةُ فَالْزَمْهَا تَكُنْ مَلكًا ... لَوْ لم تَكُنْ لَكَ إلاَّ رَاحَةُ البَدَن
وانْظُر لمَنْ مَلَكَ الدُّنْيَا بأجْمَعِهَا ... هَلْ رَاحَ مِنْهَا بِغَيْرِ الطِّيبِ والكَفَنِ

وقد قيل لرجل كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بين نعمتين لا أدري أيتهما أفضل، ذنوب سترها الله عليّ لا يستطيع أحدٌ أن يعيرني بها.

ومودة قذفها الله لي في قلوب عباده لا يبلغها عملي!!

فإن مَنَّ الله عليك بالعافية فاشكر الله عليها.

فالشكر لا يكون إلا باستغلالها في كل ما يرضيه .

إن مَنَّ الله عليك بالأولاد فاشكر الله على هذه النعمة، فيكون الشكر بتربية الأولاد على كتاب الله وسنة الحبيب رسول الله ﷺ.

(١) رواه البخاري (٣/ ١٢) في التهجد، باب قيام النبي ﷺ الليل، وفي تفسير سورة الفتح، وفي الرقاق، باب الصبر عن محارم الله ، ومسلم رقم(٢٨١٩) في صفات المنافقين، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، والترمذي رقم(٤١٢) في الصلاة، باب ما جاء في الاجتهاد في الصلاة، والنسائي(٣/ ٣١٩) في قيام الليل، باب الاختلاف على عائشة في إحياء الليل .

إن مَنَّ الله عليك بالزوجة فاشكر الله على هذه النعمة واتقِ الله فيها وربها على كتاب الله وعلى سنة رسول الله ﷺ

إن مَنَّ الله عليك بمنصب أو كرسى فاشكر الله على هذه النعمة وسَخّر الكرسى والمنصب لتفرِّج هموم الناس وكربات الناس .

إن مَنَّ الله عليك بالأموال فاشكر الله على هذه النعمة واعلم بأن الشكر لا يكون إلا بالبذل والعطاء والإنفاق.

إن مَنَّ الله عليك بالعلم فاعلم بأن الشكر لا يكون إلا بالتعليم والتحرك هنا وهناك والدعوة لله جل وعلا .

ثانيا:من رسالتي لأهل العافية:

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل:١٨]

أما تستحي يا من تستعمل نعمة العافية في معصية الله !!

أما تستحي بعد سماع هذا الموضوع في الجمعة الآن أو عبر الشريط في أى مكان !!

أما تستحي يا من تتجرأ على معصية الله بنعمة الله ألا وهي العافية!!

يا من استعملت بصرك لتتبع العورات والحرام أما تستحي !!

تَذَكَّر من فَقَدَ بصره .

يا من استعملت سمعك في سماع الحرام أما تستحي !!

تَذَكَّر من فقد سمعه.

يا من استعملت يدك التي تبطش وتظلم بها أما تستحي!!

تذكر من فقد يده.

يا من استعملت رجليك في السعي لمعصية الله أما تستحي !!

تذكر من ألزمه المرض الفراش .

يا من استعملت منصبك وكُرسِيّك الذي جلست عليه لظلم العباد

والتحقير لخلق الله أما تستحي !!

تذكر ضعفك وفقرك وعجزك، فأنت مسكين وضعيف ولولا أن الله عز وجل قد أطلق البدن لَلزمْتَ الأرض وللزمت الفراش.

فإياك أن يغرك مركزك !! إياك أن يغرك منصبك !! إياك أن يغرك جاهك ووجاهتك !! فأنت ضعيف أيها المسكين !!

تحمل البصاق في فمك !! وتحمل المخاط في أنفك !! وتحمل العرق تحت إبطيك!! وتحمل البول في مثانتك !! وتحمل النجاسة في بطنك!! وتمسح عن نفسك النجاسة بيدك كل يوم مرة أو مرتين !!

يا أيها الإنسان ما غَـرّكَ بربك الكريم.. يا من غَرَّكَ جاهك .. اعلم بأن الله جل وعلا قادر على أن يسلبه منك .. واعلم بأن كرسيك إلى زوال، وأن منصبك إلى فناء، إذ لو دام الكرسي الذي جلست عليه لأحد ما وصل إليك .

اعلم بأن الدنيا كلها إلى زوال، وبأن المناصب كلها إلى فناء.

أيْنَ الظَّالِمُونَ؟! وأيْـنَ التَّـابِعُـونَ لَهُمْ

في الغَيِّ؟ بَلْ أَيْنَ فِـرْعَـونُ وهَامَـانُ؟!

أَيْنَ مَنْ دَوّخُوا الدُّنْيَـا بِسَطْـوَتِهِمْ

وذِكْـرهِمْ في الوَرَى ظُـلْمٌ وطُغْـيَـانُ؟!

هَلْ أَبْـقَى المَوْتُ ذَا عِـزٍّ لِعِـزَّتِهِ

أَوْ هَلْ نَجَـا مِنْهُ بِالسُّلْطان إنْسَـانُ

لاَ وَالَّذي خَلَـق الأكْـوانَ مِنْ عَـدَمٍ

الكُـلُّ يَفْنَـى فَـلا إنْسٌ وَلاَ جَـانُ

وصدق الله إذ يقول: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]

تذكروا هذا يا أهل العافية، لاتبخلوا على إخوانكم المرضى بالزيارة والدعاء، فحق المريض علينا الزيارة، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

« حَقُّ المُسْلِم عَلَى المُسْلِم خَمْسٌ، ردُّ السَّلَام، وعِيادَةُ المَرِيض، واتِّبَاعُ الجَنَائِز، وَإجَابَةُ الدَّعْوَة، وتَشْمِيْتُ العَاطِس »(١).

واسمع إلى هذا الحديث الجميل الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللهُ تَعَالى يَوْمَ القيامَة: عَبْدي مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْني! فَيَقُولُ العَبْدُ: يارَبِّ كَيفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ ربُّ العَالَمينَ؟ فَيَقُولُ اللهُ جَلَّ وعَلاَ: لَقَدْ مَرِضَ عَبْدي فُلانٌ أَمَا عَلمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدته لَوجَدْتَني عِنْدَهُ، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمتُكَ فَلَمْ تُطْعمني!، فَيَقُولُ العَبْدُ: يارَبِّ كَيفَ أُطْعمُكَ وأنتَ ربُّ العَالمينَ؟ فَيَقُولُ اللهُ جلَّ وَعَلا: لَقَدْ استَطْعَمَكَ عَبْدي فُلاَنٌ أَمَا عَلمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلكَ عنْدي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيتُكَ فَلَمْ تُسْقني! فَيَقُولُ: يَارَبِّ كَيْفَ أَسْقَيْكَ وَأَنتَ رَبُّ العَالَمينَ؟ فَيقُولُ اللهُ جلَّ وعَلا: لقَدْ استسْقَاكَ عَبْدي فُلانٌ فَلَمْ تُسْقه أَمَا عَلمْتَ أَنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلكَ عنْدي»(٢).

---

(١) رواه البخاري (٣/ ٩٠) في الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز، ومسلم رقم (٢١٦٢) في السلام، باب من حق المسلم على المسلم رد السلام، وأبو داود رقم (٥٠٣٠) في الأدب، باب في العطاس، والترمذي رقم (٢٧٣٨) في الأدب، باب ما جاء في تشميت العاطس، والنسائي (٤/ ٥٣) في الجنائز، باب النهي عن سب الأموات.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٥٦٩) في البر والصلة، باب فضل عيادة المريض.

فـمن حق المرضى علينا نحن أهل العافية أن نزورهم وأن نُدخِل عليهم السعادة والبسمة والسرور وأن نكثِر لهم من الدعاء.

وأخيرًا أقول أيها الأحبة الكرام جدّدوا التوبة والأوبة، وتذكروا أن الحياة الدنيا دار ممر وأن الآخرة هي دار المقر، فخذوا من ممركم لمقركم ولا تفضحوا أستاركم عند من يعلم أسراركم، وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

أقبلوا على الله وعودوا إلى الله أيها الشباب يا من استغللتم نعمة الله العافية ـ في معصية الله .

أيها الرجال.. أيها الشباب.. أيتها المسلمات فلنعد جميعًا إلى الله سبحانه ونحن على ثقة في رحمة الله، ونحن على يقين بكرم الله وعفو الله، قال جل في علاه ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر: ٥٣]

اللهم اشفِ مرضانا ومرضى المسلمين، اللهم اجعل شفاءهم سهلا ميسورًا يارب العالمين.

اللهم أنزل عليهم رحمة من عندك، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا أبدًا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا.

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين وأَعْلِ بفضلك كلمة الحق والدين.

اللهم لا تدع لأحد منا ذنبا إلا غفرته، ولا مريضًا إلا شفيته، ولا دينا إلا قضيته، ولا ميتا إلا رحمته، ولا عاصيا إلا هديته، ولا طائعًا إلا ثبته ولا حاجة هي لك رضا ولنا فيها صلاح إلا قضيتها ويسرتها يا أرحم

الراحمين.

اللهم اجعل جمعنا هذا جمعا مرحوما، وتفرقنا من بعده تفرقا معصوما، ولا تجعل فينا ولا منا شقيًا ولا محروما.

اللهم اهدنا واهد بنا واجعلنا سببًا لمن اهتدى.

اللهم استرنا ولا تفضحنا، وأكرمنا ولا تهنا، وكن لنا ولا تكن علينا، اللهم عليك باليهود وأتباعهم يارب العالمين، اللهم كما أفزع اليهود إخواننا في فلسطين فاملأ قلوبهم وبيوتهم رعبا وفزعًا يا أرحم الراحمين.

اللهم إنا نشكو إليك خيانة الخائنين، وإجرام المجرمين، وتكاسل الزعماء والقادة يا أرحم الراحمين.

اللهم عليك باليهود وأتباع اليهود اللهم شتت شملهم، اللهم فرق صفهم، اللهم املأ قلوبهم وبيوتهم رعبا وفزعا يارب العالمين.

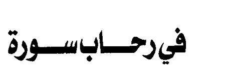
اللهم ثبت إخواننا المجاهدين المسلمين في كل مكان يارب العالمين.

اللهم أقر أعيننا بنصرة الإسلام وعز الموحدين، اللهم اشفِ صدور قوم مؤمنين اللهم اشفِ صدور قوم مؤمنين .

هذا وما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من خطأ أو زلل أو سهو أو نسيان فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وأعوذ بالله أن أكون جسرًا تعبرون به إلى الجنة ويلقى به في النار، وأعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه وصَلِّ اللهم وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه وسلم وأقم الصلاة .



في رحـــاب ســـورة



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره،ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسـيئات أعمـالنا، من يهده الله فلا مـضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له. وأشهد أن محمدًا عبده ورسـوله وصفـيه من خـلقه وخليله أدى الأمـانة وبلّغ الرسـالة ونصح للأمـة، فكشف الله به الغـمـة وجاهد فـي الله حق جهـاده حـتى أتاه اليقين.

فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيًّا عن أمته، ورسولاً عن دعوته ورسالته.

وصل اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحـابه، وأحبابه، وأتباعه وعـلى كل من اهتدى بهديه واستن بِسنته واقـتفى أثره إلى يوم الدين.

أمـا بعـد فحيـاكم الله جميعًـا أيها الآباء الفضلاء وأيـها الإخوة الأحباب الكرام الأعزاء وطبـتم جميعًا، وطاب ممشاكم وتبوأتم جـميعًا من الجنة منزلاً وأسأل الله العظيم الكريم جل وعلا الذي جمعنا وإياكم في هذا البيت المبارك على طاعته أن يجمعني وإياكم في الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى ﷺ في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

نحن اليوم مع سـورة تهز القلوب الغـافلة، وتزلزل القلوب القاسـية الجامدة، وتأخذ الناس أخذًا من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة.

إن لقاءنا اليوم أيها الأحباب مع سورة «الزلزلة» حقا والله إنها زلزلة للقلوب القاسية، والله إنها زلزلة للقلوب الغافلة.

هذه السورة التي تقل كلماتها كثيرًا كثيرًا ولكنها تحمل من المعاني ما يخشع لها الجبال وتهتز لها القلوب في الصدور هذه السورة التي قال الله تبارك وتعالى فيها:

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ١-٨]

إنها زلزلة للقلوب القاسية أيها الأحباب.

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾

متى يحدث هذا المشهد؟ ومتى سيكون ذلك؟

إذا أراد تبارك وتعـالى إحيـاء خلقه من يوم أن خلقـهم إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليـهـا، يأتي الله تبـارك وتعالى بهـذه العَظْمَـة الصغيرة التي توجد في آخـر السلسلة الفقرية لكل إنسان خلقه الله جل وعلا هذه العظمة تسمى«عجب الذنب»

هذه العظمة الصغـيرة الدقيقة هي التي لا تبلى من أي إنسـان، كما في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ**

يَبلَى إلا عَجْبَ الذَّنَب، منْهُ خُلِقَ، ومنْهُ يُرَكَّبُ»(١)

يأتي الله بهذه العظمة ويركب من حولها جسد صاحبها .

ما ذهب من جسده في البحار وما ضاع من جسده في الأنهار، وماراح غذاءً للأشجار، يأتي الله جل وعلا بهذ كله ليكتمل بدن الإنسان كما كان.

فإذا ما اكتملت الأجساد في القبور أمر الله جل وعلا بالأرواح فتلقى الأرواح في الصور.

والصور هو البوق الذي يأمر الله إسرافيل بالنفخ فيه.

فيأمر الله جل وعلا إسرافيل أن ينفخ في الصور نفخة البعث، قال تعالى: ﴿**ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ**﴾ [الزمر: ٦٨]

فإذا نفخ إسرافيل في الصور خرجت الأرواح لها دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النحل فيقول ربنا جل وعلا: «**وَعِزَّتِي وَجَلالِي لَيَرْجِعَنَّ كُلُّ رُوحٍ إلى جَسَدِه**»كما ورد في حديث الصور الطويل الذي رواه الإمام الطبراني والبيهقي وأبو يعلى الموصلي وذكره الإمام أبو العز الحنفي في شرحه للعقيدة الطحاوية وضعفه الحافظ ابن كثير:

تسري الأرواح في الأجساد كما يسري السم في اللديغ - وهنا - إذا ما اكتملت الأجساد في القبور - يأمر الله جل وعلا بأن تزلزل الأرض

---

(١) رواه البخاري (٤٨١٤) في تفسير سورة الزمر، باب قوله: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ وفي تفسير سورة «عم يتساءلون»، ومسلم رقم (٢٩٥٥) في الفتن، باب ما بين النفختين، والموطأ (١/ ٢٣٩) في الجنائز، باب جامع الجنائز، وأبو داود رقم (٤٧٤٣) في السنة، باب في ذكر البعث والصور، والنسائي (٤/ ١١١) في الجنائز، باب أرواح المؤمنين.

وأن تنشق الأرض.

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ تنفض الأرض لتخرج ما في جوفها إخراجاً ولتلفظ ما في بطنها لفظا ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٤١ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ۝٤٢ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ۝٤٣ يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق:٤١-٤٤]

أيهـا الأحبـاب: إنه يوم القيامة.. إنه يوم الآزفة.. إنه يوم القارعة.. إنه يوم الحاقة.. إنه يوم الصيحة.. إنه يوم الانقلاب الكامل لكل مشهود ومعهود، كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام الترمذي بسند حسن من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ كَأَنَّهُ رَأْيَ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ و﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ و﴿ إذا السماء انشقت﴾»[1]

إنه يوم القيامة أيها الأحباب﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق ١-٥]

أي حُقَّ عليها وحقٌّ لها أن تخضع وأن تخشع لأمر ربها جل وعلا... وهنا أيها الأحباب يبدأ أول مشهد من مشاهد القيامة يخرج الناس من القبور حفاةً عراةً غرلاً... وهنا فزعت أمنا أم المؤمنين

---

(١) أخرجه الترمذي رقم (٣٣٣٠) في التفسير، باب ومن سورة «إذا الشمس كورت» ورواه أيضا أحمد في المسند رقم (٤٨١٦، ٤٩٣٤، ٤٩٤١، ٥٨٥٥) والحاكم (٢/٥١٥) وصححه، ووافقه الذهبي وهو كما قالا، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٩٣).

عائشة رضي الله عنها لما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم« **يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القيامَـة حُفَاةً عُرَاةً غُرلاً** » فقالت عائشة: يا رسول الله الرجال والنساء ينـظر بعضهم إلى بعض، قال: « **الأَمْرُ أَشَـدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُم ذَلكَ** »(١)

يخرج الناس من القبور.. الأرض تتشقق هنا وهناك! يبعث الناس.

تَذَكَّرْ وُقُوفَكَ يَوْمَ العَرْضِ عُرْيَانَا ... مُسْتَوْحِشًا قَلقَ الأَحْشَاء حَيْرَانَا
والنَّارُ تَلْهَبُ منْ غَيظ ومنْ حَنَق ... عَلَى العُصَاة ورَبُّ العَرْش غَضْبَانَا
اقْرأَ كتَابَكَ يَا عَبْدُ عَلَى مَهَلٍ ... فَهَل تَرَى فيْه حَرْفًا غَيْرَ مَا كَانَا
فَلَمَّا قَرأَت ولَمْ تُنْكر قَراءتَهُ ... وأَقْرَرْت إقْرَارَ مَنْ عَرفَ الأَشْيَاءَ عرفَانَا
نَادَى الجَلِيْلُ خُذُوهُ يَا مَلائكَتِي ... وَامْضُوا بعَبْد عَصَى للنَّار عَطْشَانَا
المُشْركُونَ غَدًا في النَّار يَلْتَهبُوا ... والمُوَحِّدُون في دَار الخُلْد سُكَّانَا

من هنا وهناك... إنه مشهد لا عهد للبشر به.. إنه مشهد الخروج من القبور يا عباد الله.

من هنا تتشقق الأرض ... ومن هنالك تتشقق الأرض .. ويخرج الناس من القبور إذا ما خرج العبد من قبره لا ينظر عن يمينه ولا ينظر عن شماله ولا ينظر خلفه وإنما أخذ بصره وامتدت رقبته وأخذ يتتبع هذا الداعي الذي جاء بأمر الله جل وعلا ليقود الناس إلى أرض المحشر: ﴿**يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَت الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا**﴾ [طه: ١٠٨]

---

(١) رواه البخاري (١١/ ٣٣٤) في الرقاق، باب الحشر، ومسلم رقم (٢٨٥٩) في الجنة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، والنسائي (٤/ ١١٤) في الجنائز، باب البعث.

أين أصحاب الأصـوات العالية؟ . . أين أصحـاب الكلمات الرنانة في الصحف ووسائل الإعلام؟!

أين الذين حـاربوا الإسلام؟ . . .وأين الذين امـتلأت قلوبهم غـيظًا وحقدًا على دين الله؟ أين الذين قـالوا، وقالوا، وقالوا!؟ ﴿**وَأَخْـرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا**﴾

ما الذي جرى؟! وما الذي حدث؟!

إن الأرض كانت آمنة . . وكانت هادئة!!

ما الذي غيَّرها؟! وما الذي بدَّلها؟ وما الذي حول أمنها واستقرارها إلى هذه الزلزلة وهذا الدوار. . وما لها ؟!

﴿**وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا**﴾

أتدرون ما أخبارها ياعباد الله؟!

ورد في الحديث الذي رواه التـرمذي بسند حسن صـحيح أن النبي ﷺ قـرأ هذه الآية ﴿**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا**﴾ فقـال: «**أَتَدْرُون مَـا أَخْبَارِهَا؟**» قالوا : الله ورسوله أعلم، قال : « **إِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْد، وَعَلَى كُلِّ أُمَّـة بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا، فَتَقُـولُ: عَمِلَ فُلانٌ كَذَا وَكَذا فِيِّ يَوْمِ كَذَا وَكَذَا فَهَذِه أَخْبَارُهَا**» [١]

نسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يسترنا وإياكم فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض إنه ولي ذلك ومولاه.

---

(١) أخرجه الترمذي رقم (٣٣٥٠) في التفسـير، باب ومن سورة إذا زلزلت، وقال الترمذي: حـديث حسن صـحيـح غريب ، وأخـرجه أحـمـد في مسنده (٢/ ٣٧٤) والحـاكم في مستدركه (٢/ ٥٣٢) وقال: حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي .

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الزلزلة: ٦]

إنه مشهد من أرهب مشاهد القيامة يا عباد الله . . من الناس من يبعث ونورٌ يشرق من وجهه وأعضائه لأن النبي ﷺ قال في الحديث الذي رواه مسلم من حديث جابر بن عبد الله:

«يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»(١)

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

لقد أجرى الكريم عادته بكرمه أن من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بُعِثَ عليه.

كما قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «منهم من يكون نوره كالجبل . . ومنهم من يكون نوره كالنخلة، ومنهم من يكون نوره كالرجل القائم ومنهم من يكون نوره على إبهامه يتَّقدُ مرة ويُطفأ مرة»(٢)

* ومنهم من يُبعث والظلمة تحيط به من كل جانب.

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]

ولا حول ولا قوة إلا بالله

* ومنهم من يُبعث والدم يندفع منه له رائحة كرائحة المسك وهؤلاء هم الشهداء الذين ماتوا في سبيل الله كما رواه البخاري ومسلم

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٣٨٧٨) في الجنة، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت .

(٢) ذكره الإمام السيوطي في الدر المنثور وعزاه لابن أبي حاتم وابن المنذر وابن مردويه ورواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين وتعقبه الإمام الذهبي فقال: بل هو صحيح على شرط البخاري .

* ومنهم من يبـعث وهو ينطلـق في أرض المحشـر وهو يقـول : «لبيك اللهم لبيك» وهؤلاء هم الذين ماتوا بـلباس الإحرام كما ورد في الحديث الذي رواه البخاري .

* ومنهم من يُبعث وكأس الخمر معلق في رقبته.

* ومنهم من يُبعث وقد التف الأطفـال من حوله في أرض المحشر يتعلقون به وبرقبته أتدرون من هو؟ إنه الذي أكل أموال اليتامى ظلمًا.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء : ١٠].

* ومنهم من يُبعـث في أرض المحشر وقد الـتف الناس من حوله هذا يتعلق في رقبته وهذا يجره من ذراعه وهذا يتعلق به، من هذا؟! من هؤلاء؟! إنهم أصحاب المظالم الذين ظلموا عباد الله في الدنيا . . الذين ظلموا خلـق الله في الدنيا . . الذين غرتـهم قدرتهم على ظلم العـباد ونسوا قدرة رب العباد جل وعلا، فظلـموا خلق الله وأكلوا حقوق عباد الله تبارك وتعالى.

* ومنهم من يبعث وقد حمل على كتفيه حملاً ثقيلاً . ! !

إن هذا هو الذي سـرقـه وغله فـي هذه الحـيـاة . . يأتي من سـرق بنكًا، ويأتي من سرق أمة! ويأتي من سرق دولة! ويأتي من سرق بيضة!

قال تعالى **﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾** [آل عمران: ١٦١]

إنه يوم الفضائح ياعباد الله . . إنه يوم الذل والخزي والعار للمجرمين العـاصين نسـأل الـعـزيز الغـفـار جل وعـلا أن يسـتـرنـا وإياكم بمنه وكرمه: **﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾**

وهكذا ينطلق الناس في أرض المحـشر فإذا مـا وصلوا إلى الأرض التي حددها الله جـل وعلا اقتـربت الشمس من الرؤوس كـما ورد في

الحديث الذي رواه مسلم من حديث المقداد بن الأسود أن النبي ﷺ قال: «**تُدْنى الشَّمسُ يَوْمَ القِيَامَةِ منَ الخَلْقِ حتَّى تَكُونَ منهُم كَمقْدَار ميْلٍ**»- زاد الترمذي: أو اثنين، قال سُليم بن عامر: فو الله ما أدري ما يعني الميل: أمسافة الأرض؟، أو الميل الذي تُكتَحل به العين؟ قال: «**فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهم في العَرَق، فَمنْهُمْ مَنْ يَكونُ إلى كَعْبَيْه وَمنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إلى رُكْبَتَيْه، ومَنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إلى حَقْوَيْه، وَمنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ العَرَقُ إلجامًا**» وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه[1]

هكذا يا عباد الله يقف الناس ويطول الموقف بل ويزداد الهم والغم ويزداد الكرب إذا ما وقف الناس في أرض المحشر وأُمر بجهنم «**فَيُؤْتَى بِهَا لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**»[2]

فإذا ما رأت الخلائق زفرت، وجثت الأمم على ركبها ﴿**وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً**﴾ [الجاثية: ٢٨] فتحيط جهنم بالخلائق من كل ناحية، ومن كل جانب فيزداد الهم ويزداد الغم والكرب.

وهنا ينطلق الناس من هول هذا الموقف ويقول بعضهم لبعض: ألا ترون ما نحن فيه، ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم، وينطلق الناس إلى أنبياء الله ورسله عليهم السلام، إلى آدم، إلى الخليل إبراهيم، إلى موسى، إلى عيسى، ويقول كل واحد منهم نفسي نفسي !! إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، نفسي، نفسي حتى يذهبون إلى النبي ﷺ ويقولون

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٨٦٤) في صفة الجنة، باب صفة يوم القيامة، والترمذي رقم (٢٤٢٣) في صفة القيامة باب رقم (٣) والحقو: مشدُّ الإزار عند الخصر.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٨٤٢) في صفة الجنة، باب في شدة حر نار جهنم، والترمذي رقم (٢٥٧٦) في صفة جهنم، باب ما جاء في صفة النار.

يارسول الله لقـد غفـر الله لك ماتقـدم من ذنبك وماتأخـر، وأنت خاتم رسل الله ألا ترى ما نحن فـيه؟! ألا ترى ماقد بـلغنا؟! ألا تشفع لنا إلى ربك؟! فيقول أنا لها. أنا لها قال رسول الله ﷺ: «فَأَسْتأذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا أنَا رَأيْتُهُ وَقَـعْتُ سَاجِداً، فَـيَدعُنِي مَـا شَاءَ اللَّهُ، فَيـقالُ: يَا مُحَـمَّدُ، ارْفَعْ، قُلْ يُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَه، اشْـفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرفَعُ رَأسِي، فَأَحْـمَدُ رَبِّي بتَحْمِيـد يُعَلِّمُنيه رَبِّي، ثُمَّ أشْفَعُ»[1] هَذَا هُو المَقَامُ المَحْـمُودُ الَّذي قَالَ تَعَالى: ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩]

وهذا ما قاله الإمـام أبي العز الحنفي في شرح العقـيدة الطحاوية: هذه هي الشفاعة الأولى والشفاعة العظمى.

ثم تتنزل الملائكة يا عـباد الله من أهل السـموات وبعـدها يتنزل الحق جل وعلا تنزلاً يليق بكماله وجلاله، فكل ما دار ببالك فالله بخلاف ذلك ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] لاتعطيل ولا تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢] لاتقولوا جاء أمر الله، ولا تقولوا جاءت قدرة الله وإنما ﴿وجاء ربك﴾ مجيئاً يليق بكماله وجلاله، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ [البقرة:٢١٠].

يأتي الحق تبارك وتعالى إتيـانًا يليق بذاته جل وعلا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وهنا يقول ربنا تبارك وتعالى:

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣١٤٧) في التفسيـر، باب من سورة بني إسرائيل، وقال الترمذي: هذا حديث حسن وحديث الشـفاعـة بطوله في البخاري (٦/ ٢٦٤/ ٢٦٥) ومسـلم رقم (١٩٤) في الإيمان وليس فيه الشفاعة العامـة (راجع شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٢٣١ط المكتب الإسلامي الطبعة التاسعة).

﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٦٠-٦٧]

لامجال للنفاق هنا . . ولا مجال هنا للممارة الكلامية الكاذبة

ستتكلم الأيدي التي كتبت . . ستتكلم الأيدي التي بطشت . . ستتكلم الأرجل التي سعت لمعصية الله . . ستنطق الجوارح وتشهد . . ستشهد الجلود . . أنطقها الله الذي أنطق كل شيء.

وبعد كل هذا الهول يبدأ الحساب . . بعد كل هذا الرعب والفزع بقي الحساب؟! يبدأ الحساب بالعرض على الله.

فمن الناس من يأخذ الكتاب بيمينه ومنهم من يأخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره ويقف الناس في هذا الموقف الرهيب، وينادى على كل أحد باسمه كما ورد في حديث عدي بن حاتم الذي رواه البخاري أنه ﷺ قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إِلاَّ النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[1]

(١) رواه البخاري (١٧/ ٢٥٤, ٢٥٥) في التوحيد، باب كلام الرب عز وجل، ومسلم رقم (١٠١٦) في الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، والترمذي رقم (٢٤٢٧) في صفة القيامة في شأن القصاص.

سيكلمك الله ياعبد الله ليس بينك وبينه ترجمان، ينادي عليك: أين فلان بن فلان ؟ أنا؟! هذا هو اسـمي ؟! أنا صاحب هذا النداء؟! ماذا تريدون ياملائكة الله؟!

أقبل للمثول بين يدي الله جل وعلا.!

فتـتخطى الصـفوف ياعبـد الله وسط هذا الزحام وفي هذا المشـهد صفوف الملائكة وصـفوف البشر وصفـوف الجن، لترى نفسك بين يدي ملك الملوك جل وعلا..

لتقف بين يدي الله العليم الحكيم الخبير .

ويقرع الـنداء قلبك ..فيـصفر وجـهك .. وترتعد فـرائصك .. وتضطرب جوارحك وأنت تتـقدم لتعطى كتـابك، هذا الكتاب الذي لا يغادر بلية كتمتها ولا مخبأةً أسررتها.

فكم من معصية قد كنت نسيتها ذكَّرك الله إياها؟!

كم من مصيبة قد كنت أخفيتها أظهرها الله لك وأبداها؟!

فيا حسرة قلبك وقتها على مافرطت في دنياك من طاعة مولاك.

فإن كان العـبد من المؤمنين الموحدين الصـادقين ـ جعلنا الله وإياكم منهم بمنه وكـرمه ـ يقربه الله عـز وجل منه كمـا ورد في الحديث الذي رواه البخاري من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه ﷺ قال:

«يُدني المُؤمنُ منْ ربِّه يَوْمَ القـيَامَـة، حتَّى يَضعَ عَلَيْـه كَنَفَهُ»(كـنـف الإنسان: ظله وجانبه والمراد به: قرب الله تعالى ودنوُّ رحمته وفضله على العبد، تقول أنا في كنـف فلان أي: في ظله وجانبه) **«فَـيُقَـرِّرُهُ بذُنُوبه: تَعْرفُ ذَنْب كـذَا وكَذَا؟ فَيَـقُولُ: أَعْرفُ ربِّ، أَعْـرفُ ـ مَرَّتَيْن ـ فَيَـقُولُ سَـتَرتُهَـا عَلَيْكَ في الدُّنْيَـا، وأغـفرُهَـا لَكَ اليَـومَ، ثُمَّ تُطْوى صَـحيْـفـةُ**

حَسَـنَاته،وأَمَّا الآخَـرُونَ فيُنَادى بهِمْ عَلَى رءوس الخَـلائق: هَؤلاء الَّذينَ كَذَبُوا عَلَى ربِّهِم، أَلاَ لَعْنَةُ الله عَلَى الظَّالمينَ»[1]

عبـاد الله: إن المؤمن إذا أتى الله بقـراب الأرض خطايا ثم لقي الله لايشرك به شيئا غفر له كما جاء عن رسول الله ﷺ كما رواه الترمذي بسند صحيح: «...**يَا بْنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَني بقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ أَتَيْتَني لا تَشْرِكْ بِي شَيْئًا لأتَيْتُكَ بقُرَابهَا مَغْفرَةً**»[2]

فيعطى المؤمن كتابه بيـمينه وينطلق في أرض المحشر، وقد نجح في الامتحان وفاز في الاختبار الحقيقي.

وأخذ كتابه بيمينه فينطلق وقد أشرق وجهه وأُنيرت أعضاؤه..

ينطلق في أرض المحشر ليبشر المؤمنين .. ليبشر الموحدين ..

ينطلق وكتابه بيمينه فيمر على الناس ويقول لهم: ألا تعرفونني؟!

فيقولون من أنت ؟!من أنت غمرتك كرامة الله.

فـيقـول: انظروا .. هذا كـتابي بيـمينـي شاركـوني الفرحـة .. شاركوني السعادة .. شاركوني البـهجة.. اقرءوا معي هذا الكتاب .. انظروا .. هذا توحـيـدي وهذه صلاتي .. وهـذا صيـامي .. وهذه زكـاتي .. وهذا حـجي .. وهذا بـرِّي .. وهذه صـدقـتي .. هذه أعمالي الصالحات..

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٧٠) في المظالم ،باب قـول الله تعالى: «ألا لعنة الله على الظالمين»، وفي تفسـير سورة هـود،باب قوله تعالى: ﴿ويقـول الأشهاد هؤلاء الـذين كذبوا على ربهم﴾ [هـود:١٨]، وفي الأدب،باب ستر المؤمن على نفسه، وفي التوحيد،باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم،ومسلم رقم (٢٨٦٨) في التوبة،باب توبة القاتل وإن كثر قتله.

(٢) رواه أحمـد (٥/ ١٧٢) والترمـذي (٢/ ٢٧٠)، والدارمي (٢/ ٣٢٢) وصحـحه شيـخنا الألباني في الصحيحة رقم (١٢٧).

انظروا ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ١٩-٢٤] يالهـا من سعادة، ويالها من فرصة، وياله من فوز . . اللهم اجعلنا من الفائزين.

وإن كانت الأخـرى والعياذ بالله وعرض على الله جل وعـلا وأخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره اسْـوَدَّ وجهه، وكسي من سرابيل القطران وانطلق في أرض المحشر وهو يصرخ ويقول: ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٩]

أين المال؟! أين السلطان؟! أين الجاه؟!

ذهب كل شيء، وضاع كل شيء!!!

احتضر هارون الرشيد وقـام على فراش الموت فقال: «أنشدكم الله أريد أن أرى قـبري الـذي سأدفن فـيـه، فحـملوا هارون الرشـيـد إلى قبره، فنظر هارون إلى قـبره وبكى وازداد البكاء وارتفع النشيج، ثم رفع هارون رأسه إلى السـماء وقال : يامن لا يـزول ملكه ارحم من قد زال ملكه، ماأغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه».

أَرَى يَا عَـبْـدُ كَمْ يَرَاكَ اللـهُ عَـاصِـيًـا حَرِيصًـا عَلَى الدُّنْيَـا ولِلْمَوْتِ نَاسِـيًا
أَنَسِـيْتَ لِقَـاءَ الله واللَّحْـدَ والثَّـرَى ويَوْمًا عَـبُوسًـا تَشِيْبُ فِـيه النَّواصِـيَا
لَوْ أَنَّ المَرْءَ لَـمْ يَلْبَسْ ثِيَـابًا مِـنْ التُّـقى تَجَـرَّدَ عُـرْيَانًا وَلَوْ كَـانَ كَـاسِـيًا
ولَـوْ أَنَّ الدُّنْيَـا تَـدُومُ لأَهْلِـهَـا لَكَانَ رَسُـولُ الله حَـيًّـا وبَاقِـيَـا
وَلَكِنَّـهَـا تَفْنَـى ويَفْنَى نَـعِـيْـمُـهَـا وتَبْـقى الذُّنُوبُ والمَعَـاصِي كَمَـا هي

النَّفْسُ تَبْكي عَلَى الدُّنْيَا وَقَدْ عَلِمَتْ أنَّ السلامَةَ فيهَا تَركُ مَا فيهَا
لاَ دَارَ للمرْءِ بَعْدَ المَوْت يَسكُنُهَا إلاَّ الَّتي كَانَ قَبلَ المَوْت يَبْنيهَا
فَإنْ بَنَاهَا بخَيْر طَابَ مَسكَنُهُ وَإنْ بَنَاهَا بشرٍّ خَابَ بَانيهَا
أمْوَالُنا لذَوي الميْرَاث نَجْمَعُهَا ودُورُنا لخَراب الدَّهْر نَبْنيهَا
وكَمْ منْ مَدَائن في الآفَاق قَدْ بُنيَتْ وأَمسَتْ خَرابًا وأَفْنَى الموتُ أَهْليهَا
لاَ تَرْكَنَنَّ إلى الدُّنْيَا ومَا فيهَا فَالموتُ لا شكَّ يُفْنينَا ويُفْنيهَا
واعْمَلْ لدَار غَد رُضْوَانُ خَازنُها الجارُ أحمدُ والرَّحْمَن نَاشيهَا
قُصُورُهَا ذَهبٌ والمسْكُ طينَتُها والزَّعْفَرانُ حشيشٌ نابتٌ فيهَا
أنَهَارُهَا لَبنٌ مُصَفًّى وَمنْ عَسَل والخمْرُ يَجْري رَحيقًا في مَجَاريهَا
والطَّيرُ تَجْري عَلَى الأغْصَان عَاكفَةً تُسَبِّحُ اللهَ جَهرًا في مَغَانيهَا
فَمَنْ يشْتَري الدَّارَ في الفرْدَوْس يَعْمُرُهَا برَكْعَة في ظلام اللَّيل يُحييهَا

﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ﴾

[الحاقة: ٢٨: ٣٠]

خذوه وهو المعاند لله جل وعلا . . خذوه وهو المحارب لشرع الله . . . خذوه وهو القائم على المعاصي والذنوب . .

وبعد ذلك كله تنصب الموازين . . بعد هذا كله؟! نعم

قال الإمام ابن أبي العز في الطحاوية[1]: قال القرطبي : قال العلماء: إن الحساب لتقرير الأعمال، وإن الميزان لبيان مقدارها ليكون الجزاء بحسبها ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤١٧ ط المكتب الإسلامي

خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾

[المؤمنون ١٠٢ـ١٠٣]

ونحن نؤمن بالميـزان ولاننكر ذلك كـمـا أنكره بعض من يدعي العلم ورد في الحديث الـذي رواه البخاري ومـسلم من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال: «**يُؤْتَى بالرَّجُلِ العَظَيْمِ الثَّمـيْنِ فَلاَ يَزِنُ عندَ الله جَنَاحَ بَعُـوضَةَ**» ثم قال ﷺ: «**اقْرءوا إنْ شِـئتُم ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَة وَزْناً﴾** [الكهف ١٠٦]»[١] .

وفي الحديث الذي رواه الإمـام أحمـد في مسنده بسند صـحيح أن عبـد الله بن مسعـود ـ رضي الله عنه ـ صعد يـومًا ليجني سـواكا من الأراك، وكان دقيق السـاقين، فجعلت الريح تكفؤه، فـضحك القوم منه فقـال رسول الله ﷺ: «**ممَّ تَضْـحكُونَ؟**»، قالوا: يانـبي الله، من دقة ساقيه، فقال: «**والذي نَفْسِي بِيَدِه لَهُمَا أثْقَلُ في الميزَانِ من أُحُد**»[٢] .

وقال عمر رضي الله عنه: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح إيمان أبي بكر»[٣] .

وبعد ذلك أيهـا الأحبـاب ينصب الصراط ونكمل إن شـاء الله بعد جلسة الاستراحة لنرى ما الذي سـيحدث أسأل الله جل وعلا أن يسترنا وإياكم في الدنيـا والآخرة وأقـول قولـي هذا وأستـغفـر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) متفق عليه.

(٢) حـسنه شـيخـنا الألبانـي في تخريـج الطحـاوية وقال: رواه الإمـام أحـمـد في المسند (١/ ٤٥٠) بسند صحيح.

(٣) رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة وعـبد الله ابن الإمام أحمد بسند حسن في كتاب السنة.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العلمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم صل وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم

أما بعد: فيا أيها الأحباب بعد هذا كله ينصب الصراط بين ظهراني جهنم كما قال ربنا جل وعلا: ﴿**وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا**﴾ [مريم: ٧١-٧٢]

ويمر الناس على الصراط كلٌّ بحسب عمله في هذه الحياة، فمنهم من يمر على الصراط كالبرق ومنهم من يمر عليه كالريح ومنهم من يمر عليه كأجاود الخيل ومنهم من يمر عليه يمشي، ومنهم من يمر عليه يزحف على يديه وقدميه، ومنهم من يكردس في نار جهنم والعياذ بالله. ومنهم من يعبر الصراط إلى جنات النعيم أتدرون ماجنات النعيم قال عنها النبي عليه الصلاة والسلام:

في الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة:

«**قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**»[1].

نسأل الله جل وعلا أن نكون وإياكم من أهل الجنة، وأن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم إنه ولي ذلك والقادر عليه.

... الدعاء.

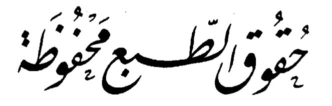
---

(١) رواه البخاري (٦/ ٢٣٠) في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، ومسلم رقم (٢٨٢٤) في الجنة في فاتحته، والترمذي رقم (٣١٩٥) في التفسير، باب ومن سورة السجدة.



الجزء الخامس

دار ابن رجب



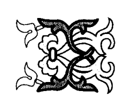
الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيـداع : ٧٦٢٦ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولي : 6 -057-390-977

دار ابن رجب طبع. نشر. توزيع

فارســكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جــوال : ٠١٢٢٣٦٨٠٠٢
المنصــورة : شارع جمـال الدين الأفغـاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨



الشرك بالله



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

[الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

أحبتي في الله .. نبدأ اليوم مع حضراتكم بإذن الله تعالى سلسلة

منهجية جديدة بعنوان :

« اجتنبوا السبع الموبقات »

وهي شرح لحديث صحيح رواه البخاري ومسلم وأبو داودَ والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَات**». قالوا: يا رسول الله وما هُنَّ ؟ قال: «**الشِّرْكُ باللَّهِ، وَالسِّحرُ وقَتلُ النَّفسِ التي حَرَّم اللهُ إلا بالحَقِّ، وأَكْلُ مَال اليتيم، وأكلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يومَ الزَّحف وقَذْفُ المُحْصَنَات الغَافلات المُؤْمِنَاتِ**»(١).

اجتنبوا السبع الموبقات : أي المهلكات وسميت بذلك لأنها سبب لإهلاك مرتكبها والعياذ بالله .

وقال الحافظ ابن حجر: الموبقات أي الكبائر .

وبدأ النبي ﷺ بالحديث عن أكبر الكبائر وهو الشرك .

وحتى لا ينسحب بساط الوقت من تحت أقدامنا فسوف أركز الحديث مع حضراتكم في العناصر التالية :

أولا : خطورة الشرك .

ثانيا : رحلة الشرك .

ثالثا : أقسام الشرك .

رابعا : فضل التوحيد .

فأعيروني القلوب والأسماع فإن هذا اللقاء من الأهمية بمكان .

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٧٦٦) في الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما** ﴾ ، وفي الطب، باب الشرك والسحر من الموبقات، وفي المحاربين، باب رمي المحصنات، ومسلم رقم (٨٩) في الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها، وأبو داود رقم (٢٨٧٤) في الوصايا، باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم والنسائي (٦/ ٢٥٧) في الوصايا، باب اجتناب أكل مال اليتيم.

أولا : خطورة الشرك :

أحبتي في الله :

إن الشرك هو أظلمُ الظلم، وأقبحُ الجهل، وأكبرُ الكبائر .

ولذلك لم تدعُ الرسل جميعاً إلى شيء قبل التوحيد، ولم تنه الرسل جميعاً عن شيء قبل التنديد، ولم يتوعد اللهُ على ذنب أكثر مما جاء في الشرك من الوعيد الشديد.

قال سبحانه : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨)** ﴾ [النساء : ٤٨]

وقال سبحانه : ﴿ **مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢)** ﴾ [المائدة: ٧٢]

بل وخاطب الله جل وعلا صفوة خلقه وهم الرسل قائلاً :

﴿ **وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨)** ﴾ [الأنعام: ٨٨]

بل وخاطب حبيبه وخليله وسيد أنبيائه وإمام أصفيائه وقائد الموحدين وقدوة المحققين محمداً ﷺ بقوله : ﴿ **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦)** ﴾ [الزمر: ٦٥، ٦٦]

ومن ثم ورد في صحيح البخاري من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ مَاتَ يُشرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ**»[1].

---

(١) رواه البخارى رقم (١٢٣٨) في الجنائز في فاتحته، وفي تفسير سورة البقرة، باب ﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً** ﴾، وفي الأيمان والنذور، باب إذا قال: والله لا أتكلم اليوم فصلى أو قرأ أو سبح أو هلّل فهو على نيته، ومسلم رقم (٩٢) في الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة .

قال ابن مسعود: ومن مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة .

وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبدالله أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ﷺ، ما المُوجِبَتَان ؟

فقال ﷺ: «**مَن مَاتَ لا يُشرِكُ باللَّهِ شَيْـئاً دخَلَ الجنَّةَ وَمَن مَاتَ يُشرِكُ باللَّه شَيْئاً دخَلَ النَّارَ**»[(١)] .

وعن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت رِدْفَ رسول الله ﷺ، ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل: (كور البعير، ومُؤْخِرته: الخشبة التي في آخره يستند إليها الراكب) .

قال: «**يَا مُعاذُ بن جَبَلَ**» .

قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك .

ثم سار ساعة فقال: «**يَا مُعاذُ بن جَبَلَ**» .

قلت: لبيك الله وسعديك .

ثم سار ساعة فقال: «**يَا مُعاذُ بن جَبَلَ**» .

قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك .

قال: «**هَل تَدْرِي مَا حَقُّ الله على العِبادِ**»؟

قلت: الله ورسوله أعلم .

قال : « **فإنَّ حَقَّ الله عَلَى العِبَاد أنْ يَعبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيَئاً** » .

ثم سار ساعة ثم قال: «**يَا مُعَاذُ بن جَبَلَ**» .

قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك .

قال: « **هَل تَدْرِي مَا حَقُّ العِبَاد عَلَى الله إذَا فَعَلُوا ذَلكَ** » .

قلت: الله ورسوله أعلم .

---

(١) رواه مسلم رقم (٩٣) في الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة .

قال: «حَقُّ العِبَادِ عَلَى الله أَنْ لا يُعَذِّبَهُم »[(١)].

وعن أبي ذر رضي الله عنه كما في الصحيحين أن النبي ﷺ قال:

« أتَانِي جبريلُ فَـبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَن مَاتَ مِن أُمَّتِي لا يُشْرِكُ بالله شَـيئاً دَخَلَ الجَنَّةَ » فقلت: وإن زنى وإن سرق؟

قال: «وإِنْ زَنَى وإِنْ سَرَقَ »[(٢)].

وفي الصحيحين عن سعيد بن المسيب عن أبيه ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاء رسول الله ﷺ وعنده أبو جـهل وعبدالله بن أبي أمية.

فقال النبي: «أَي عَمِّ، قُلْ لا إلهَ إلا اللهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بهَا عندَ الله»، فقـال أبو جهل، وعبـدالله بن أبي أميـة: يا أبا طالب أترغبُ عن ملة عبدالمطلب؟

فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعودان لتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلّمـهم: بل على ملة عبدالمطلب وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال النبي ﷺ: «لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَم أُنْهَ عَنكَ»، فنزل

---

(١) رواه البخاري رقم (٧٣٧٣) في التـوحيد، باب ما جاء في دعـاء النبي ﷺ أمته إلى توحيـد الله تبارك وتعالى، وفي الجهـاد، باب اسم الفرس والحمار، وفي اللبـاس، باب حمل صاحب الـدابة غيره بين يـديه: وفي الاستئـذان، باب من أجاب بـلبيك وسعـديك، وفي الرقاق باب من جاهد نفسه، وفي العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم، ومسلم رقم (٣٠) في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، والترمذى رقم (٢٦٤٥) في الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة.

(٢) رواه البخاري (٣/٨٨، ٨٩) في الجنائز، باب في الجنائز ومن كـان آخر كلامه لا إله إلا الله، وفي التوحيد باب كـلام الرب جبريل ونداء الله الملائكة، ومسلم رقم (٩٤) في الإيمان، باب من مـات لا يشـرك بالله شـيئـاً دخل الجنة، والتـرمـذي رقم (٢٦٤٦) في الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة.

قول الله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣) ﴾

[التوبة : ١١٣]

وأنزل الله عز وجل في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦) ﴾ [القصص : ٥٦]»[1] .

والآيات والأحاديث في خطورة الشرك كثيرة جداً ولا يتسع الوقت للوقوف عليها .

ثانيًا : رحلة الشرك :

فالسؤال الذي يقفز إلى الأذهان الآن ونحن نتحدث عن الشرك هو كيف وصل الشرك إلى الأرض؟

وكيف دنس الفطرة التي فطر الله الناس عليها ؟

والمشهور عند العلماء أن بداية ظهور الشرك كانت في قوم نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

فلقد كان بنو آدم على ملة أبيهم آدم عليه السلام على شريعة من الحق والهدى كما روى ذلك شيخ المفسرين ابن جرير الطبري بسنده عن

---

(١)رواه البخاري رقم (٣٨٨٣) في كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، وفي الجنائز. باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، وفي تفسير سورة براءة، باب قوله تعالى : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾ وفي تفسير سورة القصص، وفي الأيمان والنذور، باب إذا قال: والله لا أتكلم اليوم فصلى أو قرأ أو سبح أو هلّل فهو على نيته، ومسلم رقم (٢٤) في الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ولم يشرع في النزع والنسائي (٤/ ٩٠، ٩١) في الجنائز باب النهي عن الاستغفار للمشركين.

ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلها على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث النبيين مبشرين ومنذرين .

نعم .. كان الناس على شريعة من الحق والهدى حتى زيَّن الشيطان ـ عليه لعنة الله ـ لقومِ نوحٍ عبادة الأصنام التي نصبوها بأيديهم لرجال صالحين من قوم نوح من أجل أن لا تُنسى سيرتُهم ويظلوا يذكرونهم دائماً.

فلما انقضت الأعمار وهلك هؤلاء ونُسِيَ العلم عُبدت هذه الأصنام من دون الله عز وجل كما روى البخاري ذلك في كتاب التفسير في سورة نوح عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال:

« صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما وَدٌّ فكانت لكلْب بدومة الجندل، وأمَّا سُواعٌ فكانت لهذيل، وأمَّا يغوثُ فكانت لمراد، ثم لبني غُطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهْمدانَ، وأما نسْرٌ فكانت لحمير، لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسمُّوها بأسمائهم ففعلوا ، فلم تُعْبَدْ، حتى إذا هلك أولئك وَتَنَسَّخ العلم عُبِدت »[1] .

ومعنى تنسخ العلم: أى علم تلك الصور بخصوصها .

وقال الحافظ في الفتح:

أخرج الفاكهي من طريق عبيد بن عمير قال: أول ما حدثت الأصنام على عهد نوح، وكانت الأبناء تبر الآباء، فمات رجل منهم

(١) رواه البخاري رقم (٤٩٢٠) في التفسير ،باب (ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق)

فجـزع عليه، فجـعل لا يصبـر عنه، فاتخذ مـثالا على صـورته فكلما اشتاق إليه نظره، ثم مات ففُعل به كما فعل حتى تتابعوا على ذلك فلما مـات الآباء فقـال الأبناء: مـا اتخذ آباؤنا هذه إلا أنهـا كـانت آلهتـهم فعبدوها .اهـ[1] .

فلما أراد اللـه أن يرحمهم وأن يخـرجهم من ظلمـات الشرك إلى أنوار التوحيد أرسل الله إليهم نوحـاً عليه السلام فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعـوهم إلى الله عز وجل في الليل والنهار في السر والعلانية .

ولكنهم عاندوا وأصروا واستكبروا استكباراً عنيداً:

﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) ﴾ [نوح: ٢٣]

فلما يئس منهم نبي الله نوح دعا عليهم بقوله :

﴿ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) ﴾ [نوح: ٢٦]

فاستجاب الله لنبيه فأهلكهم بالطوفان قال تعالى:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ (٤٠) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ

---

(١) فتح الباري (٨ / ٥٣٧) ط . دار الريان في شرح أثر ابن عباس السابق .

فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤)﴾ [هود: ٤٠-٤٤]

ثم جاء من بعد قوم نوح قومُ عاد فعبدوا آلهة أخرى مع الله جل وعلا منها هدا وصدى وصموداً فأرسل الله إليهم هوداً عليه السلام فدعاهم إلى التوحيد وقال: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٥٠] فاستكبروا وكذبوا فأهلكهم الله بالريح .

ثم جاء من بعدهم قومُ ثمود فأرسل الله إليهم صالحاً فدعاهم إلى التوحيد فكذبوه وحاربوه وعاندوه فأهلكهم الله بالصيحة .

ثم جاء من بعدهم قوم إبراهيم عليه السلام فعبدوا الأصنام والشمس والقمر والنجوم فأرسل الله إليهم خليله إبراهيم عليه السلام ولم يبعث من بعده نبيًّا إلا من ذريته، فكل الأنبياء والرسل من ذرية إسحاق عليه السلام .

أما إسماعيل فلم يبعث الله من ذريته إلا نبينا محمداً ﷺ الذي فضله الله على جميع الأنبياء والمرسلين .

ثم انتقل الشرك إلى بنى اسرائيل، فعبد أولهم العجلَ الذي حرَّمَهَ موسى وهارون - عليهما السلام - وعبد آخرُهم عزيراً وجعلوه ولداً لله تعالى الله عما يقول الكافرون عُلوًّا كبيراً.

ثم عبدالنصارى المسيح ابن مريم .

ثم انتقل الشرك إلى العرب، وانتقل إلى أرض الجزيرة العربية على يد عمرو بن عامر الخزاعى - قبحه الله -.

كما أخبر بذلك نبينا ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من

حديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ أن النبي ﷺ قال:

«رأيتُ عَمروَ بنَ عَامِر الخُزَاعِيّ يَجُر قُصْبَه في النارِ وكَانَ أَوَّلَ مَن سَيَّبَ السَّوَائب».

وفي لفظ أحمد «وَغَيَّر دينَ إبرَاهيمَ»(١).

وقُصبَه بضم القاف وتسكين الصاد يعنى أمعاءه.

ثم بدأت الأصنام تكثرُ وتنتشرُ في أرض الجزيرة بل وحول الكعبة حتى ثبت في الحليه وسير أعلام النبلاء بسند صحيح عن أبي رجاء العطاردى قال: كنا نعبدُ الحجر في الجاهلية، فإذا وجدنا حجراً أحسنَ منه ألقينا الأول وأخذناه، فإذا لم نجد حجراً جمعنا كومةً من تراب ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به».

فمَّن الله عليهم بل وعلى البشرية كلها، فبعث فيهم إمام الموحدين وقدوة المحققين وسيد الأنبياء والمرسلين محمداً ﷺ وامتن الله عليهم بذلك فقال:

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (١٦٤) ﴾ [آل عمران: ١٦٤]

فقام النبي ﷺ يدعوهم إلى توحيد الله عز وجل ينقذهم من هذا الجحيم الذي أشعلوه بأيديهم وعشقوا التلظى بناره، فمنهم من عاند وأعرض وكفر وقالوا:

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٥٢١) في الأنبياء، باب قصة خزاعة، وفي تفسير سورة المائدة، باب (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام)، ومسلم رقم (٢٨٥٦) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء.

﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝ وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ﴾ [ص:٥-٧]

وقامت هذه الفئة الكافرة لتصب الفتن والإيذاء والعذاب صبًّا على رؤوس أصحابه، وتضع الحواجز والسدود في طريق الدعوة !! .

ولكن هذا كله لم يَزِدْ المؤمنين الذين ذاقوا حلاوة الإيمان إلا صبراً وصلابة وإيماناً حتى جاء نصرُ الله ودخل الناسُ في دين الله أفواجاً.

وظلت الأمة ترفل في ثوب التوحيد الذي كساها إياه إمام الموحدين وقدوة الناس أجمعين ﷺ حتى أطلّت الفتن برأسها الظلوم ووجهها الكالح الغشوم، وابتعدت الأمة رويداً رويداً عن حقيقة التوحيد!!

وبدأ الشرك يُطل برأسه من جديد، وكثرت صوره ومظاهره ووقع فيه كثير ممن يتسمَّوْن بالمسلمين إلا من رحم الله جل وعلا !!!

فلم يعد الشرك متمثلاً في هذه الصورة الساذجة التي كان يزاولها المشركون قديماً في صورة حجر يصنعوه بأيديهم ثم يصرفون له العبادة من دون الله عز وجل بل لقد تعددت صورُ الشرك وكثرت الآلهةُ التي تُعبد في الأرض من دون الله عز وجل في مجال الاعتقاد وفي مجال النسك، وفي مجال التشريع !!

ولا يتسع الوقت للتفصيل ولكن يكفي أن نعلم أنه إلى يومنا هذا يوجد في الهند أكثر من مئتي مليون بقرة تُعبد من دون الله عز وجل!!

وتُقام المعابدُ الفخمة الضخمة التي تقرب إليها القرابينُ والنذور !!

ولكن هل يا ترى أتعلمون ما هي الآلهة التي تعبد في هذه المعابد الضخمة ؟!! إنها الفئران !! نعم .. إنها الفئران !!!

وهذا كُله يُلقى علينا نحن الموحـدين مسئوليـة كبيرة أمـام الله عز وجل.

فما الذي قدمناه ؟!! وما الذي بذلناه ؟!!

علماً بأن إصـدار الأحكام على الناس فقط دون التـحرك وبسـرعة لدعوتهم إلى التوحيد الخالص لن يغير من واقع الأمر شيئاً .

ثالثاً : أقسام الشرك :

أحبتي في الله: الشرك نوعان: أكبر وأصغر .

فالشرك الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه .

وهو أن يتخذ من دون الله نـداً يحبه كما يحبُ الله ويخافُه كما يخافُ اللهَ عز وجل وهذا هو شرك التسـوية، كما قال الله حكاية عن المشـركين لآلهتـهم في النار : ﴿ **تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَـلالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الشعراء:٩٧-٩٨]

نعم فلقد كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة !!

كـما أنهم اتخـذوهم أرباباً يشـرعون لهم من دون الله عـز وجل فعظموا تشريعهم وآراءهم أعظم من شرائع الله رب العالمين !!

ولذلك لما سأل أبو هريرة - رضي الله عنه - رسول الله ﷺ قائلاً يا رسول الله :من أسعدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة؟!

قال: «**لَقَد ظَنَنتُ يَا أَبَا هُرَيرَةَ أَن لا يَسْأَلَني عَن هَذَا الحَدِيث أَوَّلَ منكَ، لما رَأيتُ من حرصكَ عَلَى الحَـديث،أسْعَدُ النَّاسِ بِشَـفَاعَتِي يَومَ القِيَـامَةِ مَن قَالَ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ خَالصًا من قَلبِه**»[1].

---

(١) رواه البخاري رقم (٩٩) في العلم باب الحرص على الحديث ، وفي الرقاق، باب صفة الجنة والنار .

والشاهد هو كيف أن رسول الله ﷺ قد جعل أعظم الأسباب التي تُنال بها شفاعته هي تجريدُ وإخلاصُ التوحيد لله العزيز الحميد .

فلا شفـاعة على الإطلاق لهذه الآلهة المكذوبة المدعـاة التي يعبدها عبادها ظنًّا منهم أنها ستشفع لهم عند الله عز وجل:

وقد قال الله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

وقال عز وجل: ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]

وأنه تعالى لا يرضي من القول والعمل إلا التوحيد .

وصـدق الله إذ يقـول : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً (٥٦) ﴾ [الاسراء: ٥٦]

القسم الثانى : الشرك الأصغر :

وقـد عَـرَّفَـهُ النبي ﷺ في الحـديث الصحـيح الذي رواه أحمـد والطبرانى في الكبـير وصححه شـيخنا الألبانى في صحـيح الجامع من حديث عمـران بن الحصين أن النبي ﷺ قـال: «**إِنَّ أَخْـوَفَ مَا أَخَـافُ عَلَيكُم الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**».

قالوا: وما الشركُ الأصغر يا رسول الله؟

قال : « **الرِّيَاءُ، يَقُولُ يَومَ القيامَةِ إذا جَازَى النَّاسَ بأَعْمَالِهِم اذْهَبُوا إلى الذينَ كُنتُم تُرَاءُونَ في الدُّنيَا فَانظُرُوا هَل تَجِدُونَ عِندَهُم جَزَاءً** »[1]

والرياء لغة : مشتق من الرؤية .

وشرعاً: هو أن يقوم العبد بالأعمال لا يريد بها وجه الله عز وجل فحدُّ الرياء هو إرادةُ العبادِ بطاعة الله عز وجل .

(١) رواه أحمـد والطبرانى في الكبـير وصـححه شـيخنا الألبـانى في صحيـح الجامع رقم (١٥٠٥).

والرياءُ محبط للأعمال لأن الله تعـالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً صواباً .

والخالص: هو ما ابتغي به وجه الله عزَّ وجلَّ.

والصواب: هو ما كان موافقاً لهدي رسول الله ﷺ .

يقول الله تعالى :

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠]

وفي الحديـث الذي رواه مسلم وغيـره من حديث أبي هـريرة قال رسـول الله ﷺ: « إنَّ أولَ الناسِ يُقضَى يومَ القيَامَة عليه، رَجُلٌ استُـشْهِدَ فَأُتي به فَعَرَّفَـهُ نعمَهُ فَعَرَفهَا، قَـالَ: فَمَا عَملتَ فيهَا؟ قَـال: قَاتَلتُ فيكَ حَتَّى استُشْهِدتُ، قَالَ: كَذَبتَ، وَلكنَّكَ قَاتَلتَ لأن يُقَالَ جَرِيءٌ، فَقَد قيلَ، ثُم أمَرَ به، فَسُـحبَ على وَجْهه حتى أُلقي في النَّـار، وَرَجُل تَعَلَّمَ العلمَ وَعَلَّمَ وَقَرَأ القُرآنَ فـأُتي به فعرّفه نعَـمَهُ فعرَفَـهَا، قَالَ: فَمـا عَملتَ فيهَـا؟ قَالَ: تعَلمتُ العلمَ وَعَلَّمـتُهُ وقَـرأتُ فيكَ القُرآنَ، قَـالَ: كَذَبتَ، بَل تَعَـلَّمتَ ليُقَـالَ عَالم وَقَرَأتَ القُرآنَ ليُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَد قـيلَ، ثُم أَمَرَ به فَسُحبَ عَلَى وَجهه حَتَّى أُلقي في النَّار، ورَجُل وَسَّعَ اللهُ عَلَيه وأَعطَاهُ من أَصْنَاف المال كُلِّه فَـأُتيَ به فَعَرَّفَهُ نعَمَهُ فَـعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَملتَ فيهَـا؟ قَالَ: مَا تَرَكتُ من سَبيل تُحبُّ أَن يُنفَقَ فـيهَا إلا أنـفَقتُ فيـهَا لَكَ قَـالَ: كَذَبت، وَلَكنَّكَ فَـعَلتَ ليُـقَالَ هُوَ جَوَادٌ، فَقَد قيلَ، ثُمَّ أَمَرَ به فَسُحبَ على وَجْهه ثُمَّ أُلقيَ في النَّار»[١].

---

(١) رواه مسلم رقم (١٩٠٥) في الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، والترمذي رقم (٢٣٨٣) في الزهد، باب ما جاء في الرياء والسمعة، والنسائي (٦/ ٢٣، ٢٤) في الجهاد، باب من قاتل ليقال: فلان جريء.

وأخيـراً أرى من الحكمة أن نريح القلوب الموحدة بعـد أن أتعبناها بهـذا الحديث الطويل عن الشـرك٠٠وأن نزف إليهـا بعض البشـريات النبوية الكريمة في فضل تحـقيق التوحيد وإخلاص العبـودية والعبادة لله العزيز الحميد .

ففي الحديث الـذي رواه البخاري ومسلم عن عبـادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

« **مَن شَـهِـدَ أنْ لاَ إلهَ إلا اللهُ وَحدَهُ لا شَـريكَ لَهُ وأنَّ مُـحَـمَّـداً عبـدُهُ وَرَسُولُهُ وأنْ عـيسَى عَبـدُالله ورَسُولُهُ وكَلمَـتُهُ ألقَاهَـا إلى مَريَمَ ورُوحٌ منهُ، والجَنَّةَ حَقٌّ والنَّارَ حَقٌّ أدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ من العَمَل** » .

وفي رواية « **أدخلَهُ اللهُ من أبواب الجَنَّة الثَّمانية أيها شَاءَ** »[1] .

وفي رواية عتبان بن مالك: « **فإنَّ اللهَ حَـرَّمَ على النَّارِ مَن قَالَ: لا إلَهَ إلا اللهُ يَبتَغِي بذَلكَ وَجهَ الله** ».

وفي الحديث الذي رواه أحـمد والترمـذى والحاكم وصحـحه على شرط مسلم ووافقه الذهبى وصحح الحديث شيخنا الألبانى في صحيح الجامع من حديث عبـدالله بن عمرو أن النبي قال: « **إن اللهَ سـيُـخَلِّصُ رجلاً من أُمتى عَلى رُؤُوسِ الخَلائق يـومَ القيَامَة فَيَنْشرُ عليه تسـعةٌ وتسعونَ سجلاً كُل سجلٍّ مثلُ مَدّ البَصَرِ ثم يَقُولُ أتنكرُ من هَذا شَيئاً؟ أظَلَمَكَ كَتَبَتِي**

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٤٣٥) في الأنبياء، باب قول الله تعالى: « **يا أهل الكتـاب لا تغلو في دينكم ولا تقـولـوا على الله إلا الحق** »، ومـسلم رقم (٢٩) في الإيمـان ، باب الدليل على أن من مات على التـوحيد دخل الجنة، والترمـذي رقم (٢٦٤٠) في الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله .

الحَافظُون؟ فيقولُ: لا يا رَبِّ، فيقولُ: أَفَلَكَ عُذر، فَيَقُولُ: لا يَا رَب، فَيَقُولُ: بَلَى، إنَّ لَكَ عندَنَا حَسَنة وإنه لا ظُلمَ عَلَيك اليَومَ، فَتُخرَجُ بطَاقَة فيهَا: أَشهَدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأَشْهَـدُ أن مُحَمَّداً عَبـدُهُ وَرَسُولُهُ فيقـولُ : أَحضر وَزنَك. فيـقولُ: يا رب مَـا هَذه البطَاقَةُ مَعَ هَذه السِّجلات؟فـيقالُ: فـإنَّكَ لا تُظلمُ فتُـوضَعُ السِّجـلات في كفَّـة والبطاقة في كـفة فَطَاشَت السِّجـلاتُ وَثَقُلَت البطَاقَةُ ولا يَثقُلُ مَعَ اسم الله تَعَالَى شَيءٌ»[1] .

ومعلوم أن السر الذي ثقل البطاقة وطاشت من أجله السجلات هو التـوحيـد الخالـص الذي لو وضعت ذرة منه عـلى جبـال من الذنوب والخطايا لأذابتها وبددتهـا بحول الله جل وعلا فإن للتوحـيد نوراً يبدد ضباب الذنوب وغيومها بقدر قوة هذا النور .

ونختم بهذا الحديث الصحيح الذي رواه مُسلم والترمذى وهذا لفظُ الترمذى من حديث أنس أن النبي ﷺ قال:

قال تعالى: «يا ابـنَ آدمَ إنكَ مَا دَعَوتَني ورَجَوتني: غَفَـرتُ لكَ عَلَى ما كانَ منكَ ولا أُبَالي، يا ابنَ آدمَ لو بَلَغَت ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاء ثم استَغْفَرتَني، غَـفَرتُ لَـكَ ولا أُبَالي، يا ابنَ آدمَ إنكَ لَو أَتَيـتَنى بقُـرَاب الأَرض خَطَايَا ثُم لقيتَنى لا تُشرك بى شَيَئاً لأَتَيتُكَ بقُرابهَا مَغفرَةً »[2]

(١) رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة (١٣٥) وصحيح الجامع (١٧٧٦) .

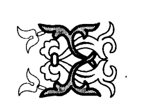
(٢) رواه التـرمذي في الدعـوات رقم (٣٥٣٤) باب رقم (١٠٦) وذكـره الحافظ في الفـتح وقال: رواه ابن حبان وصححه وحسنه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (١٢٧) وصحيح الجامع رقم (٤٣٣٨) وقال: رواه الترمذي والدارمي (٢/ ٣٢٢)، وأحمد (٥/ ١٧٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه،عن النبي ﷺ - فيما يحكى عن ربه تبارك وتعـالى - قال: « أَذْنَبَ عَبدٌ ذَنبـاً، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغفـر لي ذَنبي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذنَبَ عَبدي ذَنبًا فَعَلِمَ أن لَهُ رَبًّا يغفرُ الذنبَ ويأخُذُ بالذنب، ثم عَادَ فـأذنَبَ، فقالَ: أي رب، اغـفر لي ذَنبي فَقَـالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَـبدي أذنَبَ ذَنبًا فَعَلِمَ أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذنبَ ويَأخُذ بالذَّنب، ثُم عَادَ فَأذنَبَ، فَقَالَ: أي رَب، اغفر لي ذَنبي، فَـقَالَ تَبَارَكَ وتَعَالَى: أذنَبَ عَبـدي ذَنبًا، فَعَلِمَ أنَّ له رَبًّا يَغفرُ الذنبَ ويَأخُذُ بالذنب، اعْمَل مَا شِئتَ فَقَد غَفَرتُ لَكَ »[1].

والله تعالى أعلم وصلى الله على نبـينا محمد وعلى آله وصـحبه وسلم

. . . الدعاء

(١) رواه البخـاري رقم (٧٥٠٧) في التوحـيد ، باب قـول الله تعالى: «يريدون أن يـبدّلوا كلام الله» ومسلم رقم (٢٧٥٨) واللفظ في التوبة،باب قبول التوبة من الذنوب.



السحر



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** (١٠٢) ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** (١) ﴾ [النساء: ١]

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا** (٧٠) **يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴾

[الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

أحبتي في الله ...

هذا هو لقاؤنا الثانى مع السبع الموبقات التي حذر منها النبي ﷺ

في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال:

« **اجْتَنِبُوا السبعَ المُوبقَات**» قالوا: يا رسول الله وما هُنّ؟

قال: «**الشِّركُ بالله،والسِّحرُ، وقَتلُ النفسِ التي حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بالحَق، وأكلُ الرِّبا، وأكلُ مالِ اليتيم، والتَّولي يَومَ الزَّحفِ، وقَذفُ المُحْصَنَاتِ الغَافلات المُؤْمنَات**»[١].

ونحن اليوم على موعد مع الكبيرة الثانية ألا وهي: «**السحر**»

السحر:

والسحرُ عالم عجيب تختلط فيه الحقيقة بالخرافة.. والعلم بالشعوذة.. كما تختلط فيه الدوافعُ والبواعث.. والغاياتُ والأهداف!!

وهو عالمُ ظاهرهُ جميلُ خلاب يفتن قلوبَ البسطاء ويخدعُ السذج والرعاع !!

وباطنهُ قذر عفن يتجافي عنه أولو الألباب وينأى عنه أصحابُ القلوب المستنيرة والفطر السليمة !!

وتاريخ السحر تاريخٌ أسود قاتم !!

فهو خدعة شيطانية يضلُّ بها شياطين الإنسِ والجن عبادَ الله فيوقعونهم بالسحر في أعظم جريمة جريمة الكفرِ والشرك والضلال ..!![٢]

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٧٦٦) في الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما** ﴾، ومسلم رقم (٨٩) في الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، وأبو داود رقم (٢٨٧٤) في الوصايا، باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم، والنسائي (٦/ ٢٥٧) في الوصايا، باب اجتناب أكل مال اليتيم .

(٢) عالم السحر والشعوذة لعمر الأشقر ص٧، ٨ .

أحبتي في الله :

لقد أصبح التوجه إلى السحر والسحرة في هذا العصر المتطور منذراً بالخطر!!

فلقد أذاقت الحياةُ الماديةُ الجافة البشرية البلاء العظيم فلقد قست القلوب! وجفّت ينابيعُ الخير في أرواح أكثر الناس !!

فكثرت العقد والمشكلاتُ النفسية التي أصبحت سمةَ العصر .

وأخذ كثيرٌ من الذين فقدوا راحة القلب وطمأنينة النفس يلجأون إلى السحرة والمشعوذين !!

يبحثون عندهم عن حل لمشكلات استعصت على علماء النفس وأساتذة علم الاجتماع، فكانوا بذلك كالمستجير من الرمضاء بالنار!![1]

ونظراً لخطورة هذا الموضوع فسوف أفردُ له لقاءين كاملين بإذن الله جل وعلا وسينتظم حديثي في العناصر التالية :

أولا : تعريف السحر في اللغة والاصطلاح .

ثانيا : حقيقةُ السحر وأنواعه .

ثالثا : هل سُحر النبيُّ ﷺ .

رابعا : حُكمُ السحر وحدُّ الساحر .

خامسا : الوقاية من السحر .

فأعيروني القلوبَ والأسماع فإن هذا اللقاءَ من الأهمية بمكان .

---

(١) المصدر السابق .

أولاً: تعريفُ السحرِ في اللغة والاصطلاح:

يُطلق السحرُ في لغة العرب على كل شيءٍ خفي سببه .

وقال أبو عبيد: أصلُ السحرِ صرفُ الشئِ عن حقيقته إلى غيره، قال عز وجل : ﴿ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ (٨٩) ﴾ [المؤمنون:٨٩]

أى فأنى تصرفون، وهذا الصرف قد يكون للعين وهو الأَخَذة التي تأخذ العين فلا ترى الأشياء على حقيقتها، وقد يكون للقلب من البغض إلى الحب أو من الحب إلى البغض .

وقد يكون هذا الصرف بالقول الحلال فهو البيان .

ومن صحيح البخاري وغيره في كتاب الطب من حديث عبدالله ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: « **إنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا** »[1]

أما تعريف السحر في اصطلاح العلماء :

قال الفخرُ الرازي في تفسيره: اعلم أن لفظ السحر في عُرف الشرع مختص بكل أمرٍ يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع.

---

(١) رواه البخاري رقم (٥٧٦٧) في الطب، باب إن من البيان لسحراً، والموطأ (٢/ ٩٨٦) في الكلام، باب ما يكره من الكلام بغير ذكر الله، وأبو داود رقم (٥٠٠٧) في الأدب، باب ما جاء المتشدق في الكلام، والترمذي رقم (٢٠٢٩) في البر، باب ما جاء في أن من البيان سحراً، ورواه مسلم رقم (٨٦٩) في الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة وأبو داود رقم (١١٠٦) في الصلاة، باب إقصار الخطبة، عن أبي وائل قال: خطبنا عمار، فأوجز وأبلغ فلما نزل قلنا: يا أبا اليقظان لقد أبلغت وأوجزت، فلو كنت تنفست؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن طُولَ صَلاةِ الرَّجُلِ وقِصَرَ خُطبته مَئِنَّةٌ من فِقهِهِ، فَأقصِرُوا الخُطبَةَ وأطِيلُوا الصلاةَ، وإنَّ مِنَ البَيَانِ سِحْرًا**» .

ووافقــه الإمامُ الجصــاص في هذا التعريف وغـيره وهؤلاء هم الذين يرون بأن السـحر لا حـقـيقـة له إنما هو تخـييل وسـوف نوضح هذا إن شاء الله عز وجل .

وعرّف السحر الإمام ابن قدامة في كتاب المغني مع الشرح الكبير في المجلد العاشر فقال: السحـرُ هو عُقَدٌ ورُقى وكلامٌ يتكلم به (أى الساحر) ويكتبـه أو يعمل شـيئاً يؤثر في بـدن المسحور أو قلبـه أو عقلهِ من غـير مباشرة له وله (أي للسـحر) حقيقة، فمنه ما يقتـل وما يُمرِض وما يأخذُ الرجلَ عن امـرأته فيمـنعُهُ وطأها، ومنه مـا يفرق بين المرء وزوجـه وما يبغضُ أحدُهما إلى الآخر أو يُحبِّب بين اثنين .ا.هـ .

وهنا يجب أن نفرق بين السـحر والكرامة والمعـجزة، فالسحـر اتفاق بين الساحر والشيطان على أن يقوم السـاحرُ بفعل الكفر والشرك وكل ما هو محرم في مـقابل أن يساعده الشيطانُ وأن يعـينه في كل ما يطلبه منه الساحر.

وكلما ازداد الساحرُ كفراً بالله وعبادةً للشيطان كلما ازداد الشيطان له طاعة .

أما الكرامة فلا تكون إلا للولي .

وأما المعجزة فلا تكون إلا للنبي .

وجماعهمـا الأمرُ الخارُق للعادة كما قال شيخ الاسـلام ابنُ تيمية في مجموع الفتاوى في المجلد الحادي عشر .

ثانياً : حقيقةُ السحر وأنواعُه :

بعد أن تعرفنا على معنى السحر لغة واصطلاحاً نقف الآن على حقيقة السحر .

يقول الإمام القرطبي[1]: «ومذهبُ أهلِ السنة والجماعة أن السحَر ثابت وله حقيقة وقد اتفق على هذا أهلُ الَحلِّ والعقد الذين ينعقد بهم الإجماع ولا عبرة مع اتفاقهم للمخالفين » .

وقال الإمام النووي: «قال بعض أصحابنا ـ أي من الشافعية ـ: بأن السحر لا حقيقة له وإنما هو تخييل، والصحيح أن السحَر له حقيقة وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء ويدلُ عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة»[2].

واستدل القائلون بأن السحَر تخييلٌ لا حقيقة له بقول الله عز وجل: ﴿ **يُخَيَّلُ إِلَيْهِ من سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ** ﴾ [طه:٦٦]

ويقول جل وعلا: ﴿ **سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ** (١١٦) ﴾ [الأعراف:١١٦]

واستدلوا بأن السحرة لا يقدرون أبداً على قلب حقائق الأعيان كتحويل الحصى إلى ذهب أو كتحويل الورق إلى أموال وغير ذلك ولو كانوا يملكون ذلك لكانوا أغنى الناس وما تحايلوا على أكل أموال الناس بالباطل .

استدلوا أيضاً بأن السحرة لو قدروا على فعل ذلك لاختلط الحقُ بالباطل والسحرُ بالمعجزة .

---

(١) تفسير الإمام القرطبي: (٢/٤٦).

(٢) عالم السحر والشعوذة ص٩٠ نقلا عن روضة الطالبين للنووي (٩/٣٤٦).

واستدل الجمهور من أهل العلم على أن السحر حقيقة لا تخييل بأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة .

كقول الله عز وجل في سورة البقرة: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢) ﴾ [البقرة: ١٠٢]

فقد أخبر الحق تبارك وتعالى في هذا النص القرآني الكريم أن الشياطين يعلمون الناس السحر وأن الناس يتعلمون منهم.

وإذا لم يكن للسحر حقيقة فماذا يُعَلمون وماذا يتعلم الناس ؟!!

وأن النص القرآني قد صرح بأن الساحر يفرق بسحره بين المرء وزوجه، واستدلوا بقول الله عز وجل :﴿ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤]

والنفاثات في العقد هن الساحراتُ اللواتي يعقدن السحر وينفثن عليه.

قال الجمهور: ولولا أن للسحر حقيقةً ما أمر الله بالاستعاذة منه واستدلوا على حقيقة السحر بوجوده في الواقع .

يقول ابن القيم: والسحر الذي يؤثر مرضاً وثقلاً وعقلاً وحبًّا وبغضاً ونزيفاً موجود تعرفه عامة الناس.

ومن أقوى أدلتهم سحرُ النبي ﷺ وسوف أتحدث عنه في العنصر

الثالث حالاً بإذن الله .

ولكن يجب أن نعلم أن تحقيق هذا الخلاف أن الذين قالوا بأن السحر كُلَّه حقيقة قد جانبوا الصواب في المسألة .

وكذلك الذين قالوا إن السحر كله تخييل لا حقيقة له قد جانبوا الصواب أيضاً .

والتحقيق أن السحر أنواع منه ماله حقيقة ومنه ما هو تخييل لا حقيقة له .

فالسحر الحقيقي: هو الذي يعتمد فيه الساحر على الجن والشياطين وعبادة الكواكب والنجوم.

وكلما ازداد الساحر كفراً وزندقة ازداد الجن والشيطان له طاعة .

وسحر التخييل الذي لا حقيقة له في الواقع، مبني على الأخذ بالعيون فترى الشيء على خلاف ما هو عليه، في الحقيقة .

يقول الحافظ ابن كثير:

وإن سحر سحرة فرعون كان من هذا النوع وقد جاءت النصوص القرآنية صريحة بأنه كان تخييلاً وأخذاً بالعيون قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ من سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ** ﴾ [طه: ٦٦]

وفي قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦)** ﴾ [الأعراف: ١١٦]

لأن إيقاع السحر على أعين الناس يدل على أن أعينهم تخيلت غير الحقيقة الواقعة .

ومن ثم نخلص إلى أن السحر منه ما هو حقيقي ومنه ما هو تخييل والله أعلم .

وهنا يثور هذا التساؤل الخطير: هل سُحِر النبي ﷺ حقاً ؟

والحديث رواه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجة والنسائي والبيهقي وغيرهم من عدة طرق عن عدد من أصحاب النبي ﷺ وهذا لفظُ حديث عائشة في صحيح البخاري في كتاب الطب قالت:

سَحَرَ رسولَ الله رجلٌ من بني زُرَيق يُقال له لبيدُ بن الأعصم حتى كان رسولُ الله ﷺ يخيلُ إليه أنه كان يفعلُ الشيء وما فعله[1] حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندى لكنه دعا ودعا ثم قال: « **يَا عَائِشَةُ، أَشَعُرتِ أنَّ اللهَ قَد أفتَاني فيمَا استَفتَيتُه فيه؟** ».

قلت: وما ذاك يا رسول الله؟فقال: « **أَتَاني رَجُلان فقَعَدَ أحدُهُمَا عندَ رأسي والآخرُ عندَ رجلى فقالَ أحدُهُما لصَاحبه مَا وَجعُ الرجُلِ، فقَالَ مَطبُوب** (أي مَسحُور) **قالَ: وَمَن طبَّه ؟ قَالَ:لبيدُ بنَ الأعصَمِ اليَهُودي. قَالَ في أي شَيء ؟ قَالَ: في مُشط ومُشاطَة** » والمشاطة أي الشعر المتساقط من الرأس واللحية عند ترجيلهما «**وجُفِّ طَلعَة ذكَرٍ**» (أى على الغشاء الذي يكون على الطلع) **قَالَ وأينَ هُوَ؟ قالَ: في بئر ذي أَروَانَ**» ومن الرواة من قال: «**في بئر ذَرْوَانَ**»، قال: وذروان: بئر في بني زريق - فذهب النبي ﷺ في أناس من أصحابه إلى البئر فنظر إليها، وعليها نخل.

قال: ثم رجع إلى عائشة - رضي اللَّه عنها، فقال: «**والله لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاء، ولَكَأَنَّ نَخلَهَا رُؤُوسُ الشيَاطينَ**».

قلت: يا رسول الله أفأخرجته؟

---

(١) قال النووي في شرح مسلم: قال القاضي عياض: كل ما جاء في الروايات من أنه يخيل إليه فعل شيء لم يفعله ونحوه، فمحمول على التخيل بالبصر، لا لخلل تطرق إلى العقل، وليس في ذلك ما يدخل لبساً على الرسالة ولا طعنا لأهل الضلالة، قال: وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينة أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه، لا على عقله وقلبه واعتقاده .

قال: «**لا، أمَّا أنا فَقَد عَافَاني اللهُ وشَفَاني، وخَشيتُ أَن أُثَوِّرَ علَى الناسِ منهُ شَرًّا**» وأُمِرَ بهَا فَدُفِنَت[١].

وعن زيد بن أرقم ـ رضي الله عنه ـ قال: سَحَرَ النَّبيَّ ﷺ رجلٌ من اليهود، فاشتكى لذلك أياماً، فأتاه جبريل فقال: إن رجلا من اليهود سحرك، عقد لك عُقداً في بئر كذا وكذا، فأرسل رسول الله ﷺ فاستخرجها فَحلَّها، فقام رسول الله ﷺ كأنما أُنْشِطَ من عِقَال، فما ذكر ذلك لذلك اليهودى ولا رآه في وجهه قط»[٢].

وقد ردَّ كثير ممن ينسبون إلى العلم هذا الحديث الصحيح وتبعهم في ذلك من يقدمون العقل على النقل ويردون النصوص التي لا تقبلها عقولهم.

ويرون عقولهم ميزاناً يعرفون به صحيح الحديث من سقيمه معرضين عن منهج المحدثين من سلف الأمة الذين أرسوا قواعد علم الحديث ومصطلحه.

ولو كانت العقولُ وحدها ميزاناً لمعرفة الصحيح المنقول من سقيمه لكان كل خبر دائراً بين القبول والرد .

نعم فهؤلاء يرونه موافقاً لعقولهم فيقبلونه وآخرون يرونه مخالفاً

---

(١) رواه البخاري رقم (٥٧٦٦) في الطب، باب السحر، وباب هل يستخرج السحر، وباب السحر وفي الجهاد باب هل يعفى الذمي إذا سحر، وفي الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان**﴾، ومسلم رقم (٢١٨٩) في السلام ،باب السحر، ورواه أيضاً أحمد والنسائي وابن سعد والحاكم وعبد بن حميد وابن مردويه، والبيهقي في «دلائل النبوة» وغيرهم.

قال ابن القيم في «بدائع الفوائد»: وهذا الحديث ثابت عند أهل العلم متلقى عندهم بالقبول .

(٢) رواه النسائي (٧/ ١١٢، ١١٣) في تحريم الدم، باب سحرة أهل الكتاب، وإسناده صحيح.

لعقولهم فيردونه.

ورضي الله عن عَلِىٍّ إذ يقول: لو أخذ الدين بالعقل لكان المسح على باطن الخف أولى من المسح على أعلاه !!

فالعقل له دوره وله وظيفته وله أيضاً حدوده ونور الوحيِ لا يطمسُ نور العقل أبداً بل يباركه ويقويه ويزكيه .

وليس إبداعُ العقل في الجانب المادي والعلمي دليلاً على صوابه ودقته في الجانب الديني الذي لابد فيه من التقيد بنور الوحي.

نعم .. فهذا هو العقل الروسي الجبار يدافع عن الكفر والإلحاد وشعاره أنه يؤمن بثلاثة ويكفر بثلاثة، يؤمن بماركس ولينين وستالين، ويكفر بالله وبالدين وبالملكية الخاصة !!!

وهذا هو العقل الأمريكي الجبار يدافع عن الشذوذ الجنسي، وعن زواج الرجل للرجل، وعن العنصرية اللونية البغيضة، وما أحداث لوس أنجلوس عنا ببعيد !!!

وهذا هو العقل اليوناني يدافع عن الدعارة !!!

وهذا هو العقل الروماني يدافع عن مصارعة الثيران !!!

وهذا هو العقل الهندي يدافع عن عبادة البقر !!!

وهذا هو العقل العربي في جاهليته الأولى يدافع عن وأد البنات وهن أحياء !!

وهذا هو العقل العربى يدافع عن الكفر والإلحاد باسم البعثية والقومية فيقول قائلهم:

آمنتُ بالبعث ربًّا لا شَريكَ لَهُ وبالعُرُوبَةِ دِينًا مَا لَهُ ثَانِ!!!

ويقول آخر :

هبُوني عيداً يَجعَلُ العَرَبَ أُمَّةً وسيرُوا بجُثمَاني عَلَى دين بَرهَم
سَلامٌ عَلَى كُفرٍ يُوحد بَيْنَنَا وأَهْلاً وَسَهْلا بَعدَهَا بجَهَنَّم

هذا هو العقلُ البشري الذي فَجَّر الذَّرة في الجانب المادي يفجر الكفر والإلحاد والزندقة في الجانب الديني!!!

هذا هو العقل البشري الذي غاص في أعماق البحار يغوص في أعماق الكفر والشرك والأوحال!!!

فالعقل له حدوده وله دوره ولا ينبغي أن يتعدى هذه الحدود أو يتخطاها وأن يحكم على النصوص الصحيحة الصريحة بعقله القاصر وحكمه الضيق .

فالذين ردّوا حديث سحر النبي ﷺ ادَّعوا بأن الحديث باطل ومقدوح في سنده والحديث مخرج في أصح كتابين بعد كتاب الله عز وجل في صحيح البخاري ومسلم .

وإذا وجدت الحديث قد اتفق عليه الشيخان فإنه يكون في ذروة قمم الصحة ، وإذا وجدت الرجل يطعن في حديث رواه الشيخان فاعلم بأن بضاعته في علم الحديث مزجاه .. هذا إن أَحْسَنَّا الظن به !!

أما دعواهم بأن الحديث يقدحُ في مقام النبوة ويتنافي مع العصمة التي منحها الله لنبيه ﷺ في قوله ﴿**وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾ [المائدة: ٦٧]

وأن هذا الحديث يصدق المشركين الذين اتهموا الرسول بأنه مسحور كما قال الله عز وجل فيهم : ﴿ **يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً (٤٧)** ﴾ [الاسراء: ٤٧]

والجواب على هذا أن الرسول ﷺ معصوم باتفاق في جانب التبليغ

والتشريع : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾

[النجم : ٤]

وأما بالنسبة إلى الأعراض البشرية كأنواع المرض والآلام والإصابة في المعارك فهذا لا يقدح في مقام النبوة ولا ينافي العصمة وجميع الأنبياء يعتريهم من ذلك ما يعتري البشر جميعاً :

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [ابراهيم : ١١]

وقال جل وعلا مخاطباً رسول الله ﷺ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ [الكهف : ١١٠]

والسحر علة من علل الدنيا ومن أمراضها كسائر الأمراض .

وهذه قدَّر الله أن تكون للنبي ﷺ كما تكون لغيره .

فقد أثَّرت فيه الحُمَّى وأثر فيه السُّم وجرح وجهه في غزوة أحد، وكُسرت رُباعيته .

وسبقه من إخوانه من الرسل من قُتل، ومن عذّب، وأوذي .

وفي سنن الترمذي وقال حسن صحيح من حديث سعد ـ رضي الله عنه ـ قال : يا رسول الله، أي الناس أشد بلاءً؟ قال : «**الأَنبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، يُبتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسبِ دينه فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْباً اشتَدَّ بلاؤُهُ، وإِنْ كَانَ في دينه رِقَّةٌ ابْتُلاهُ عَلَى حَسَبَ دينه، فَمَا يَبرَحُ البَلاءُ بالعَبدِ حَتَّى يَترُكَهُ يَمشي عَلَى الأَرْضِ وَمَا عَلَيه خَطِيئَةٌ**»[1] .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٤٠٠) في الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، وقال الترمذي حسن صحيح وهو كما قال، ورواه أيضاً أحمد والدارمي وابن ماجة وابن حبان والحاكم وغيرهم .

وأما قولهم بأنه موافق لقول المشركين : ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً ﴾ [الفرقان : ٨] .

فمن المعلوم لكل أحد أن المشركين أرادوا بذلك أن ما يتلوه محمدٌ من قرآن نزل عليه من عند الله إنما هو سحر يفرق بين الابن وأبيه والأخ وأخيه والزوج وزوجه .

كما حكى منهم ذلك في سورة المدثر حكاية عن الوليد بن المغيرة : ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) ﴾ [المدثر : ١٨-٢٥]

ويبقى لنا أن نتحدث عن حكم السحر وحدِّ الساحر وعن طرق الوقاية من السحر وإبطاله ، وهذا موضوعنا في اللقاء القادم إن شاء الله جل وعلا .

وصلى الله وسلم على محمد ﷺ .

. . . الدعاء

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (١)﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾

[الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أحبتي في الله :

هذا هو لقاؤنا الثالث مع السبع الموبقات التي حذر منها النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «**اجْتَنِبُوا السبعَ الُموبِقَات**» قالوا: يا رسول الله، وما هُنّ؟

قال « **الشِّركُ بالله، والسِّحرُ، وقَتلُ النفس التي حَرَّمَ اللهُ إلا بالحَقِّ، وأكلُ الرِّبَا، وأكلُ مَال اليَتيم، والتَّولِّي يومَ الزَّحف، وقَذْفُ المُحْصَنات الغَافلات المُؤمِنَات**»[1].

ولا زال حديثنا عن السحر وأحكامه.

ولقد تحدثنا في اللقاء الماضي عن السحر لغة واصطلاحاً وعن حقيقة السحر وأنواعه، ثم أجبنا على سؤال هام ألا وهو هل سحر النبي ﷺ ؟!

ونحن اليوم على موعد مع العنصرين الآخرين من هذا الموضوع وهما:

حكمُ السحر وحَدُّ الساحر.

وأخيراً: علاجُ السحرِ والوقاية منه .

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٢٩٤) في الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما** ﴾ ،وفي الطب، باب الشرك والسحر من الموبقات،وفي المحاربين،باب رمي المحصنات،ومسلم رقم (٨٩) في الإيمان،باب بيان الكبائر وأكبرها،وأبو داود رقم (٢٨٧٤) في الوصايا،باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم،والنسائي (٦/ ٢٥٧) في الوصايا،باب اجتناب أكل مال اليتيم .

أما عن حكم السحر :

فقد قال الحافظ ابن حجر :

وقد دلت آية البقرة وهي قول الله تعالى:

﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة:١٠٢]

على أن السحر كـفرٌ ومتعلمه كافـرُ أي الساحر، وهو واضح في بعض الأنواع وهو التعـبُد للشياطين أو للكواكب، وأمـا النوع الآخر الذي هو من باب الشعوذة فلا يكَّفر به أصلاً .

وهنا يثور سؤال خطير وهو: من الذي كفَّر سليمانَ ولماذا ؟

وأود أن أتوقف قليلاً مع آيات الـسحر في سورة البـقرة باعتـبارها العمدةُ في الأحكام التي تتـعلق بالسحر؛ ولأن بعض كتب التفـسير قد شحنت بكثير من الأخبار الموضوعة المكذوبة فـى تفسير هذه الآيات .

وسـببُ نزول هذه الآيـات أن الله تعـالى أنزل إلى بـني إسـرائيل شريعـة مباركـة طيبـة هي شريعة التـوراة فتركـوها ونبذوها واشـتغلوا بالسحر الذي يعبدهم للشيطان!!

فلما جاءتهم الشريعة الغراء التي أنزلها الله على رسوله محمد ﷺ استمروا على ضلالهم في اتِّباع السحر والإعراض عن الشريعة وزعموا أن نبي الله سليمان إنما سُخرت له الجن والإنس والطير والريح بالسحر فأنزل الله هذه الآيات ذاماً لهم مبيناً كفرهم وضلالهم مبرئاً عبده ونبيه

سليمان ـ عليه السلام ـ مما رماه به أهلُ الضلال والبهتان.

وذكر ابن الجوزى في زاد المسير قولاً عن ابن اسحاق في سبب نزولها فقال: إنه لما ذكر سليمان في القرآن قالت يهود المدينة ألا تعجبون لمحمد يزعم أن ابن داود كان نبيًا ؟ والله ما كان إلا ساحراً فنزلت الآية

قال الحافظ ابن حجر العسقلانى[1]:

اختلف في المراد بالآية فقيل إن سليمان كان قد جمع كتب السحر والكهانة فدفنها تحت كرسيه، فلم يكن أحد من الشياطين ليستطيع أن يدنوَ من الكرسي، فلما مات سليمان وذهبت العلماء الذين يعرفون الأمر جاءهم الشيطان في صورة إنسان فقال لليهود هل أدلكم على كنز سليمان الذي لا نظير له ؟!

قالوا: نعم.

قال: فأحضروا تحت الكرسي فحضروا فوجدوا تلك الكتب .

فقال لهم: إن سليمان كان يضبط الجن والإنس بهذا فَفَشَا بينهم أن سليمان كان ساحراً .

فلما نزل القرآن يذكر سليمان في الأنبياء أنكرت اليهود ذلك وقالوا ألا تعجبون لمحمد يزعم أن ابن داود كان نبيًّا؟ والله ما كان إلا ساحراً، فنزلت هذه الآية.

والأثر أخرجه الطبري وغيره عن السُدي ومن طريق سعيد بن جبير نحوه بسند صحيح، ومن طريق عمران بن الحارث عن ابن عباس

(١) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر (١٠/٢٢٣) ط دار المعرفة بيروت

موصولاً بمعناه .

وأما ما ذكره أهل الأخبار ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت وماروى عن علي وابن عباس وغيرهما فهذا كله من كذب اليهود وافترائهم ولم يُنقل في هذا خبرُ صحيحُ عن رسول الله ﷺ .

يقول الحافظ ابن كثير[1]:

والأحاديث والآثار الواردة في قصة هاروت وماروت حاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل إذ ليس فيها حديثُ مرفوع صحيحُ متصلُ الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى.

وظاهرُ سياق القرآن هو إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى والله أعلم بحقيقة الحال

وأما تعليمُ الملكين السحرَ للناس بصريح النص القرآني فهذا من باب الفتنة والاختبار والابتلاء.

ولله أن يختبر عباده بما يشاء وقد خلق اللهُ إبليسَ الذي هو أصلُ الشر كله ونهي العباد عن متابعته وحذر منه واختبر جيش طالوت بعدم الشربِ من النهر والملكان ليسا بعاصيين لله في حال تعليمهما السحَرَ للناس بل هما مطيعان لله،وذلك أنهما مكلفان بهذا من الله تعالى ابتلاءً واختباراً من الله لعباده .

والخلاصة أن الآية قد دلت على أن السحر كفر وأن الساحر كافر

(١) تفسير القرآن لابن كثير : [١/٢٤٨] .

وهذا بلا خوف متعلق بالسحر الحقيقي الذي يعتمد فيه الساحر على الكفر بالله العظيم والاستعانة بعبادة الجن والشياطين والنجوم والكواكب وكلما ازداد الساحر كفراً أو شركاً ازداد الجني والشيطان له طاعة.

ويقول حافظ حكمي في المعارج:

وقد عُلم أن السحر لا يُعمل إلا مع كفر بالله وهذا معلوم من سبب نزول الآية .

ويقول الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ:

عملُ السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع، وقد عدَّه النبيﷺ من السبع الموبقات، ومنه ما يكون كفراً، ومنه ما لا يكون كفراً بل معصية كبيرة فإن كان فيه قول أو فعل يقتضى الكفر فهو كفر وإلا فلا .

وقال القرطبي:

قال أهل الصناعة إن السحر لا يتم إلا مع الكفر والشرك أو التعظيم للشيطان فالسحر إذن دال على الكفر على هذا التقدير.

وقال صاحب تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد:

«**لما كان السحر من أنواع الشرك إذ لا يتأتى السحر بدون الشرك أدخله المصنف في كتاب التوحيد ليبين ذلك تحذيراً**»،كما ذكر غيره من أنواع الشرك .

وقال ابن عابدين:

ولعل ما نُقل عن الأصحاب أي القول بكفر الساحر مبني على أن السحر لا يتم إلا بما هو كفر كما يفيده قوله تعالى: ﴿**وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ**﴾ [البقرة:١٠٢].

ومن ثم كان حَدُّ الساحر فى الإسلام هو القتل.

وفي سنن أبي داود عن بجالة بن عَبَدَه قال:

كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة[1].

بجالة بنُ عُبَدَةَ، هو التميمى العنبري تابعي ثقة .

«حدُّ السَّاحِرِ ضَرَبَةٌ بالسَّيفِ» فهو حديث ضعيف.

وبهذا القول قال مالك وأحمد وأبو حنيفة وقال من الصحابة عمرو عثمان وابن عمر وحفصة وغيرهم.

ولم ير الشافعي القتل للساحر بمجرد السحر إلا من عمل في سحره ما يبلغ الكفر. وهي رواية عن أحمد بن حنبل أيضاً .

وقد يسأل الآن سائل ويقول: فلماذا لم يقتل النبي ﷺ لبيد بن الأعصم الذي سحره؟

والجواب أن النبي ﷺ كان بينه وبين يهود عهدٌ، فلو قتله لنقضه مع كل ما أظهروه من كيد للمسلمين وطعن فيهم وفي دينهم حتى لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، ومن المعلوم أن لبيد بن الأعصم كان حليفاً ليهود وكان مناقضاً كما ثبت في الرواية الصحيحة في صحيح البخاري من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أما حكمُ ساحرِ أهل الكتاب فقد ذهب جمهورُ أهل العلم إلى عدم قتل ساحر أهل الكتاب إلا إذا قتل بسحره .

أما الإمام أبو حنيفة فقد قال بوجوب قتل ساحر أهل الكتاب ولم

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣٠٤٣) في الخراج والإمارة باب في أخذ الجزية من المجوس وأخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٩٠، ١٩١).

يفرق بينه وبين الساحر المسلم .

وخالف أبو حنيـفة الأئمة الثـلاثة : أيضاً في حكم المرأة السـاحرة بأنها لا تقتل، أما هم فقالوا بوجوب قتلها ولم يفرقوا بين الرجل والمرأة لعدم وجود الدليل الذي يفرق بينهما .

وقد اختلف العلماء في توبة الساحر هل تقبل أولا تقبل ؟!

والصحيح إن شاء الله تعـالى أنه لم يسد باب التوبة على أحد من خلقه على الإطلاق بل أن المشرك لو تاب تاب الله عليه .

وقد أخبرنا القرآن أن سحرة فرعون كفروا بالله عز وجل وتابوا إلى الله وقبل الله توبتهم .

أحبتي في الله :

هذا عن حكم السحر وحدِّ الساحر .

فماذا عن حكم من يذهبُ إلى السحرة والعرافين والكهان ؟

والجواب من رسول الله ﷺ ففي صحيح مسلم من حديث حفصة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال :

« **مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَن شَيءٍ،** (وفي لفظ أحمد) **فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، لَم تُقْبَل لَهُ صَلاةُ أَربَعِينَ يَوْمًا** »[1] .

وفي الحديث الصـحيح الذي رواه أحمـد والبيهقي والحـاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهـبي وصححه شيخنا الألباني في الإرواء من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :

(١) رواه مسلم رقم (٢٢٣٠) في السلام باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان .

«مَن أَتَى عَرَّافاً أو كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يقُولُ فَقَد كَفَر بما أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّد ﷺ»(١).

قال صاحب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : وظاهر الحديث أنه يكفر متى اعتقد صدق العراف أو الكاهن بأى وجه كان .

وفي الحديث الذي رواه البزار بإسناد جيد كما قال الحافظ في الفتح ورواه الطبرانى في الأوسط بإسناد حسن وهذا لفظ رواية البزار عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال:

«لَيسَ منَّا مَن تَطَيَّر أو تُطيِّر لَهُ أو تَكَهَّنَ أو تُكُهِّن لهُ أَو تَسَحَّرَ أو سُحِرَ لهُ ومَن أَتَى كَاهناً فَصَدَّقَهُ بما يَقُولُ فَقَد كَفَر بمَا أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّد ﷺ»(٢).

قال صاحب فتح المجيد:قوله: (ليس منا) فيه: وعيد شديد يدل على أن هذه الأمور من الكبائر .

فمن هو العراف ومن هو الكاهن ؟

قال البغوى :

العراف: هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن العراف اسمُ للكاهن والمنجم

(١)رواه أحمد والبيهقي والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وصححه شيخنا الألباني في الإرواء رقم (٢٠٠٦) وهو في صحيح الجامع (٥٩٤٢) .

(٢)قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريج زاد المعاد: أخرجه أحمد (٢/٤٢٩) من حديث أبي هريرة وإسناده صحيح وصححه الحاكم (١/٨)وصححه الألبانى في صحيح الجامع (٥٤٣٥) .

والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق .

وقال الإمام أحمد : العرافة طَرف من السحر والساحرُ.

وقال أبو السعادات : العراف هو المنجم .

أما الكاهن: فهو الذي يَدَّعي علم الغيب .

وهنا يثور في الصدر سؤال قد يستحي صاحبه أن يسأل عنه ألا وهو ولكن بعض هؤلاء العرَّافين والكُهَّان قد يخبرون عن شيءٍ فيكون صحيحاً ويقع كما أخبروا تماماً فما تفسير هذا ؟

ونقول لقد سئل رسول الله ﷺ هذا السؤال، ففي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت: سأل أناسٌ رسولَ الله ﷺ عن الكهان.

فقال لهم رسولُ الله ﷺ : «**لَيسُوا بشَيء**»

قالوا: يا رسول الله فإنهم يحدثونا أحياناً الشيء يكون حقًّا ؟

فقال رسول الله ﷺ: «**تلكَ الكَلمةُ من الحَقِّ يَخطفُهَا الجنِّيُّ فيقذفُها**» ، وفي رواية ـ **فَيُقرُّها في أُذُن وَليِّه قرَّ الدَّجَاجَة** [أي يرددها في أذن الكاهن] **فَيَخْلطُونَ فيهَا مائَةَ كَذبَة**»[1] .

أحبتي في الله :

ليس يظن أحد أن التنجيم والكهانة والسحر أمر مقصور على بلاد العرب المسلمين كلا !! بل هو أمر منتشر في أكثر الدول .

---

(١) رواه البخاري رقم (٥٧٦٢) في الطب، باب الكهانة، وفي الأدب، باب قول الرجل للشيء: ليس بشيء وفي التوحيد، باب قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم، ومسلم رقم (٢٢٢٨) في السلام ، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان .

ولقد نشرت جريدة المسلمون في عددها الخامس بعد المائتين أن الرئيس الأمريكي ريجان وزوجته كانا يستعينان بالمنجمة « **جوان كويجلى** » في تحديد جدول الأعمال واتخاذ بعض القرارات .

وكان الرئيس الأندونيسي (سوهارتو) يجتمع بانتظام بالروحانيين والمشعوذين، وكان أحدهم يُقيم بصفة مستمرة في قصر الرئاسة .

واستشار الرئيس الفرنسي السابق جيسكار ديستان قارئاً للطالع في انتخابات الرئاسة لعام ١٩٨٤ .

ومن أطرف ما ذكرته الجريدة أن الخواجات أخيراً صمموا جهازاً في حجم الآلة الحاسبة وأطلقوا عليه اسم العراف الإلكترونى وتقوم فكرته على وجود دورة بيلوجية ودورة نفسية وأخرى عصبية تبدأ بمولد الإنسان فإذا أدخلت تاريخ ميلادك يقوم العرّاف الإلكترونى بحساب ثلاث دورات لك.

إحداها تعين كل يوماً والأخرى كل شهر والأخيرة متغيرة ويحدد لك بناء على ذلك أيام التكامل العصبى والاستقرار الذهني بحيث تستطيع اتخاذ القرارات الهامة وأموراً أخرى كثيرة يحددها لك الدجال الإلكترونى!!!

وأخيراً نحني جباهنا ذلاً وشكراً لله جل وعلا أن جعلنا موحدين نعلم يقيناً أن الأمر كله لله، وأن الملك كله لله، وأنه لا يقع شيء في هذا الكون كله إلا بأمره وتحت سمعه وبصره، بل وما من ورقة تسقط من شجرة في هذا الكون كله إلا بعلمه جل وعلا .

قال تعالى :﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ**

وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٥٩) ﴾ [الانعام:٥٩]

نعلم يقينا أنه لا تستطيع قوة على ظهر هذه الأرض أن تضر ولا تنفع إلا بإذن الله جل وعلا.

والأصل في هذا كله قول الله جل وعلا والنص يريح القلوب المطمئنة ويطمئن النفوس الحائرة .

قال تعالى :﴿ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ ﴾ [البقرة:١٠٢]

الله أكبر ... ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

ولو اجتمع سحرة أهل الأرض لا يستطيعون أن يؤثروا بسحرهم في مخلوق إلا بإذن الله .

فَوَجِّه قلبك إلى ملك الملوك وجبار السموات والأرض وتوكل عليه وثق به فهو المرتجى وهو الملجأ والملاذ ولا حول ولا قوة إلا به .

من توكل عليه كفاه ومن اعتصم به نجاه ومن فَوَّض إليه الأمر هداه **قال تعالى:﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾** [الزمر:٣٦].

وقال تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق:٣].

يَا صَاحِبَ الهَمِّ إِنَّ الهَمَّ مُنفَرِجٌ ... أَبْشِر بِخَيرٍ فَإِنَّ الفَارِجَ اللهُ

ومن أجمل ما قاله الإمام ابن الجوزى رحمه الله تعالى في كتابه القيم تلبيس إبليس قال: حكى عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سول لك الخطايا ؟

قال التلميذ : أجاهده .

قال الشيخ : فإن عاد ؟! قال: أجاهده .

قال الشيخ: فإن عاد ؟! فقال: أجاهده .

فقال الشيخ: هذا يطول يا بنى ولكن إن مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبور فماذا تصنع ؟

قال: أجاهده قال: يا بنى هذا أمر يطول ،استعن برب الغنم يكفك كلابه .

فاستعن بالله أيها الحبيب والجأ إليه فهذا هو الحصن الحصين والملاذ المكين ولما كان الله هو خالقنا فتحصن به هو الذي يعلم ضعفنا وعجزنا فقد تفضل علينا بحصون وحروز ولكننا كثيراً ما نغفل عن الدواء إلا إذا حل بنا الداء فهيًّا إلى الحصون والحروز التي نتقي بها شر السحر والسحرة .

وذلكم بعد جلسة الاستراحة وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

أحبتي في الله : إن أعظم طريق للوقاية من السحر ومس الجن وربط الرجل عن زوجته ما يلي :

أولاً : تحقيق التوحيد لله العزيز الحميد وإخلاص العبودية لله جل وعلا والتوكل عليه تبارك وتعالى.

فقلب الموحد قد أشرق فيه مصباح التوحيد وأزهر فيه نور الإيمان ومن ثم خرج منه الخوف من كل أحد إلا من الله جل وعلا .

بل لا يفرد بالمحبة والخوف إلا الله .

صاحب هذا القلب كما يقول ابن تيمية : في جنة وهو في الدنيا .. في جنة وهو في البرزخ .. في جنة وهو في الآخرة .

إن قوة الإيمان في القلب تضعف الشيطان وكلما زاد إيمان العبد وأخلص العبادة لله ضعف تسلط الشيطان عليه .

فها هو فاروق الأمة عمر ـ رضي الله عنه ـ كان الشيطان يهرب منه كما جاء في البخاري ومسلم من حديث سعد بن أبي ـ وقاص رضي الله ـ عنه قال: استأذن عمرُ على النبي ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه ـ وفي رواية : يسألنه ويستكثرنه ـ عاليةً أصواتهن على صوته فلما استأذن عمر قمن يَبْتَدِرْنَ الحجاب ،فأذن له النبي ﷺ،فدخل عمر والنبي ﷺ يضحك.

فقال عمر: أضحك الله سنك(*)،بأبي أنت وأمي ما أضحكك؟ قال: «**عجبتُ من هَؤُلاءِ اللاتِي كُنَّ عِندِي ، فَلَمَّا سَمِعنَ صَوتَكَ ابْتَدَرْنَ**

(*) قال الحافظ في الفتح : لم يرد به الدعاء بكثرة الضحك ،بل لازمه وهو السرور،أو نفي ضد لازمه وهو الحزن .

الحِجَابَ» .

قال عـمر: فأنت يا رسـول الله لأحق أن يهبن ، ثم قال عـمر: أي عدوات أنفسهن، أتهبنني ولا تهبن النبي ﷺ ؟

قلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من النبي ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: «**إيه يا ابنَ الخَطَّاب، والَّذي نَفسي بيَده مَا لَقِيَكَ الشَّيطَانُ سَالكًا فَجًا إلا سَلَكَ فَجًا غَيرَ فَجِّك**[١] » .

والفج : المسلك والطريق، فالشيطان يهـرب ويفر حتى من الطريق الذي يسير فيه عمر هرباً من قوة إيمانه ـ رضي الله عنه ـ.

وساق ابن الجوزي في كتابه القيم تلبـيس إبليس قصة تبين ما نقول بوضوح .

قـال : كـانت شـجـرة تُعـبـد من دون الله فـجـاء إليـهـا رجل فقال: لأقطعن هذه الشجرة، فجاء ليقطعها **غضـباً لله** فلقيه إبليس في صورة إنسان، فقال: ما تريد ؟

قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله.

قال: إذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها ؟

قال: لأقطعنها، فقال له الشيطان : هل لك فيما هو خير لك !! لا تقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك !!

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٣٧) في فضائل أصحاب النبي ﷺ ،باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفـي بدء الخلق باب صـفـة إبليس وجنوده، وفي الأدب، باب التبـسم والضحك، ومسلم رقم (٢٣٩٦) في فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

قال : فمن أين لي ذلك ؟

قال : أنا لك .

فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وسادته، ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئاً ،فقام غضباً ليقطعها، فتمثل له الشيطان في صورته وقال: ما تريد ؟

قال: أريد قطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله تعالى .

قال: كذبت مالك إلى ذلك سبيل.

فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد أن يقتله، قال: أتدري من أنا؟ أنا الشيطان، جئت أول مرة غضباً لله فلم يكن لى عليك سبيل، فخدعتك بالدينارين فتركتها، فلما جئت غضباً للدينارين سلطت عليك !!

فتدبر يا عبد الله !!

قال تعالى: ﴿ **إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ** ﴾ [النحل: ٩٩-١٠٠]

فإن الشيطان لا سلطان له عليهم فقال سبحانه :

﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ** ﴾ [الحجر: ٤٢]

ثانياً : كثرة ذكر الله جل وعلا:

فالذكر يضعف الشيطان ويقوى الإيمان ويرضي الرحمن، وهو الركن الركين والحصن الحصين الذي يتحصن به الإنسان من الشيطان الرجيم.

وفي حديث الحارث الأشعري الطويل وهو حديث صحيح أن النبي ﷺ قـال: «.. **وآمُرُكُم أنْ تَذْكُروا اللهَ فَإنَّ مثلَ ذَلكَ كَمَثَل رَجُل خَرَجَ العَدُوّ في أثَره سراعاً حتى إذَا أتَى عَلَى حصن حَصين أحْرزَ نَفْسَهُ منهم وكَذَلكَ العَبدُ لا يُحرزُ نَفسَهُ منَ الشيطَان إلا بذكر الله عزَّ وَجَلَّ**»(١).

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الاشعري ـ رضي الله عنه ـ أن الحبيب النبي ﷺ قال:

«**مَثَلُ الَّذي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالذي لا يَذكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيت**»(٢)

ثالثا: قراءة سورة البقرة :

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «... **لا تَجْعَلُوا بيُوتَكُم مَقَابرَ، إنَّ الشَّيطَانَ يَفرُّ منَ البَيت الَّذي تُقرأ فيه سُورَةُ البَقَرَة**»(٣)

رابعا : قراءة آية الكرسى إذا أويت إلى فراشك :

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتانى آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ فقال: إني محتاج وعليّ عيالٌ ولى حاجة

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٧٦٧ في الأمثال، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب وهو كما قال وأخرجه أيضاً ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم في المستدرك وصححه شيخنا الألبانى في صحيح الترغيب (٥٥٣) وصحيح الجامع (١٧٢٤).

(٢) رواه البخاري رقم(٦٤٠٧) في الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، ومسلم رقم (٧٧٩) في صلاة المسافرين ، باب استحباب صلاة النافلة في بيته .

(٣) رواه مسلم رقم (٧٨٠) في صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، والترمذي رقم (٢٨٨٠) في ثواب القرآن، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي.

شديدة قال: فخليتُ عنه فأصبحتُ فقال النبي ﷺ : «**يَا أَبَا هُرَيرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟**»

قال: قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله.

قال: « **أَمَا إِنَّهُ قَد كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ** ».

فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود فرصدته فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ.

قال: دعني فإني محتاج وعليّ عيال، لا أعود.

فرحمته فخليت سبيله فأصبحت.

فقال لي رسول الله ﷺ: « **يَا أَبَا هُرَيرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ ؟** ».

قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة، وعيالا فرحمته فخليت سبيله.

قال: « **أَمَا إِنَّهُ قَد كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ** ».

فرصدته الثالثة، فجعل يحثو من الطعام فأخذته.

فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، وهذا آخر ثلاث مرات تزعم أنك لا تعود ثم تعود.

قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها.

قلت: ما هن ؟

قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ [البقرة: ٢٥٥] حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح.

فخليت سبيله فأصبحت فقال لى رسول الله ﷺ: «**مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟**» .

قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله.

قال: «مَا هِي ؟»

قلت: قال لي، إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكان أحرص شئ على الخير فقال النبي ﷺ: « **أَمَا إِنَّهُ قَد صَدَقَكَ وَهُو كَذُوبٌ، تَعلَمُ مَن تُخَاطبُ مُذ ثَلاث لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيرَةَ ؟**» قال: لا. قال: «**ذَاكَ شَيْطَانٌ**»[1].

خامساً: قراءة الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة.

من قوله تعالى: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ** ﴾ إلى آخر السورة.

ففي صحيح البخاري من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال:
« **مَنْ قَرَأَ بالآيَتَينِ مِن آخرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيلَةٍ كَفَتَاهُ**»[2]

أي من كل شر وسوء من الشياطين.

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٣١١) في الوكالة، باب إذا وكَّلَ رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل فهو جائز وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١١٧، ١١٨) من حديث أبي بن كعب وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٢) رواه البخاري (٩/ ٥٠) في فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة، وباب من لم ير بأساً أن يقول: سورة البقرة، وباب في كم يقرأ القرآن، وفي المغازي، باب شهود الملائكة بدراً، ومسلم رقم (٨٠٨) في صلاة المسافرين، باب فضل فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، والترمذي رقم (٢٨٨٤) في ثواب القرآن، وأبو داود رقم (١٣٩٧) في الصلاة، باب تحزيب القرآن.

سادساً : قراءة المعوذات :

ففي البخاري عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا آوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ و ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**﴾ و﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات(١) .

وعن عبدالله بن خبيب رضي الله عنه قال: خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة فطلبنا رسول الله ﷺ يصلي لنا فأدركته فقال: «**قل**» فَلَمْ أقل شيئاً. ثم قال: «**قل**» فلم أقل شيئاً، قال: «**قل**» فقلت: ما أقول ؟

قال: « **قُل هُوَ اللهُ أَحَد، والمُعَوِّذتَين، حِينَ تُمسِي وتُصبِح ثَلاثَ مَرَّات يَكْفيكَ مِن كُلِّ شَيءٍ**»(٢) .

وفي رواية «**مَا تَعَوَّذَ النَّاسُ بأَفْضَلَ مِنهَا**».

وعن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ قال: بينا أنا أقود برسول الله ﷺ راحلته في غزوة إذ قال: «**يَا عُقبَةُ قُلْ**» فاستمعت، ثم قال: «**يَا عُقبَةُ قُلْ**»» فاستمعت، فقالها الثالثة: فقلت: ما أقول؟

فقال: ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ فقرأ السورة حتى ختمها، ثم قرأ: ﴿**قُلْ**

---

(١) رواه البخاري رقم (٥٧٤٨) في الطب باب النفث في الرقية، وأبو داود رقم (٥٠٥٦) والترمذي (٥/ ٣٤٠٢).

(٢) رواه النسائي (٨/ ٢٥٠، ٢٥١) في الاستعاذة في فاتحته، وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع (٤٤٠٦).

أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ وقرأت معه حتى ختمها ثم قرأ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ فقرأت معه حتى ختمها ثم قال: «ما تَعَوَّذَ بمثلهنَّ أَحَدٌ»[١].

سابعاً: روى مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

«مَن قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمدُ وهُوَ علَى كُلِّ شيءٍ قَدير في يوم مائة مَرَّةٍ كَانَت لَهُ عَدلُ عَشر رِقَاب وكُتِبَتْ لَهُ مائةُ حَسَنَة ومُحيَت عنه مائةُ سيِّئة وكَانَت لَهُ حِرْزاً منَ الشَّيطانِ يَومَهُ ذَلكَ حَتَّى يُمْسي ولَم يَأتِ أَحَدٌ بأفضَلَ ممَّا جَاءَ به إلاَّ أَحَدٌ عَمِلَ أكثرَ من ذَلكَ»[٢].

وأخيراً روى البخاري من حديث سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال: «مَن تَصبَّحَ سبع تمرات عَجْوةٍ لم تَضُرَّه ذلكَ اليوم سُمٌّ ولا سِحْرٌ»[٣] وفي رواية «مِن تَمرِ العَالِيَةِ» وهي في المدينة.

---

(١) رواه مسلم رقم (٨١٤) في صلاة المسافرين، باب فضل قراءة المعوذتين، والترمذي رقم (٢٩٠٤)، (٢٩٠٥) في ثواب القرآن، باب ما جاء في المعوذتين، وأبو داود رقم (١٤٦٢) في الصلاة، باب في المعوذتين، والنسائي (٢/ ١٥٨) في افتتاح الصلاة، باب القراءة في الصبح بالمعوذتين، وباب الفضل في قراءة المعوذتين، (٨/ ٢٥١ ـ ٢٥٤) في الاستعاذة في فاتحته، ورواه أيضاً أحمد في المسند (٤/ ١٤٤، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٨، ٢٠١).

(٢) رواه البخاري رقم (٦٤٠٣) في الدعوات، باب فضل التهليل، وفي بدء الخلق، باب صفة إبليس، ومسلم رقم (٢٦٩١) في الذكر، باب فضل التهليل والتسبيح، والموطأ (١/ ٢٠٦) في القرآن، باب في ذكر الله تبارك وتعالى، والترمذي رقم (٣٤٦٤) في الدعوات باب رقم (٦١).

(٣) رواه البخاري رقم (٥٧٦٨، ٥٧٦٩) في الطب باب الدواء بالعجوة للسحر.

هذه هي الحصون والحروز التي يتقي بها الإنسان من السحر والمس والربط بإذن الله جل وعلا .

فما هو علاج من سُحِرَ فعلاً :

أولا: لابد أن يحافظ ابتداءً على هذه الأذكار التي ذكرناها آنفاً .

ثانيا : حلَّ السحر من المسحور بالرقى الشرعية كما قال ابن القيم

الأولُ : حلُ السحر بسحر مثله، وهذا هو الذي من عمل الشيطان فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عملَه عن المسحور . [وهذه من عمل الشيطان بلا شك]

أما النوع الثاني : هو النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات المباحة فهذا جائز .

هذا ما رواه مسلم أن النبي ﷺ قال : (**مَنِ اسْتَطَاعَ منكُم أن يَنفَعَ أخَاهُ فَلْيَنفَعهُ**)(١) .

وفيه أيضا قال : « **اعْرِضُوا عَليَّ رُقَاكُم ولا بَأسَ بالرُّقَى مَا لَم يَكُنْ فِيه شِركٌ** »(٢).

وفي صحيح البخاري عن قتادة قلت لسعيد بن المسيب رجل به طبُّ أي سحر أو يؤخذ عن امرأته (أي يربط) أيحلُّ عنه أو يُنْشر؟

قال: لا بأس به،إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم يُنه

(١) رواه مسلم رقم (٢١٩٩) في السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة

(٢) رواه مسلم رقم (٢٢٠٠) في السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك،وأبو داود رقم (٣٨٨٦) في الطب، باب ما جاء في الرقى .

عنه»(١).

وفي مجموع فتاوى الشيخ عبدالعزيز بن باز أنه قال : من علاج السحر بعد وقوعه وهو علاج نافع بإذن الله للرجل إذا حُبس عن جماع أهله .

ثم قال الشيخ ابن باز أن يأخذ سبعُ ورقات من السدر الأخضر ويدقها بحجر أو نحوه ويجعلها في إناء ويصب عليه من الماء ما يكفيه للغسل ويقرأ فيها : « **آية الكرسي** » «**وقل يا أيها الكافرون**» و«**قل هو الله أحد**» و«**قل أعوذ برب الفلق** »و « **قل أعوذ برب الناس** ».

وأن يقرأ آيات السحر في سورة الأعراف وهي قوله سبحانه : **﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾**

[الأعراف: ١١٧-١١٩]

والآيات في سورة يونس وهي قوله سبحانه : **﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (٧٩) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ (٨٠) فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١) وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨٢) ﴾** [يونس: ٧٩ : ٨٢]

والآيات التي في سورة طه : **﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ**

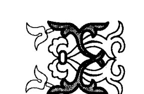
(١) رواه البخاري معلقاً في الطب، باب هل يستخرج السحر؟

مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ (٦٧) قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (٦٩) ﴾ [طه: ٦٥-٦٩]

يقول الشيخ ابن باز:

بعد قراءة ما ذكر في الماء يشربُ منه ثلاث مرات ويغتسل بالباقي وإن دعت الحاجة لاستعماله مرتين أو أكثر فلا بأس حتى يزول إن شاء الله.

... الدعاء



قتل النفس التي حرم الله



إن الحمد لله نحـمده ونستعـينه ونستغفره، ونـعوذ بالله من شرور أنفسنا وسـيئات أعمـالنا، من يهده الله فلا مـضل له، ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشـهد أن محمداً عـبده ورسـوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾

[الأحزاب: ٧٠-٧١]

فإن أصـدق الحديث كتاب الله، وخـير الهدى هدى محـمد ﷺ، وشر الأمور مـحدثاتها ،وكل محدثة بدعـة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أحبتي في الله :

هذا هو لقاؤنا الرابع مع السبع الموبقـات التي حذر منها النبي ﷺ . في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :

« **اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**» قالوا يارسول الله وما هن ؟ قال : **الشِّرْكُ بالله،والسِّحْرُ،وقَتْـلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بالحقِّ، وأَكْلُ الرِّبَا، وأَكْلُ مَالِ اليَتيمِ، والتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَنَاتِ الغَافلاَتِ المُؤمِنَات**»[1]

ونحن اليوم على موعد مع الكبيرة الثالثة في هذا الحديث ألا وهي قتلُ النفس التي حرم الله إلا بالحق.

ونظراً لطول الموضــوع فـسوف أركـز حديثـى مع حضــراتكم في العناصر التالية :

أولاً: حرمة النفس والدماء عند الله جل وعلا.

ثانياً: حكم من قتل نفسه فمات منتحراً.

ثالثاً: حكم القتل الخطأ.

رابعاً: هل للقاتل المتعمد توبة ؟

---

(١) رواه البخارى رقم (٢٧٦٦) في الوصايا، باب قول الله تعالى : ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتـامى ظلمـا** ﴾ ، وفى الطب ، باب الشرك والسـحر من الموبقـات ، وفى المحاربين، باب رمي المحصنـات، ومسلم رقم(٨٩) في الإيمان باب بيـان الكبائر وأكبـرها ، وأبو داود رقم (٢٨٧٤) في الوصايا ، باب ما جـاء في التشديد في أكل مال اليـتيم والنسائي (٦/ ٢٥٧) في الوصايا، باب اجتناب أكل مال اليتيم .

أولاً: حرمة النفس والدماء عند الله جل وعلا:

أحبتي في الله:

إن الله عز وجل قد كرم هذا الإنسان تكريماً كبيراً.

خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه.

وأرسل له الرسل ليأخذوا بيديه إلى الحق وأنزل من أجله شريعة محكمة تضمن له السعادة في الدنيا والآخرة .

وهي المنهج الحق المستقيم الذي يصون الإنسان من الزيغ والانحراف ويحفظه من مزالق الشر ونوازع الهوى .

وهي المورد العذبُ الزلال والمعين الكريم الفياض الذي يشفي صَدره ويُحيي نفسَه ويَروي عقلَه ويحفظُ بدنَه.

ومن أجل هذا فقد ضمنت هذه الشريعة المحكمة جميع الحقوق التي تكرم وتسمو بهذا الإنسان وفي طليعة هذه الحقوق حقُ الحياة . .
وهو حق كبير لا يحل لأحدٍ أن ينتهك حرمته أو أن يستبيح حماه.

بل لقد جعل الإسلام قتل النفس كبيرةً.

كبيرة تأتي بعد كبيرة الشرك بالله عزوجل كما قال الله عز وجل في وصف عباد الرحمن .

وليس لأحد البتة أن يسلب هذه الحياة إلا خالقُها سبحانه وتعالى أو بأمر منه في نطاق الحدود التي شرعها لخلقه وهو سبحانه عليم بهم خبير، بما يصلحهُم ويفسدهم إذ يقول سبحانه ﴿ **أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الملك: ١٤]

والعليم اللطيف الخبير جل وعلا يحرم قتل النفس إلا بالحق فيقول سبحانه: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ [الأنعام: ١٥١]

ويقول رسوله ﷺ: « وقَتلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بالحقِّ ».

وهذا الحق الذي يبيح قتل النفس محدد واضح لا غموض فيه .. وليس متروكاً للرأي ولا متأثراً بالهوى.

وقد حدده النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لاَ يَحل دمُ امْرئ مُسْلم يَشْهَدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وأنِّي رَسُولُ الله، إلاَّ بإحْدَى ثَلاَث: النَّفْسُ بالنَّفْس، والثَّيبُ الزَّاني، والتَّاركُ لدينه المُفَارقُ للجَمَاعَة » (١)

فأما الحالة الأولى: فهي القصاص العادل الذي وإن قتل نفساً فقد ضمن الحياة للمجتمع نفسه .

كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا

---

(١) رواه البخارى رقم (٦٨٧٨) في الديات ، باب قول الله تعالى: « النفس بالنفس ، والعين بالعين » ومسلم رقم (١٦٧٦) في القسامة ، باب ما يباح به دم المسلم ، وأبو دواد رقم (٤٣٥٢) في الحدود ، باب الحكم فيمن ارتد والترمذى رقم (١٤٠٢) في الديات ، باب لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث ، والنسائى (٧/ ٩٠، ٩١) في تحريم الدم باب ذكر ما يحل به دم المسلم ، وفى القسامة ، باب القيود.

أُولْي الأَلْبَاب لعلكم تتقون ﴾ [البقرة:١٧٨-١٧٩]

نعم .. حياةٌ بردع هؤلاء الذين يفكرون مجرد تفكير في الاعتداء على الناس.

وحياةٌ بكفٍّ أهل المقتول عن الثأر الذي قد لا يقف عند القاتل بل يتعداه إلى أهله ممن لا ذنب لهم ولا جريرة.

وحياة يأمن فيها كل فرد على نفسه لأنه يعلم يقيناً أن هناك قصاصاً عادلاً ينتظر كل من يتعدى حدود الله.

أما الحالة الثانية: التي يجوز فيها القتلُ وبالرجمِ فهي للثيبِ الزاني الذي رزقه اللهُ بالحلالِ الطيبِ فراح يرتعُ في مستنقعِ الرذيلةِ العفن. ويقتلُ العزةَ والكرامةَ والمكانةَ لمن لوث شرفهم وانتهك عرضهم.

والحالة الثالثة: التي يجوز فيها القتلُ تكون لمن ترك دينه وارتد بعد أن منَّ الله به عليه.

فالردة بالإجماع سبب لإباحة دم المسلم.

يقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري وأحمد عن ابن عباس: « **مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ** » (١)

هذه هي الحالات الثلاث التي تبيح قتل المسلم على يد ولى الأمر

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٦٩٢٢) في استتابة المرتدين ، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم في الجهاد ، باب لا يعذب بعذاب الله ، والترمذي رقم(١٤٥٨)في الحدود ، باب ما جاء في المرتد ، وأبو داود رقم (٤٣٥١) في الحدود،باب الحكم فيمن ارتد ، والنسائي (٧/ ١٠٤ ,١٠٥) في تحريم الدم ، باب الحكم في المرتد ، وأخرجه أيضاً أحمد في المسند (١/ ٢٨٢).

المسلم أو من ينوب عنه.

أما فيما عدا هذه الحـالات فإنه لا يجوز أبداً قتل النفس بل إن الأمر جد خطيـر وكيف لا وقد قـال جل وعلا ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء: ٩٣]

وفي صحيح البخاري عن ابن عـمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: « **لاَ يَزَالُ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا** ». قال: فقال ابن عمـر: إن من ورطات الأمور التي لا مـخرج لمن أوقع نفسه فيـها سفكُ الدم الحرام بغير حِلِّه(١)

وفي سنن النسـائي من حديث مـعـاوية رضي الله عنه أن النبي ﷺ قـال: « **كل ذنب عَسَى اللهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إلا الرَّجُلَ يَقْتُلُ الْمُؤْمِنَ مُتَعَمِّدًا، أو الرَّجُلَ يَمُوتُ كَافِرًا** » (٢)

وفي الحديث الذي رواه أبو داود من حديث أبي الدرداء ورواه الحاكم والنسائي وأحمد من حديث معـاوية وصحح الحديث شيخنا الألباني في صحيح الجامع أن النبي ﷺ قال:

«**كُلُّ ذَنْبٍ عَسى اللهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إلاَّ مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا أو قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا**»(٣).

(١) رواه البخاري رقم (٦٨٦٢، ٦٨٦٣) في الديات في فاتحته.

(٢) أخرجـه النسـائي (٧/ ٨١) في تحريم الدم في فـاتحتـه وصحـحه شـيخنا الألبـاني في الصحيحة (٥١١) وهو في صحيح الجامع (٤٥٢٤) صحيح.

(٣) رواه أبو داود رقم (٤٢٧٠) في الفتـح، باب في تعظيم قتل المؤمن وصـححه شـيخنا الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٥٢٤) والصحيحة رقم (٥١١).

وفي الحديث الذي رواه النسائي من حديث بريده رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **قتْلُ الْمُؤمِنِ أَعْظَمُ عِندَ الله مِنْ زَوَالِ الدُّنْيَا** » (١)

الله أكبر .. فكم يكون عظيماً عند الخلق زوال الدنيا على قدر عظمتها .

فإذا علمنا أن قتل المؤمن أعظم من زوال الدنيا علمنا خطورة وفظاعة القتل العمد بما لا يمكن للغة البشر أن تصفه وقد جمعه من أوتى جوامع الكلم في هذا اللفظ الوجيز.

وفي الحديث الذي رواه النسائي والبخاري في التاريخ وصححه الألباني من حديث عمرو بن الحمق الخزاعي أن النبي ﷺ قال:

«**مَنْ أَمَّنَ رَجُلاً عَلَى دَمِهِ فَقَتَلَهُ فَأَنَا بَرِيء مِنَ القَاتِلِ وإِنْ كَانَ المَقْتُولُ كَافِرًا**»(٢)

عن عبيد الله بن عدي أن المقداد بن عمرو الكندي - وكان حليفاً لبني زهرة وكان ممن شهد بدراً مع النبي ﷺ - أخبره أنه قال لرسول الله ﷺ: أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا ، فضرب إحدي يدى بالسيف فقطعها ، ثم لاذ مني بشجرة ، فقال: أسلمت لله ، أأقتله يارسول الله بعد أن قالها ؟ فقال رسول الله ﷺ : «**لا تَقْتُلْهُ**» فقال: يارسول الله ، قَطَعَ إحدى يديَّ ، ثم قال ذلك بعدما قطعها ، فقال رسول الله ﷺ: «**لاَ تَقْتُلْهُ فإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أن تَقْتُلَهُ، وَإِنَّكَ**

(١) رواه النسائي (١٨/٧) في تحريم الدم ، باب تعظيم الدم ،وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٣٦١).

(٢) رواه البخاري معلقا والنسائي وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع رقم (٦١٠٣).

بِمَنْزِلَتِه قَبْلَ أنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ». (١)

وقــام النبي ﷺ في حجة الـوداع يبين حرمة هذه الدماء فـيقول والحديث في الصحيحين من حديث ابن أبي بكرة «أيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» قلنا الله ورسوله أعلم. وهذا من أدب الصحابة رضي الله عنهم، قال فسكت حتى ظننا أنه سيسميـه بغير اسمه قال: «أَلَيْسَ ذَا الحـجَّةَ؟» قلنـا بلى، قال: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قلنا اللهُ ورسولُه أعلم، قال فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بـغيرٍ اسمه، قال: «أَلَيْسَ الـبَلْدَةَ؟» قلنا: بلى، قـال: «فـأيُّ يومٍ هَذَا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت، حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قـال: «أَلَيسَ يَومَ الـنَّحْـرِ؟» قلنا: بلى يارسـول الله قال: «فـإِنَّ دمَـاءكُم وأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَـلَيكُم كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا في بَلَدكُم هَذَا في شَـهركُم هَذَا وَسَتَلْقَونَ رَبَّكُمْ فَيـسْأَلكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ فَلاَ تَرجعُوا بَعْـدى كُفاراً أَوْ ضُلاَّلاً يَضْرِبُ بَعْضكُمْ رِقَابَ بعضٍ ألا ليُبَلِّغَ الشَّاهدُ الغائبَ» (٢)

ولحرمة هذه الدماء عند الله جل وعلا وأنها ليست رخيصة يسفكها من شاء في أى وقت شاء بل هي عظيمة عند الله جل وعلا.

ولذا فإن أول ما يُقضي فيه يوم القيامة هو الدماء .

---

(١) رواه البخارى رقم (٦٨٦٥) في الديات في فاتحتـه ، وفى المغازى ، باب شهود الملائكة بدراً ومسلم رقم (٩٥) في الإيمان ،باب تحـريم قتل الكافر بعـد أن قال: لا إله إلا الله، وأبو داود رقم (٢٦٤٤) في الجهاد ، باب على ما يقاتل المشركون ؟

(٢) رواه البخاري رقم (١٧٤١) في الحج باب الخطبة أيام منى وفي الأضاحي رقم (٥٥٥٠) باب من قال: الأضحى يوم النحـر وفي التفسير رقم (٤٦٦٢) باب تفسـير سورة براءة ، وفي بدء الخلق رقم (٣١٧٩) باب ما جاء في سبع أرضين ، وفي الفتن (٧٠٧٨) باب لا ترجعـوا بعدى كفـاراً يضرب بعضكم رقـاب بعض ، وأخرجـه مسلم رقم (١٦٧٩) في القسامة ، باب تحريم الدماء وأبو داود رقم (١٩٤٧) في الحج باب الأشهر الحرام.

كما في الصحيحين وغيرهما أن النبي ﷺ قال: « **أَوَّلُ مَا يُقضى فيه بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ القِيامَةِ في الدِّمَاء** ». [1]

ولا منافاة بين هذا وبين قوله « **أَوَّلُ مَا يُحَاسبُ به العَـبدُ الصَّلاة** »[2] فهذا حق بينه وبين الله والدماء حق العباد.

وقد ورد عند النسائي وأبي داود من حديث ابن مسعود بلفظ «**أَوَّلُ مَا يُحَاسبُ به العَبْدُ الصَّلاةُ وأَوَّلُ مَا يُقْضى بَيْنَ النَّاسِ في الدِّمَاء**»[3]

ولذلك قال على بن أبي طالب كما في صحيح البخاري «**أَنَـا أوَّلُ مَنْ يَجْثُو يَوْمَ القِيَامَةِ بَيْنَ يَدَي الرَّحْمَنِ جَلَّ وَعَلاَ للْخُصُومَة**»[4].

يريد قصته في مبارزته هو وصاحبه يوم بدر وفيهم نزل قول الله تعالى ﴿ **هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِم** ﴾ [الحج:١٩]

فإذا قامت القيامة وقام الناس جميعاً لرب العالمين ووقفوا في أرض المحشر حفاة عراةً غُرلا[5] وقد دنت الشمس من الرؤوس وتصبب

(١)رواه البخارى رقم (٦٨٦٤) في الديات في فاتحته، وفي الرقاق، باب القصاص يوم القيامة ومسلم رقم (١٦٧٨) في القسامة، باب المجازاة بالدماء في الآخرة، والترمذي رقم (١٣٩٦) في الديات، باب الحكم في الدماء، والنسائي (٨٣١٧) في تحريم الدم، باب تعظيم الدم.

(٢)رواه أبو داود رقم (٨٦٤، ٨٦٥) في الصلاة باب قول النبى ﷺ « كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه » وهو في صحيح الجامع (٢٥٧١).

(٣)صححه شيخنا الألباني في الصحيحة ١٧٤٨ وصحيح الجامع (٢٥٧٢).

(٤)رواه البخاري رقم (٤٧٤٤) في تفسير سورة الحج باب ﴿ **هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِم** ﴾ وفى المغازي باب دعاء النبى ﷺ على كفار قريش، و(٧/ ٢٣١) في قصة غزوة بدر.

(٥)رواه البخاري رقم (٦٥٢٧) في الرقاق، باب الحشر، ومسلم رقم (٢٨٥٩) في الجنة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، والنسائي (٤/ ١١٤) في الجنائز، باب البعث.

العرق على قدر الأعمال وزفرت جهنم وزمــجرت وقد جئ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها[١] وتطايرت الصحف ونصبت الموازين ونودى عليك.

فقرع الـنداء قلبك وارتعدت فرائصك واضطربت جوارحك وتـغير لونك وطار قلبك وجاءت الملائكة الموكلة بسوقك إلى الله تعالى.

حتى إذا ما وقفت بين يدي ملك الملوك وجـبار السماوات والأرض أخذت صحيفتك هذه الصحيفة التي لا تغادر صغيرة ولا كبيرة !!

فـانتبـه .. يُنادى عليك أيهـا القاتلُ المجـرم يا من سفكت دمـاء الموحـــدين المؤمنين فــتــأتي فـرداً عـــارياً لا سلطان لـك، ولا مـال معك، لتفتدي به وقد أحاط بك من كل ناحية من قتلتهم في الدنيا وقد تعلقـوا به وأوداجـهم [أى عـروق أعناقهـم] تشخب [أى تسـيل] دمـاً ويقولون لله جل وعلا سل هـذا القاتل فيم قتلنا كمـا في سنن النسائى من حديث ابن عباس وهو حديث حسن قال سمعت النبي ﷺ يقول:

«**يَجيءُ المَقْتُولُ مُتَعَلِّقًا بِالقَاتِلِ تَشْخُبُ** [تسيل] **أَوداجُهُ دَمًا، فَيَقُولُ: أيْ ربِّ سلْ هَذا فيمَ قَتَلَني؟**» وفي رواية «**يَجيءُ المَقْتُولُ بالقَـاتلِ يَوْمَ القيَامَة، نَاصيتُه ورَأسـهُ بيَده، وأَوداجـهُ تَشْخَبُ دَمًا، يَـقُولُ: ياربِّ قَتَلنـي هَذَا حتى يُدْنيَه منَ العَرْش**»، قال: فذكروا لابن عباس التوبة فتلا هذه الآية ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا**﴾ قال: مـا نُسخَت هذه الآية ولا بدلت، وأنَّى له التوبة؟[٢]

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٨٤٢) في صفة الجنة ، باب من شدة حر نار جهنم ، والترمذي رقم (٢٥٧٦) في صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة النار.

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٠٣٢) في التفسير ، باب ومن سورة النساء ، والنسائي (٧/ ٨٥ ، ٨٧) في تحريم الدم باب تعظيم الدم ، وإسناده قوي ، وقـال الترمذي: حديث حسن صحـيح ، وأخرجه أحمد رقم (٢١٤٢) ، (٢٢٨٣)، وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع (٨٠٣١).

الله أكبر . .

تَذَكَّـرْ وُقُـوفَكَ يَوْمَ العَـرْضِ عُـرْيَانَا مُسْتَوْحِشًا قَلِقَ الأَحْشَاء حَيْرَانَا
والنَّارُ تَلْهَبُ مِنْ غَـيظٍ ومِنْ حَنَقٍ عَلَى العُصَاة وربّ العَرْشِ غَضْبَانَا
اقْـرأْ كِتَـابَكَ يَا عَبْـدُ عَلَى مَهَلٍ فَهَل تَرَى فِيـه حَرْفًا غَيْـرَ مَا كَانَا
فَلَمَّـا قَـرأْت ولَمْ تُنْكر قَـراءتَهُ وأَقْرَرْت إِقْرَارَ مَنْ عَرفَ الأشْيَاءَ عرفَانَا
نَادَى الجَلِيْلُ خُـذُوهُ يَا مَـلائكَتي وَامْضُوا بعَـبْد عَصَى للنَّار عَطشَانَا
المُشْـرِكُونَ غَـدًا في النَّار يَلْتَهِبُوا والمُوحّـدُون في دَار الخُلْد سُكَّانَا

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال لأصحابه يوما «أَتَدْرُونَ مَنِ المُفْلسُ؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: «إِنَّ المُفْلسَ مِنْ أُمَّتي مَنْ يأتي يَومَ القِيَامَة بصَلاة وصيام وزكَاة ويَأْتي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وسَفَكَ دَمَ هَذَا،وضَربَ هَذَا فَيُعْطَى هذَا مِنْ حَسنَاته، وَهذَا مِنْ حَسنَاته فَإِنْ فَنِيَتْ حَسنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْه، أُخذَ منْ خطَايَاهُم ثُمَّ طُرِحَ في النَّار» (١)

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٨١) في البر ، باب تحريم الظلم ، والترمذي رقم (٢٤٢٠) في صفة القيامة ، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص.

ثانيا: حكم من قتل نفسه فمات منتحراً :

أحبتي في الله:

ولم ينتف هذا الوعيد الرهيب في حق من قتل نفسه منتحراً والعياذ بالله بل هو خالد في النار لما ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال:

«مَنْ تَردى مِنْ جَـبَلٍ (أي ألقى بنفسه) **فَقَتَل نفْسـهُ فَهوَ في نار جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فيها خَالداً مُخلَّداً فيها أبداً، ومَنْ تَحسَّى سُـمًّا فَقتَلَ نَفْسَهُ فسُمُّهُ في يَده يَتحـسَّاهُ في نَار جَهنَّمَ خَـالداً مُخلداً فيهَـا أبَداً، ومَنْ قَتَل نَفْسَـه بحَديدة فَـحديدتـهُ في يَده يَتَوجَّـأُ بهَـا في بَطْنه في نار جَـهنَّمَ خـالداً مُـخلَّداً فـيْهَـا أبَدًا**»[1].

وفي الصحـيحين من حديث سهل بن سـعد أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقـتتلوا، فلما مال النبي ﷺ إلى عـسكره ، ومال الآخرون إلى عسكرهم ، وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذَّة ولا فاذَّة إلا اتبعها يضربها بسيفه - فقالوا ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان.

فقال رسول الله ﷺ : «**أمَا إنَّه مِن أَهْلِ النَّار**».

---

(١) رواه البخـاري رقم (٥٧٧٨) في الطب ، باب شرب السم والدواء به ومـا يخاف منه ، ومـسلم رقم (١٠٩) في الإيمان باب غلظ تحـريم قتل الإنسـان نفسـه ، والترمـذي رقم (٢٠٤٤)،(٣٠٤٥) في الطب،باب مـا جاء فـيمن قـتل نفـسه بسم أو غـيره والنسـائي (٤/ ٦٦، ٦٧) في الجنائز،باب ترك الصـلاة على من قتل نفـسه،وأبو داود رقم (٣٨٧٢) في الطب،باب في الأدوية المكروهة.

فقال رجل من القوم: أنا صاحبه أبدا .

قال: فخرج معه كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجُرِحَ الرجل جرحاً شديدا فاستعجل الموت فوضع سيفه بالأرض وذُبَابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله .

قال: «**ومَا ذَاكَ؟**» .

فقال: الرجلُ الذي ذكرت آنفا أنه من أهل النار، فأعظم الناس ذلك، فقلت: أنا لكم به فخرجت في طلبه حتى جرح جرحاً شديداً فاستعجل الموت، فوضع سيفه بالأرض وذُبَابَه بين ثدييه (ذبابة السيف: طرف رأسه)، ثم تحامل عليه فقتل نفسه فقال رسول الله عند ذلك:

«**إنَّ الرَّجُلَ ليعملُ عَمَلَ أهْلِ الجنَّة فيمَا يَبدُو للنَّاسِ وَهُوَ من أهلِ النار وإنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أهلِ النارِ فيمَا يَبْدُو للنَّاسِ وَهُوَ من أهْلِ الجنَّةِ وإنمَا الأعْمَالُ بالخَوَاتيم**»[1]

وفي رواية أخرى في الصحيحين عن أبي هريرة قال: فلما أُخبر النبي أن الرجل قتل نفسه كبر النبي ﷺ وقال: « **اللهُ أكبر، أَشْهدُ أنِّي**

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٦٠٦) في القدر ، باب العمل بالخواتيم ، وفي الجهاد ، باب لا يقول: فلان شهيد ، وفي المغازي ، باب غزوة خيبر ، وفي الرقاق ، باب الأعمال بالخواتيم وما يخاف منها ، ومسلم رقم (١١٢) في الإيمان ، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه .

عبْدُ الله وَرَسُولُهُ» ثم أمر بلالاً فنادى في الناس أنه «لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إلاَّ نَفْسٌ مُسلِمَةٌ وإِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الكَافِرِ» (١)

ثالثا: حكم القتل الخطأ

وقد بينه الله جل وعلا في سورة النساء بقوله:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ٩٢]

فالحـالة الأولى: أن يقع القـتل على مؤمن أهله مـؤمنون في دار الإسلام.

وفي هذه الحالة يجب تحريرُ رقبـة مؤمنة وديةٌ تسلمُ إلى أهل القتيل فأما تحـرير الرقبة المؤمنة فهـو تعويض للمجتـمع المسلم عن قتل نفس بعتق نفسٍ مؤمنة أخرى.

وأما الدية فتسكين لثائرة نفوس أهل القتيل وشراءٌ لخواطرهم بعدما فجعـوا في قتيلهم وتعـويض لهم عن بعض ما فقدوه إلا أن يـصدَّقوا

(١) رواه البخـاري رقم (٣٠٦٢) في الجهاد ،باب إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الـفاجر، وفي المغازى ، باب غزوة خيبـر وفي القدر ، باب العمل بالخواتيم ، ومسلم رقم ١١ في الإيمان ، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.

ويتنازلوا عن هذا الحق تسامحاً وتعاطفا ا.هـ [١]

الحالة الثانية: أن يقع القتل على مؤمن وأهله محاربون للإسلام في دار الحرب.

وفي هذه الحالة يجب تحرير رقبة مؤمنة لتعويض النفس المؤمنة التي قتلت لكن لا يجوز دفع الدية لقوم القتيل المحاربين حتى لا يستعينوا بها على قتال المسلمين، إذا لا مكان ولا مجال هنا لاسترضاء أهل القتيل لأنهم محاربون وأعداء للإسلام والمسلمين.

أما الحالة الثالثة: فهي أن يقع القتل على مؤمن أو على غير مؤمن قومه معاهدون أي لهم عهد هدنه أو عهد ذمة.

وفي هذه الحالة يجب أن تدفع الدية إلى أهله المعاهدين ولو لم يكن القتيل مؤمناً لأن عهدهم مع المؤمنين يجعل دماءهم مصونة كدماء المسلمين ويجب أيضاً على القاتل أن يعتق رقبة مؤمنة.

هذه هي أحكام القتل الخطأ.

وكان من الواجب عليَّ أن أفصل الحديث في أحكام الدية ومقدارها ولكن لا يتسع الوقت لهذا فليراجعه من شاء في كتاب الجنايات والديات من كتب الفقه لعلمائنا الكرام جزاهم الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

---

(١) الظلال (٢/ ٧٣٦).

وأخيرا: هل للقاتل المتعمد توبة ؟

اختلف العلماء في هـذه المسألة فلقد روى البخاري عن سـعيد بن جبير قال: اختلف فيها أهل الكوفة فَرَحَلْتُ فيها إلى ابن عباس فسألته عنها فقال هذه الآية ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ...** ﴾ هي آخر ما ترك وما نسخها شيء.

وفي رواية النسائي يقول سعيد قرأت عليه آية الفرقان ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ** ﴾ [الفرقان: ٦٨]

قال: هذه مكية نسختها آية مدنية.

وذهب أهل السنة وما عليـه المحققون من علمـاء السلف أن القاتل المتعـمد إن تاب تاب الله عليـه لأن الأخذ بظاهر آية النسـاء ومن يقتل مؤمناً متعمداً ليس بأولى من الأخذ بظاهر قوله تعالى ﴿ **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** ﴾ [هود: ١١٤]

وقوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ** ﴾ [الشورى: ٢٥]

وقوله تعالى: ﴿ **وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [النساء: ٤٨]

ثم إن الجمع بين آية النساء وآية الفرقان ممكن فلا نسخ ولا تعارض وذلك بحـمل الحكم المطلـق في آية النسـاء على الحكم المقـيـد في آية الفرقان لا سيما وقد اتفقا في الحكم والسبب فيكون معناه: ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء: ٩٣]

﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا ﴾ [الفرقان: ٧٠]

وأما الأحاديث التي تذكر هذا أيضاً فهي كثيرة منها ما رواه البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت وفيه أن النبي ﷺ قال:

«تُبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، ولاَ تَزْنُوا، ولا تَسْرِقُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالحَقِّ، فَمَنْ وفَّى مِنْكُم فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ إِنْ شَاءَ عَفَا عنه،وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ» (١)

وكذلك حديث أبي سعيد الخدرى في الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «كَانَ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ رجلٌ قَتَلَ تسْعةً وتسْعِينَ نفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهلِ الأَرْضِ؟ فدُلَّ عَلَى راهب، فَأَتاهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تسْعَةً وتسْعِينَ نَفْسًا،فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فقال: لاَ، فَقَتَلَهُ، فكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرضِ؟ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عالم، فقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، ومَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرضِ كَذَا وكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُناسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُم، وَلاَ تَرْجِعْ إِلى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أرضُ سُوءٍ، فَانْطَلَقَ حتَّى إذا نصفَ الطَّرِيقَ، أَتَاهُ الموتُ، فَاخْتَصَمَتْ فيه مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ ومَلائكةُ العَذَابِ، فقَالتْ ملائكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا، مُقْبِلاً إِلى اللَّهِ، وَقَالتْ مَلاَئِكَةُ العَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَط، فَأَتَاهُم مَلَكٌ في صُورَةِ آدَمِي فَجَعَلُوه

(١) رواه البخارى رقم (١٨) في الإيمان ، باب علامة الإيمان حب الأنصار ومسلم رقم (١٧٠٩) في الحدود ، باب الحدود كفارات لأهلها والترمذى رقم (١٤٣٩) في الحدود ، باب الحدود كفارة لأهلها ، والنسائى (٧/١٤٧) في البيعة باب البيعة على فراق المشرك.

بيْنَهُم، فَقَالَ: قيسُـوا مَا بَيْنَ الأرْضيْن فَإلَى أيَّتهمَا كَانَ أدْنَى فَـهُو لهُ، فَقَاسُوا فَوَجَدُوه أدْنَى إلى الأرض الَّتي أرادَ فَقَبَضَته مَلائكَةُ الرَّحْمَة»[1]

وأخيرا قال علمــاؤنا من قتل مؤمنا متعمداً فـتاب تاب الله عليه أما إن لم يتب وأصر على الذنب حتى وافى ربه على الكفر بشؤم المعاصى ﴿فَـجَـزَاؤُهُ جَـهَـنَّمُ خَـالدًا فيـهَـا وَغَـضبَ اللَّهُ عَلَيْـه ولَعَنَهُ وَأَعَـدَّ لَهُ عَـذَابًا عَظيمًا﴾ [النساء: ٩٣]

اللهم اغفر ذنبنا. . .

. . . الدعاء

(١) رواه البخارى رقم (٣٤٧٠) في الأنبياء ، باب مـا ذكر عن بنى إسرائيل ، ومسلم رقم (٢٧٦٦) في التوبة ، باب قبول توبة القاتل.



أكل الربا



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾

[الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أحبتى في الله :

فهذا هو لقاؤنا الخامس مع السبع الموبقات التي حذر منها النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم،وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **اجْتَنبُوا السَّبْعَ المُوبقَـات**» قالوا: يا رسول الـله وما هن؟قال: «**الشِّرْكُ باللَّه ،والسحْرُ وقَتلُ النَّفْسِ التَّي حَرَّمَ اللَّهُ إلاَّ بالحَقِّ،وأَكْلُ الربَا ،وَأَكْلُ مَال اليَتيم،والتَّولِّى يَوْمَ الزَّحْف،وقَذْفُ المُحْصَنَات الغَافلات المُؤمنَات**»[1] .

ونحن اليوم على موعد مع الكبيرة الرابعة في هذا الحديث ألا وهي أكل الربا وسوف ينتظم حديثي مع حضراتكم عن هذا الموضوع الخطير في العناصر التالية.

أولا: حملة مرعبة على الربا في القرآن والسنة.

ثانيا: فما هو الربا؟

ثالثا: الربا في الجاهلية.

رابعا: ربا البنوك أخبث من ربا الجاهلية.

خامسا: بيوع ربوية محرمه.

سادسا: فهل من توبة ،وما هو الحل؟

فأعيروني القلوب والأسماع فإن الموضوع جد خطير.

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٧٦٦) في الوصايا ،باب قول الله تعالى:﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما**﴾ ،وفى الطب باب الشرك والسحر من الموبقات ،وفى المحاربين ،باب رمي المحصنات،ومسلم رقم (٨٩) في الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها،وأبو داود رقم (٢٨٧٤) في الوصايا،باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم،والنسائي (٦/ ٢٥٧) في الوصايا،باب اجتناب أكل مال اليتيم.

أولا: حملة مرعبة على الربا في القرآن والسنة:

يقول الله عز وجل في سورة البقرة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]

أحبتي في الله :

لقد أعلن القرآن حملة مفزعة وتهديدًا مرعبًا على النظام الربوي المقيت؛ لأنه نظام يسحق البشرية ــ سحقا، ويشقيها في حياتها أفرادًا وجماعات، ودولاً وشعوبًا، لمصلحة حفنة عفنة من المرابين الكبار.

وينتهي إلى تركيز السلطة الحقيقية والنفوذ العملي على البشرية كلها في أيدي زمرة من أحط خلق الله، وشرذمة ممن لا يرعون في البشرية إلاً ولا ذمة.

وهؤلاء المرابون هم الذين يداينون الناس أفرادًا كما يداينون الحكومات ،والشعوب في داخل بلادهم ،وفي خارجها.

ومن ثم فهم لا يملكون المال وحده، إنما يملكون من خلاله النفوذ والتحكم.

والكارثة الخطيرة التي تمت في العصر الحديث هي أن هؤلاء المرابين قد استطاعوا بما لديهم من سلطة هائلة داخل أجهزة الحكم العالمية ،وبما

يملكون من وسائل التوجيه والإعلام في الأرض كلها .

استطاعوا أن يحفروا في عقـول الكثيرين من البشر أن هذا النظام الربوى الخـبـيث هو النظام الطبـيـعي الذي لا يمكن أن تقـوم قـائمـة للاقتصاد العالمي والداخلي إلا عليه .

وأنه هو الأساس الصحيح للنمو الاقتصادي.

وأن الذين يريدون إبطال هذا النظام جماعة من الخياليين .

وأنهم يتحدثون عن نظريات أخلاقية مـجردة، وعن مثل خيالية لا رصيد لهـا من الواقع ليستـروا عورات هذا النظام الكالح الطالح الذي يمحق سعادة البشرية محقًا والذي حرمه الله ورسولهﷺ .

وكيف يحرم الله ورسوله أمرًا لا تقوم الحياة البشرية إلا به ؟!

﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤]

ومن ثم فـالـنظام الإسـلامي،والنظـام الربوي لا يلتـقـيـان في تصور،ولا يلتقـيان في أساس،ولا يتوافقان في نتيـجة،ومن هنا كانت هذه الحملة المرعبة المفزعة على الربا في القرآن والسنة

فـفي الحديث الذي رواه مـسلم،وأبو داود ،وابن مـاجـة،والترمـذى وغيرهم من حديث ابن مسعود،وجاء عن عمر وعلى وغيرهم قالوا:«لَعَنَ رَسُولُ اللَّه آكِلَ الرِّبَا ومُوكِلَهُ وشَاهِدَيه وكَاتِبَهُ، وَقَالَ هُمْ سَوَاءٌ»[١].

---

(١) رواه مـسلم رقم (١٥٩٧) في المسـاقـاة،باب لعن آكل الربا ومـوكله،والتـرمـذى رقم (١٢٠٦) في البيـوع،باب ما جاء في آكل الربا،وأبو داود رقم (٣٣٣٣) في البـيوع،باب آكل الرباوموكـله،وإسناده حسن،وقال التـرمذي : حـسن صحيح،وأخـرجه ابن مـاجة رقم(٢٢٧٧) في التجارات،باب التغليظ في الربا.

وفي الحديث الذي رواه البيهقي، وابن ماجة، والحاكم، وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم، وصححه الألباني في صحيح الجامع ومن حديث عبد الله بن مسعود أيضا أن النبي ﷺ قال:

« الرِّبَا ثَلاثَة وسَبْعُونَ بَابًا أَيْسَرُهَا مثْلَ أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّه»(١).

وفي الحديث الذي رواه الطبراني في الكبير، وأحمد في مسنده ورجاله رجال الصحيح وصححه الألباني في صحيح الجامع

عن عبد الله بن حنظلة أن النبي ﷺ قال: **«درْهَمُ ربًا يَأكُلُه الرَّجُلُ وَهُو يَعلَمُ أَشَدُّ عِنْدَ اللَّه مِنْ ست وَثَلاثينَ زَنيَةً»**(٢).

وفي حديث سمرة بن جندب الطويل الذي رواه البخاري، وفيه أن النبي ﷺ قال: **«أَنَّه أتَاني اللَّيْلَة آتيَان، وإنهُمَا قَالاَ لي: انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا فَأتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ منْ دَم، وإذَا في النَّهْر رَجُلٌ سَابحٌ يَسبح وَإذَا عَلَى شَطِّ النَّهْر رَجُل وبَيْنَ يَدَيه حجارَة، وإذَا ذَلكَ السَّابح يَسْبَح ما يَسْبَحُ ثُمَّ يأتي ذَلكَ الذّي قَد جَمَعَ عنْدَهُ الحجَارة فيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيلقمهُ حَجَرًا فينطَلق يسبح، ثمَّ يَرْجع إلَيْه، كلَّما جَاءَ ليَخْرُجَ رَمَاهُ الرَّجُل على الشَّاطئ بحَجَرٍ في فيه فيرجع كمَا كَانَ»**(٣).

هذا هو شر الربا.

---

(١) رواه البيهقي وابن ماجة، والحاكم في المستدرك، وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٥٣٩)

(٢) رواه أحمد والطبراني، وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع(٣٣٧٥)، والصحيحة (١٠٣٣).

(٣) رواه البخاري رقم (٧٠٤٧) في التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، وفي صفة الصلاة، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، ومسلم رقم (٢٢٧٥) في الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ، والترمذي رقم (٢٢٩٥) في الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ في الميزان والدلو.

وهنا نخلص إلى العنصر الثالث لنتعرف على ربا الجاهلية.

أولاً: ربا النسيئة (أي: التأجيل) :

وهو أن يعطي الرجـل ديناً لرجل آخـر إلى أجل مـعلوم، فـإذا حل الأجل المحدد بينـهما ولم يسـتطع المدين السداد أعطاه الدائن مـهلة في مقابل الزيادة الربوية.

يقول مـجاهد : كانوا في الجاهـلية يكون للرجل على الرجل دين فيقول: لك كذا، وكذا (أي من الزيادة) وتؤخر عني فيؤخر عنه.

يقول الإمام أبو بكر الجصاص في كفاية أحكام القرآن:

إن ربا الجاهليـة إنما كان قرضـا مؤجلا بزيادة مـشروطة ،فكانت الزيادة بدلا من الأجل فأبطله الله تعالى.

والربا في هذا النوع واضح بَينْ تتوفر فيه كل العناصر الأساسية لكل عملية ربوية وهذه العناصر هى:

أولاً : الزيادة على أصل المال.

ثانيًـا: الأجل والزمن الذي يحدد نسـبة الزيادة على أصل المال ،أو الذي من أجله تعطى هذه الزيادة على قدر مكث هذا المال لدى الآخر.

ثالثًا: الفائدة المشروطة المضمونة.

وعليه فـإن كلٍّ من تعامل يشـتمل علي هذه العناصـر الثلاثة فـهو تعامل ربوى، وإن تغير مسماه للتحايل على شرع الله ،وهذا النوع أبطله الإسلام وحرمه القرآن.

ثانيًا: ربا الفضل:

وهو أن يبيع الرجل الشيء بالشيء من نوعه مع الزيادة.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد ،وأبي هريرة أن رسول الله ﷺ استعمل رجلا على خيبر فجاء بتمر جَنيب(أى طيب) فقال رسول الله: «**أَكُلُّ تَمرِ خَيْبَرَ هَكَذَا؟**» فقال :لا والله يا رسول الله، إنا لنأخذ الصاع بالصاعين، والصاعين بالثلاثة فقال النبيﷺ :«**لا تَفْعَلْ بِعِ الجَمْعَ** (أى الرديء، أو المجموع من أنواع مختلفة) **بالدَّراهِم ثُمَّ أبتَعْ بالدَّرَاهِم جَنيبًا**»[(١)]

وفي رواية لمسلم عن أبي سعيد قال : «جاء صاحب نخلة بصاع من تمر طيب فقال له النبي ﷺ أَنَّى لك هذا؟ قال انطلقت بصاعين فاشتريت به هذا الصاع، فإن سعر هذا في السوق كذا، وسعر هذا كذا، فقال رسول الله ﷺ : «**وَيْلَكَ: أَربَيْتَ إِذَا أَرَدْتَ ذَلِكَ فَبِعْ تَمرَكَ بِسلْعة،ثُمَّ اشْتَرِ بِسلْعَتِك أَيَّ تَمرٍ شِئْتَ**»[(٢)]

---

(١) رواه البخارى (٢٢٠١، ٢٢٠٢) في البيوع، باب إذا أراد بيع تمر بتمر خير منه، وفى الوكالة في الصرف والميزان ،وفى المغازي ،وفى الاعتصام، ومسلم رقم (١٥٩٣) في المساقاة، باب بيع الطعام مثلا بمثل، والموطأ (٢/٦٢٣) في البيوع، باب ما يكره من بيع التمر، والنسائى (٢٧١/٧، ٢٧٢) في البيوع، باب بيع التمر بالتمر متفاضلا.

(٢) رواه البخاري رقم (٢٠٨٠) في البيوع ،باب بيع الخلط من التمر، وباب بيع الفضة بالفضة، وباب بيع الدينار بالدينار، وأخرجه مسلم (١٥٩٤) ،(١٥٩٥)، (١٥٩٦) في المساقاة، باب بيع الطعام مثلا بمثل، والموطأ (٢/٦٣٢) في البيوع ،باب بيع الذهب بالفضة تبرا وعينا، والترمذي رقم (١٢٤١) في البيوع ،باب ما جاء في الصرف، والنسائى (٢٧١/٧، ٢٧٢، ٢٧٣) في البيوع، باب بيع التمر بالتمر متفاضلا، وباب بيع الفضة بالذهب، والذهب بالفضة، وأخرجه ابن ماجة رقم (٢٢٥٦) في التجارات ،باب الصرف ومالا يجوز متفاضلا.

وزاد النبي ﷺ هذه المسألة توضيحا جليا فقال كما في الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت:

«الذَّهَبُ بالذَّهَب،والفضَّةُ بالفضَّةُ،والبُرُّ بالبُرِّ،والشَّعيرُ بالشَّعير،والتَّمرُ بالتَّمر،والملْحُ بالملْح مـثْلا بمثل يَدًا بيَد سَوَاءً بسَوَاء ،فَمَن زَادَ أو اسـتَزَادَ فقد أربَى الآخذُ والمُعْطي سَوَاءٌ»[1]

وفي رواية لمسلم: «فَإذاَ اخْتَلَفتْ هَذه الأصْنَافُ فَبيعُوا كَيْفَ شئتُم إذَا كَانَ يَدًا بيَد» .

وفي لفظ للبـخـارى «لاَ تَبيـعُوا بالذَّهَب إلاَّ سَـوَاءً بسَوَاء ،والفـضَّةَ بالفضَّـة إلاَّ سَوَاءً بسَـوَاء،وبيْعُـوا الذَّهَبَ بالفضَّـة ،والفضَّةَ بالـذَّهَب كَيْفَ شئـتُم»[2] فالتبادل بين الذهب والفضة مثلا تبادل حر يمكن فيه التفاضل بشرط التناقد أي التقابض في المجلس الواحـد،وهكذا فعبارة مثلا بمثل يفهم منها أن تشترط الاتفاق في النوعية وعبارة يدا بيد تشترط التقابض في المجلس.

وعـبارة سـواء بسواء تشـترط التـساوى في المقـدار ،وعدم جـواز الفضل.

---

(١) رواه مسلم رقم (١٥٨٧) في المساقاة،باب الصوف وبيع الذهب بالورق نقداً، والترمذي رقم (١٢٤٠) في البيـوع ،باب مـا جـاء أن الحنطة بالحنطة مـثـلا بمثل،وأبو داود رقم (٣٣٤٩)،(٣٣٥٠)فى البيوع،باب في الـصرف،والنسائي (٧/٢٧٤،٢٧٥،٢٧٧،٢٧٨) في البيوع ،باب بيع البر بالبـر ،وبيع الشعير بالشعير،وأخـرجه ابن ماجة رقم (٢٢٥٤) في التجارات ،باب الصرف ،ومالا يجوز متفاضلا يدا بيد.

(٢)رواه البخاري رقم (٢١٧٥) في البيوع ،باب بيع الذهب بالذهب.

رابعا: ربا البنوك :

لاشك أن وجود البنوك في العصر الحديث ضرورة تستوجبها الظروف الاجتماعية والاقتصادية، والتجارة الخارجية.

ولكن ليس بالضرورة أن يقوم هذا النظام البنكي على الربا بل يمكن الاستفادة منه في تيسير المنافع ،والخدمات التي يحتاج إليها الناس ضمن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة وفقا للتصور الإسلامي الموجود بالفعل، للتخلص من هذا النظام الربوي ،والذي يمسك به دهاقنة اليهود في العالم الذين استطاعوا بالفعل أن يؤثروا على كثير من المسلمين ،ومن العلماء للتفرقة بين الربا المحرم، وبين ربا البنوك وبالفعل سميت المعاملات الربوية البنكية بأسماء بعيدة لإزاحة الشبهات المتعلقة بالربا كلفظ الفائدة، أو العمولة، أو العائد ،أو السحب على المكشوف، أو الحساب الجاري المدين، أو سندات الخزينة التي تسمى بشهادات الاستثمار. . . . الخ.

وظهرت الفتاوى بأنه يجب النظر إلى هذه البنوك على أساس مصالح الناس في معاشهم فإن كان لا يتم معاشهم إلا بها فهي جائزة دفعا للحرج الواجب دفعه عملاً بنص القرآن:

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨]

فمصلحة الناس في الأصل أن لا تصادم هذه المصلحة نصا شرعيا وأن المرجع الأول في التشريع النقل ،وليس العقل.

ومن المعروف لكل أحد أن النظام البنكي يقوم على فلسفة الفائدة

وبالتالى فإن طبيعة الأعمال البنـكية في الغالب ،وبصفة عامة لا تخرج عن دور الوساطة بين المودعين والمقترضين بفـائدة مشروطة على الجميع ولكنها تزيد كثيرا في حـالة الإقراض عنها في حالة الإيداع ،وهذا هو الربا بعينه.

فلقد توفر فيه جميع العناصر الربوية التي ذكرناها آنفا .

ولقد أصدرت المجامع الفـقهية التي يجب أن يعتمـد عليها لا على فتاوى الأفراد فالفرد نفسه يخطىء ويصيب.

أصدرت هذه المجامع الفتاوى بحرمة فوائد البنوك ،وأنها بعينها هي الربا المحرم .

كفتوى المؤتمر العالمي الأول للاقـتصاد الإسلامى لعام ١٩٧٦م الذي حضره الكثرة من علماء الاقتصاد وقتـها ،والشريعة على مستوى العالم وأجمع الجميع على اعتبار فوائد البنوك من الربا المحرم.

وكفتوى مجمع الفقـه الإسلامى بجدة في دورته الثالثة المنعقدة في أكتوبر لعام ١٩٨٦

وكفـتوى المجمع الفـقهي لرابطة العالم الإسـلامي لعام ١٩٨٦م، والتي قالت : بأنه يحـرم على كل مسلم أن يتعـامل مع البنوك الربوية من الداخل والخارج.

وكفتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ١٢ يناير لعام ١٩٨٠،بأن إيداع الأموال في البنوك بفائدة محددة مقدما من الربا المحرم شرعا.

وغيرها الكثير والكثير،وإلى جوارها العديد من الفتاوى.

وكفـتوى إدارة البحوث العـلمية والإفتـاء بالمملكة التي نصت على تحريم الفوائد الربوية،والتعـامل مطلقا مع أى بنك ربوي والفتوى برقم ٢٨٢٨

وأما ما يعـرف بالقرض الإنتاجي الاستـهلاكي فقد أفتـى مؤتمر علماء المسلمين المنعقد بمـجمع البحوث الإسلاميـة بالأزهر بأن الفائدة على أنواع القروض ربا محرم لا فرق بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي أو الإنتاجي.

أما ما يسمي بسندات الخزينة أو شهادات الاسـتثمار فهي بدعة جديدة لتضليل الناس. ومـا هي في الحقيقـة إلا قرض بزيادة مشروطة مـحددة في نظير الزمن ولا يمكن على الإطلاق أن يغير المسمى حقيقة الربا.

فالعـبرة في المعاملات بحـقيقتـها ،وليست بألفاظهـا وأسمائها،فـهذه الشهادات ذات القـيمة المتزايدة وذات العـائد الجاري،أو الدولارية ،أو غيـرها تجمع بين الربا والقـمار المحرم،بل وتجـمع بين ربا النسيـئة وربا الفضـل. وجميع الـشبه التـي يحتجـون بها علـى الجواز إنما هي شـبه عرجاء،وكل امرىء بما كسب رهين.

من البيوع المحرمـة التي ابتلى بها كثير من الناس وأريد أن أنبـه إليها ما يسمى« بيع العينة» .

وهي قرض ربوي مستتر بمعنى أن يشتري الرجل السلعة سيارة مثلا بمائة ألف ثم يبيعها مرة أخرى إليـه أي إلى البائع بخمسة وتسعين ألفا مثلا ولذا يسمى بيع العينة لأن عين السلعـة تعود إلى البائع مرة أخري ولا يتسع الوقت لذكر أنواع أخري من البيوع ،ولكني أكتفى بهذا لكثرة ابتلاء الناس به والعياذ بالله.

وأخيرًا: فهل من توبة وما الحل؟

قــال تعـــالى: ﴿ **وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ٢٧٩]

والحل هو الاستثمار والتجارة الحلال، فإذا كنت لا تملك أن تستثمر مالك أو أن تتاجر فيه لاسيما إذا كنت مرتبطا بعملك كطبيب، أو مهندس، أو مدرس، أو غير ذلك.

ونحن نعيش زمانا ضعف فيه الإيمان، وخربت فيه الذمم، وحُورب كثير من المشاركات الاقتصادية الإسلامية الخيرة فأمامك هذه الأفرع الإسلامية التي انتشرت الآن في بلاد المسلمين.

فالحمد لله أن وجد بعض البنوك الإسلامية التي يشرف عليها مجموعة من العلماء أو ما يسمى بهيئة الرقابة الشرعية.

ولا تكلف نفسك من الأمر مالا تطيق بالسماع لكل من يشكك في كل ما هو إسلامي.

فذاك مقصود لذاته، ولا يمكن أبدا أن تقوم تجربة إسلامية في ظل هذه الظروف الربوية الرهيبة لتولد مكتملة بنسبة مائة في المائة، ولكن هذا من باب ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [التغابن: ١٦]

وبذلك تكون قد أعذرت إلى الله عز وجل وعلا، ونسأل الله أن يطهر أموالنا...

...الدعاء

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له ،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾ [النساء: ١]

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴾

[الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ،وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أحبتى في الله :

هذا هو لقاؤنا السادس مع السبع الموبقات التي حذر منها النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم، وأبو داود والنسائى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَات**» ، قالوا: يَا رسول الله وما هن؟ قال: «**الشِّرْكُ بِاللَّه، والسِّحرُ وقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بالحَقِّ، وأَكْلُ الرِّبَا، وأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، والتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَنَاتِ الغَافِلاَتِ المؤْمِنَات**»[1]

ونحن اليوم على موعد مع الكبيرة الخامسة في هذا الحديث وهي أكل مال اليتيم.

ويالها من كبيرة، كبيرة وقع فيها كثير من الناس نسأل الله السلامة والعافية. ونظرا لخطورة هذا الموضوع وطوله فسوف ينتظم حديثي مع حضراتكم في العناصر التالية.

أولا: من هو اليتيم.

ثانيا: مكانة اليتيم في القرآن والسنة وفضل كافله.

ثالثا: عاقبة من يأكل مال اليتيم.

رابعا: يُتم رغم وجود الوالدين.

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٧٦٦) في الوصايا ،باب قول الله تعالى: ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما**﴾ ،وفي الطب باب الشرك والسحر من الموبقات ،وفي المحاربين ،باب رمي المحصنات، ومسلم رقم (٨٩) في الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها، وأبو داود رقم (٢٨٧٤) في الوصايا، باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم، والنسائي(٦ /٢٥٧) في الوصايا، باب اجتناب أكل مال اليتيم.

وأخيرا: كيف تؤمن مستقبل ولدك بعد موتك؟!.

فأعيروني القلوب والأسماع فإن هذا اللقاء من الأهمية بمكان.

أولاً : من هو اليتيم؟

جاء في لسان العرب لابن منظور:

أن اليتيم في الناس من فقد أباه وأن اليـتيم في الحيوانات ،والطيور من فقد أمه.

وهذه لطيفة لغوية دقيقة لها مغزى، قَلَّ من ينتبه إليها.

وأصل اليُتم في اللغـة: هو الغفلة، وبه سمى اليـتيم يتيـمًا؛ لأنه يُتغَافل عن بره بعد موت أبيه .

وأصله أيضا الانفراد فكل شيء مفرد بغير نظيره فهو يتيم كما يقال درة يتيمة أي منفردة.

ثانيًا: مكانة اليتيم في القرآن والسنة وفضل كافله.

لقد أولى القرآن الكريم عناية كبيرة باليتـيم من الناحية النفسية والتربوية ،ومن الناحية المادية على السواء.

مراعاة لظروفه النفـسية بعد فقده لأبيه إذ قـد يصيبه شيء من الذل والانكسار والوحشة لا سيمـا إن كان أبوه ممن امتثل قول الله عز وجل وعلا :

﴿ يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا قُـوا أَنفُـسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُـودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]

ولقد ظهـرت هذه العناية الكريمة باليـتيم منذ الفتـرة الأولى لتنزل الوحي على قلب حبـيبه ﷺ الذي ولد يتيـما فكان يُتْمُهُ تشـريفًا لكل يتيم!!

فهو اليتيم الذي أعاد البسـمة والسعادة لليتامى على ظهر الأرض، وها هو ربنا جل وعلا يمتنُّ عـلى حبيـبه المصطفى ﷺ بهـذه النعمـة والمنة فيقول:

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ ﴾ [الضحى: ٦-٨]

أي: ولدت يتيما فآواك الله.

وأحاطك بعنايته ورعايته وحفظه وفضله.

وكنت فقيرًا فأغنى الـله نفسك بالقناعة والرضي ،ثم أفاض عليك الرزق الطيب الحلال،وكـنت تائها تبحث عن الطريـق في بيئة جـاحدة ونفوس شاردة،وهاجرة محرقة فهداك الله وطمأن قلبك وشرح صدرك ورفع ذكرك ،ووضع وزرك.

ومن ثم بعد كل هذه النعم والمنن ،وبعـد كل هذا الفضل والفيض يأتيه التوجيه الرباني الكريم:

﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ٩-١١]

ومن هذا المنطلق الكريم بالاهتمام بأمر اليتيم.

يأمـر الله جـل وعـلا بالمحـافظة على أمـوال اليـتـامى ،وعـدم تبديدها،أو تبديلها بالخبيث أو المتاجرة بها فيما حرم الله عز وجل ،فإن

هذه الأموال أمانة عند ولى اليتامى سيسأل عنها بين يدى الله جل وعلا. فيقول سبحانه:

﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٢]

ويقول سبحانه: ﴿ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]

وأوجب الله على ولي اليتامى أيضا: ألا يُسْرِف في الإنفاق منها وحذره من المبادرة والإسراع إلى أكلها قبل أن يكبر أصحابها من اليتامى ليأخذوها فإن هذا من أعظم الذنوب والآثام.

وأوجب الله تعالى على ولي اليتامى إن كان غنيا أن يستعفف عن الأكل من أموال اليتامى وإن كان فقيرًا فله أن يأكل بالمعروف من غير إسراف، ولا تبزير وفي أضيق الحدود.

وأوجب الله على ولي اليتامى أيضا أن يرد أموال اليتامى إليهم إذا بلغوا النكاح، أو مرحلة الرشد والنضج، وأصبحوا قادرين غلى تصريف أمورهم وتبذير شئونهم والمحافظة على أموالهم.

وأمره أن يُشْهِدَ عند دفع هذا المال إبراء للذمة ودرأ للشبهة.

ورأي الشافعية والمالكية أن الأمر هنا للوجوب ورأي الحنفية أن الإشهاد مندوب وليس بواجب.

فقال سبحانه : ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [النساء : ٦]

ومن الآيات القرآنية التي تؤكد وتُرَسِّخ هذه المعاني قول الله عز وجل : ﴿ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ [الإسراء : ٣٤]

ويقول عز وجل :﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ أى إثما عظيما . [النساء : ٢]

ويقول عز وجل :﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [النساء : ٦]

ويالها والله من خاتمة جليلة ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ .

فالله هو الرقيب عليكم الشهيد على أعمالكم ،وأقوالكم وأحوالكم يحاسبكم على ما أظهرتم وما أسررتم في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون .

وصدق الله إذ يقول :

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾[الأنبياء : ٤٧]

ومن بين هذه الآيات القـرآنية الكريمـة هذه الآية التي تكرم اليتـامى أعظم تكريم ،حيث يربط الله جل وعـلا أمر الإحسان إليـهم بعد الأمر بتوحيده وعبادته عز وجل . فيقول سبحانه :

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا ﴾

[النساء : ٣٦]

ومع أن كل هذه الآيات السابقة تشتمل على اليتيم واليتيمة إلا أن الله جل وعلا قـد خص اليتيـمة أيضا بهاتين الآيتين زيـادة في تأكيد حقـها وتوضيحه فيقول سبحانه :

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا ﴾ [النساء : ٣]

يقول سبـحانه : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللاَّتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ [النساء : ١٢٧]

وفي صحيح البخاري ومسلم وغيرهما أن عروة بن الزبير رضي الله عنه سأل عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن الآية الأولى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ

تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا ﴾ [النساء: ٣]

فقـالت عائشة رضي الله عنها: يـا ابن أختي هذه اليتيـمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها فيريد وليُّها أن يتزوجها بغير أن يُقسطَ في صَداقِها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره.

فنُهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا لهن أعلى سُنَّتهنَّ في الصداق، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن.

قال عروة: قالت عائشة: وإن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية، فـأنزل الله[1] : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللاَّتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٢٧]

وفي صحـيح البخاري ،ومـسلم وغيـرهما أن عروة بن الزبيـر سأل عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ . . . الآية ﴾ [النساء: ٣]

فقالت: يا ابن أختي هذه الـيتيمة تكون في حجر وليـها فيرغب في جمـالهـا ومالهـا ويريد أن ينتقص صـداقهـا فنهوا عن نكاحـهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق، وأمروا بنكاح من سواهن[2]

---

(١)،(٢) رواه البخـاري رقم (٤٥٧٤) في الوصايا، باب قـول الله تعالى (**وآتوا اليـتـامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب**)، وفي تفـسيـر سورة النسـاء ،وفي النكاح ،وفي الحيل، وأخـرجه مسلم رقم (٣٠١٨) في التـفسيـر ،وأبو داود رقم (٢٠٦٨) في النكاح باب ما يكره أن يجمع بينهن من الـنساء ،والنسائي (٦/١١٥)، و(١١٦) في النكاح، باب القسط في الأصدقة.

قالت عائشة رضي الله عنه فاستفتى الناس رسول اللهﷺ بعد ذلك فأنزل الله تعالى: **﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ... الآية﴾**.

فبين الله لهم أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال ورغبوا في نكاحها، ولم يُلحقوها بسُنَّتها في إكمال الصداق.

وإذا كانت مرغوبا عنها لقلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء .

وقالت عائشة رضي الله عنها فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها إلا أن يقسطوا لها ويعطوها حقها الأوفى من الصداق، ثم تأتي السنة ليقوم صاحبها ﷺ الذي كان يتمه تشريفا لكل يتيم ،تأتي هي الأخرى لتكرم اليتيم تكريما هو من الذروة بمكان.

فوالله لو لم يرد في السنة إلا هذا الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :

« **أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الجَنَّة**» وأشار بالسبابة والوسطى[1]

لو لم يكن فيها إلا هذا الحديث لكفى.

وفي لفظ مسلم: «**كَافِلُ اليَتِيمَ لَهُ أَو لِغَيْرِه أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْن في الجَنَّة**»[2]،

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٠٠٥) في الأدب، باب من يعول يتيما، والترمذي رقم (١٩١٩) في البر والصلة، باب ما جاء في كفالة اليتيم ،وأبو داود رقم (٥١٥٠) في الأدب، باب فيمن ضم اليتيم.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٩٨٣) في الزهد والرقائق باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم

أي: حتى وإن كان اليتيم أجنبيا عنه.

ولقد نقل الحافظ ابن حجر قول ابن بطال:

حق على كل من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك.[1]

وفي الحـديث الذي رواه أبو يعلى وغيـره ﷺ وقال عنه الحـافظ ابن حـجـر في الـفـتح: إسناده لا بأس به، من حـــديث أبي هريرة أن النـبي ﷺ قـال: « **أَنَا أَوَّلَ مَنْ يَفْتَحُ بَابَ الجَنَّة إلاَّ أَنِّي أَرَىَ امْرَأَةَ تُبـادرني** (أي: تسرع لتدخل معي الجنة) **فَأَقُولُ لَهَا مَالَكِ ﷺ وَمَنْ أَنْتِ؟!» فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتام لي».**[2]

وفي الحديث الذي رواه النسائى بسند جيد من حديث شريح خويلد بن عمرو الخزاعى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **اللَّهُمَ إنِّي أحرِجُ حقَّ الضَّعيفَيْنِ اليَتيم والمرْأة**»[3]

ومـعنى أحـرج أى ألحق الحـرج والإثم الشـديـد على من ضـيع حقـهما، وأكل مالهـما فإني أحـذر من ذلك تحذيرًا بليغًـا ، وأزجر عنه زجرًا كبيرًا.

وعن مصعب بـن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنهـما - قال: «رأى سعد أن له فضلاً على من دونه فقال النبي ﷺ:

---

(١) فتح الباري (٤٣٦/ ١٠) ط دار المعرفة بيروت

(٢) قال الحافظ في الفتح (٤٣٦/ ١٠)، أخـرجه أبو يعلى من حديث أبي هريرة، ورواته لا بأس بهم.

(٣) رواه النسائى.

« **هَلْ تُنْصَرُونَ وتُرْزَقُونَ إلاَّ بِضُعَفائكُمْ**»

رواه البخاري [١] مرسلاً ووصله الحافظ أبو بكر البرقانى في صحيحه.

وفي الحديث الذي رواه البخاري ،ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « **السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمَسَاكِينِ كَالمجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ كَالَّذِي يَصُومُ النَّهارَ ويَقُومُ اللَّيْلَ**»[٢]

الله أكبر. . . والأرملة هي المرأة التي مات زوجها.

أى فضل هذا وأى أجر؟!

والله إنها التجارة الرابحة في الدنيا والآخرة.

فهذه هي مكانة اليتيم في القرآن والسنة .

ثالثًا : عاقبة من يأكل مال اليتيم

ومن ثم يأتى هذا التحذير الرهيب والإنذار الرعيب الذي يفزع القلوب الحية ليبين عاقبة آكل مال اليتيم فيقول جل وعلا :

﴿ **إنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** ﴾ [النساء: ١٠]

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٨٩٦) في الجهاد ،باب من استعان بالضعفاء ،والصالحين في الحرب ،والنسائي (٦/ ٤٥) في الجهاد،باب الاستنصار بالضعيف.

(٢) رواه البخاري رقم (٥٣٥٣) في النفقات ،باب فضل النفقة على الأهل،ومسلم رقم (٢٩٨٢) في الزهد،باب الإحسان إلى الأرملة،والترمذي رقم (١٩٦٠) في البر والصلة،باب ما جاء في السعى على الأرملة،والنسائي (٥ / ٨٦،٨٧) في الزكاة،باب فضل الساعي على الأرملة.

الله أكــبر . . . إنهــا صورة مــفــزعة . . صــورة النار في البطون . . .
وصورة السعير في نهاية المطاف.

وقد هزت هذه الآية قلوب الـصحابة هزا عنيـفا وملأتهــا بالخوف والرهبة ووقعوا في حرج شديد.

كما قال ابن عـباس: لما نزلت هذه الآية ،انطلق كل من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه،وشرابه من شرابه،فجعل يفضل الشيء أى يتبقــى من أكل اليتيم فيــحبس له،ولا يأكله أحد حتى يأكله الــيتيم،أو يفسد.

فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل قــوله تــعــالى :﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٢٠]

فخلطوا طعامهم بطعامهم،وشرابهم بشرابهم.

وهكذا رفع المنهــج القرآنــي الكريم هذه الضــمــائر إلى ذلك الأفق الوضيء وطهرها من غبش الجاهلية ذلك التطهير العجيب.[١]

رابعًا: يُتْمٌ رغم وجود الوالدين :

نعم فقد يكون الوالدان موجودين على قيد الحياة ،ومع ذلك فإنك ترى أطفالهم كأنهم في عداد الأيتام لانشــغال الوالدين بالعمل أو بغيره إذ الوالد منهمك في عمله وتجارته لا يدرى عن حال أولاده شيئا والمرأة

(١) انظر تفسير الآية في ظلال القرآن.

منشغلة كذلك بالعمل، أو بالأسواق ، أو بأحدث الموضات وتخلت عن تربيته للخادمات أو الحاضنات، فينشأ الطفل كما لو كان يتيما !!!

ورحم الله من قال:

لَيْسَ اليَتيمُ مَن انتَهَى أَبَوَاهُ مِنَ الحَيَاة وخَلَّفَاهُ ذَلِيلاً
إنَّ اليَتيمَ هُوَ الذي تَلْقَى لَهُ أُمًّا تَخَلَّتْ أَوْ أَبًا مَشْغُولا

نعم فاليُتم في أصل اللغة كما قال ابن منظور في لسان العرب :

هو أيضا الانفراد فإذا أمسى الطفل بانفراده ووحدته رغم وجود والديه فهو يَحُسُ باليتم.

فالصبي أمانة عند والديه ،وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش عليها .

فإن عود الخير وربي على الإسلام ،سلم في الدنيا والآخرة، وإن عود على الشر ،وربي على موائد اللئام شقى وخسر، وكان الوزر على رأس والديه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [التحريم: ٦]

وأخيرًا: كيف تؤمن مستقبل ولدك بعد موتك؟

والجواب من الله تعالى ﴿ **وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا** ﴾ [النساء: ٩]

فها هو عمر بن عبد العزيز يدخل عليه ابن عمه سلمة بن عبد الملك

وهو على فراش الموت فقال: يا أميــر المؤمنين إنك قد أقفرت أفواه ولدك من هذا المال!!فلو أوصــيت بهــم إليَّ وإلى نظرائي من قــومك فكفــوك مئونتهم.

فلما سمع مقالته قال : أجلسوني فأجلسوه.

فقال : قد سمعت مقالتك يا مسلمة

أما قولك : إني أقفرت أفــواه ولدي من هذا المال فوالله ما ظلمتهم حقا هو لهم ،ولم أكن لأعطيهم شيئا لغيرهم.

وأما ما قلــت في الوصية: فإن وصيــى فيهم : ﴿ **اللَّـهُ الَّـذِي نَـزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ**﴾ [الأعراف: ١٩٦]

وإنما ولد عمر بين أحد رجلين: إما رجل صــالح فسيعينه الله ، وإما غير ذلك فلن أكون أول من أعانه بالمال ادع لى بَنِيَّ فأتوه.

فلما رآهم ترقرقت عــيناه وقال : بنفسى فتية تركــتهم عالة لا شىء لهم وبكى،يا بني إني قــد تركت لكم خــيرًا كثــيرا لا تمرون بأحــد من المسلمين وأهل ذمتهم إلا رأوا لكم حقًّا .

يا بني إني قد مليــت بين أمرين : إما أن تســتغنوا وأدخل النار أو تفتــقروا وأدخل الجنة، فأرى أن تفــتقروا إلى ذلك أحب إليّ. . قــوموا عصــمكم الله . . قوموا رزقكم الله،وهذا لا يعــارض أبدا الدخول في الأســباب ،فــلا مانع على الإطــلاق أن تسعى ،وأن تكدح شــريطة ألا تضيع حق الله تعالى ،ثم حقــوق أولادك من أجل أن توفر لهم السعادة في حياتك ،وبعد مماتك،والأصل في ذلك.

ما رواه مسلم عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال: «جاءنى رسول الله ﷺ يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بى، فقلت يا رسول الله، إنى قد بلغ بى من الوجع ما ترى، وأنا ذو مال ولا يرثنى إلا ابنة لى، أفأتصدق بثلثى مالى؟ قال: «**لا**»، قلت: فالشَّطْر يا رسول الله؟ قال: «**لا**»، قلت: الثُّلث؟ قال: «**فالثُّلُثُ والثُّلثُ كَثيرٌ**»، **ثم قال: «إنَّكَ إنَ تَذَر وَرَثَتَكَ أَغْنِياءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرْهُم عَالةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ»**[1].

. . . الدعاء

(١) رواه البخاري رقم (١٢٩٥) في الجنائز، باب رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة، وفى الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى، وفى الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يدعهم يتكففون الناس، وباب الوصية بالثلث، وفى فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ «اللهم أمض لأصحابى هجرتهم»، وفى المغازي، وفى النفقات، وفى المرضى وفى الدعوات، وفى الفرائض، ومسلم رقم (١٦٢٨) في الوصية، باب الوصية بالثلث، والموطأ (٢ / ٧٦٣) في الوصية، باب الوصية في الثلث لا تتعدي، والترمذي رقم (٩٥٧) في الجنائز، باب ما جاء في الوصية بالثلث والربع، وفى الوصايا، باب ما جاء في الوصية بالثلث، وأبو داود رقم (٢٨٦٤) في الوصايا، باب ما جاء فيما لا يجوز للوصي من ماله، والنسائي (٦ / ٢٤١ ـ ٢٤٣) في الوصايا، باب الوصية بالثلث.

التولي يوم الزحف

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، .

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ،

وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أحبتى في الله :

فهذا هو لقاؤنا السابع مع السبع الموبقات التي حذر منها النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم، وأبو داود والنسائى من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال:

«**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**» قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «**الشِّرْكُ بِاللَّهِ، والسِّحْرِ، وقَتْلُ النَّفْسِ التي حَرَّمَ اللَّهُ إلاَّ بالحَقِّ، وأكْلُ الرِّبَا، وأكْلِ مَالِ اليتِيمِ، والتَّولِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَنَاتِ الغَافِلاَتِ المُؤْمِنَاتِ**»[1].

ونحن اليوم على موعد مع الكبيرة السادسة ألا وهي التولى يوم الزحف، والتولى كما قال ابن منظور في لسان العرب في مادة ولى. وحتى لا ينسحب بساط الوقت من تحت أقدامنا فسوف أركز الحديث مع حضراتكم في العناصر التالية:

أولاً: المعنى اللغوي.

ثانيًا: تشريع الجهاد في الإسلام والهدف منه.

---

(١) رواه البخارى رقم (٢٧٦٦) في الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿**إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما**﴾، وفى الطب باب الشرك والسحر من الموبقات، وفى المحاربين، باب رمى المحصنات، ومسلم رقم (٨٩) في الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها، وأبو داود رقم (٢٨٧٤) في الوصايا، باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم، والنسائى (٦/ ٢٥٧) في الوصايا، باب اجتناب أكل مال اليتيم.

ثالثًا: فضل الجهاد.

رابعًا: وجوب الثبات أثناء الزحف.

خامسًا: التولي يوم الزحف كبيرة من الكبائر.

وأخيرًا: لاعز إلا بالجهاد.

فأعيروني القلوب والأسماع فإن هذا اللقاء من الأهمية بمكان.

أولاً: المعنى اللغوي لقوله ﷺ: «والتَّولِّي يَوْمَ الزَّحف».

قال ابن منظور في لسان العرب[1] في مادة ولى:

ولى الشيء، وتولى أى أدبر، ودنى عنه أى أعرض عنه ، وقد تكون التولية إقبالا كما في قوله تعالى :

﴿ **فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** ﴾ [البقرة: ١٤٤]

أى أقبل بوجهك نحوه.

وقد تكون التولية إعراضا وانصرافا ،وإدبارا كما في قوله تعالى:

﴿ **ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ** ﴾ [التوبة: ٢٥]

فالتـولي يوم الزحف هو الإعراض والإدبار والفرار أمـام العدو في ساحة الجهاد .

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة ولي وزحف:

إن التولي: هو الإدبار والإعراض والانصراف.

---

(١)لسان العرب لابن منظور (٤١٤ / ١٥).

والزحف هو: الشيء رويـدًا أي ببطء فـالجـيش الزاحف هو الذي يرى كثرته كأنه يزحف ويمشي ببطء لأنه يتـحرك ككتلة واحدة وكجسم واحد.

وعليـه فالتـولي يوم الزحف : هو الإعراض والانصـراف والإدبار والفرار أمام العدو من أرض المعركة.

ثانيًا: تشريع الجهاد في الإسلام والهدف منه.

لقد أرسل الله رسوله بالهـدى ودين الحق ،وأمره أن يدعو الناس جميعا لهذا الدين وخاطبه بقوله جل وعلا:

﴿ يا أَيُّهَـا الْمُـدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنذِرْ ، وَرَبَّكَ فَكَبِّـرْ، وَثِيَـابَكَ فَطَهِّـرْ ﴾ [المدثر: ١-٤]

فقام النبي ﷺ في ذات الله أتم قيام، وشمر عن ساعده ودعا إلى الله ليلا ونهارا وسراً وجهراً إلى أن نزل عليه قول الله عز وجل:

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤]

فصدع بأمـر الله فدعا إلى الله الصغـير والكبير ،والحر والعـبد والذكر والأنثى، والأحمر والأسود.

فـأبرقت قـريش وأرعدت وأرغت وأزبدت ودقـت طبول الحـرب وأوعدت .

فلما اشتـد الإيذاء والبلاء أمر النبي ﷺ أصحابه أن يـهاجروا إلى أرض الحبشةمرتين.

وتضاعف الإيذاء والابتلاء ومع هذا لم يأذن الله لرسوله بأن يقابل

السيئـة بالسيئة، أو أن يواجـه الأذى بالأذى، أو أن يحارب هؤلاء الذين يحـاربون الله ورسـوله، ويفتنوا المـؤمنين والمؤمنات، بل أمـره بالعفـو والصفح كـما قـال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الطور: ٤٨]

﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٩]

﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ [الحجر: ٨٥]

﴿ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الجاثية: ١٤]

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩٦]

وتتابع الأذى والاضطـهاد حتى بلغ ذروته بتـدبير مـؤامرة حقـيرة لاغتيـال رسول الله ﷺ، فـاضطر النبي ﷺ إلى الهجـرة من مكة إلى المدينة، وأمر أصـحابه بالهجـرة إليها بعد ثلاث عـشرة سنة من البعـثة المباركة.

فلما استـقر رسول الله ﷺ بالمدينة، وأيده بنصره بعـباده المؤمنين من الأنصار الأبرار، والمهاجرين الأطهار، وألَّفَ الله بين القلوب، وبذلوا نفـوسهم دونه، وقـدمـوا محـبتـه على مـحبـةالآباء والأبناء، والأزواج والأموال.

وهنا رمتـهم العرب واليهـود عن قوس واحدة وشمـروا لهم عن ساق العداوة، والمحاربة، وأحاطوا بهم من كل ناحية.

وهنا أذن الله للمؤمنين في القـتال، ولم يفرضه عليـهم دفاعا عن النفس، وتأمينا للدعوة فقال تعالى :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٣٩ ـ ٤١]

وفي السنة الثانية من الهجرة فرض الله القتال بقوله تعالى:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[البقرة: ٢١٦]

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) ﴾ [الصف: ١٠ ـ ١٣]

والله إنها لتجارة رابحة، ولم لا؟! وقد علق الله عليها مغفرة الذنوب، والنصر في الدنيا والنجاة من النار والفوز بالجنة في الآخرة.

وبعد هذه التجارة الرابحة يأتي هذا العقد الجليل والوعد الكريم الذي أودعه الله جل وعلا أفضل كتبه المنزلة وهي التوراة والإنجيل، والقرآن وياله والله من عقد ما أعظم خطره، وأجل قدره فالله جل وعلا هو

المشتري والثمن جنات النعيم.

أما السلعة فهي الجهاد في سبيل الله، بالأنفس والأموال.

فلما رأى التجار عظمة المشتـري، وقدر الثمن وجلالة قدر من جرى عقد التبايع على يديه، ومقدار الكتـاب الذي أثبت فيه هذا العقد عرفوا أن للسلعـة قدرا وشأنا، لـيس لغيرهـا من السلع فرأوا أن من الخـسران الكبير أن يبيعوها بثمن بخس دراهم معدودة.

فعقدوا مع المشتري بيعة الرضا والرضوان.

فقال سبحانه: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [التوبة: ١١١]

فلمـا تم العقد وسلم الـفائزون المفلحـون السلعة الغـالية أي: أنفـسهم وأموالهم قيل لهم: قد صـارت أنفسكم وأموالكم لنا، والآن قد رددناها عليكم أوفر وأكرم وأعظم ما كانت فقال سبحانه:

﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٦٩]

ثم بين إمام المجـاهدين وقائد الغر المحـجلين شرف الجهـاد وفضله فقال كما في الحديث الذي رواه البـخاري وأحمد من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةُ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرَ**

أَنْهَارُ الجَنَّةِ». (١)

وفي حديث أبي سعيد في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال لأبي سعيد: « **مَنْ رضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وبالإِسْلاَمِ دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً وَجبتْ لهُ الجَنَّةَ**» فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها عليّ يا رسول الله ففعل، ثم قال رسول الله ﷺ: «**وأُخْرَى يَرْفعُ اللهُ بهَا العَبْدُ مائَةَ دَرَجة في الجَنَّة مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْن كَمَا بَيْنَ السَّمَاء والأرْض**» قال: وما هي يا رسول الله، قال: «**الجِهَادُ في سَبِيلِ اللَّه** »(٢) (انظر زاد المعاد ٧٨/ ٣)

وفي الحديث الذي رواه البخاري وأحمد من حديث أبي عبس عبد الرحمن بن صير أن النبي قال: «**مَنِ اغْبَرَّت قَدمَاهُ في سَبِيلِ اللَّه حَرَّمهُ اللَّهُ على النَّار**»(٣)

وعن محمد بن المنكدر قال: مر سلمان الفارسى على شرحبيل بن السمط وهو في مرابط له، وقد شق المقام عليه، وعلى أكثر الصحابة

فقال لهم سلمان: ألا أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ؟

قالوا: بلى.

قال سمعته يقول: «**رِبَاطُ يَوْمٍ ولَيْلَة في سَبِيلِ اللَّه أَفْضَلُ** - أو قال: خَيْرٌ

(١) رواه البخارى رقم (٢٧٩٠)، فى الجهاد باب درجات المجاهدين في سبيل الله، وفى التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، وهروب العرش العظيم.

(٢) رواه مسلم رقم (١٨٨٤) في الإمارة، باب بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في الجنة من الدرجات والنسائى (١٩/ ٦ , ٢٠) في الجهاد، باب درجة المجاهد في سبيل الله.

(٣) رواه البخاري رقم (٩٠٧) في الجمعة، باب المشى إلى الجمعة، وقول الله جل ذكره: «**فاسعوا إلى ذكر الله**» ، ومن قال السعى والعمل والذهب، وفى الجهاد، باب من إغبرت قدماه في سبيل الله، والترمذى، رقم (١٦٣٢) في فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل من أغبرت قدماه في سبيل الله والنسائى (٦/١٤) في الجهاد، باب ثواب من اغبرت قدماه في سبيل الله.

- منْ صيَام شَهْر وَقيَامه وإنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْه عَمَلُهُ الَّذي كَانَ يَعْمَلُهُ، وأُجريَ عَلَيْه رِزْقُهُ وأَمِنَ الفَتَّانَ » [١]

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «وَالَّذي نَفْسي بيَده لا يُكْلَمُ أحدٌ في سَبِيلِ اللَّه - واللَّهُ أعلمُ بمَنْ يُكْلمُ في سَبيله - إلاَّ جَاءَ يومَ القيَامة اللونُ لَوْنُ الدَّم والرِّيحُ ريحُ المسك»[٢].

وفي صحيح مسلم من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «إنَّ أَرْوَاحَ الشُّهدَاء في جَوف طَيْر خُضْر، لَهَا قَناديلُ مُعَلَّقةٌ بالعَرْش تَسْرَحُ من الجنَّة حيثُ شَاءتْ، ثمَّ تأوي إلى مَلْك القَنَاديل فاطَّلعَ إليْهم ربهُم اطِّلاعَةً فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ فَقَالُوا: أَيَّ شَيء نَشْتَهي وَنَحْنُ نَسرحُ من الجنَّة حيثُ شئْنَا ؟ فَفَعَلَ لَهُم ذَلكَ ثَلاثَ مَرَّات فلَمَّا رأَوْا أَنَّهُم لَنْ يُتْرَكُوا منْ أَنْ يُسألوُا قَالُوا: يَاربِّ! أنْ تَرُدَّ أَرْوَاحنَا في أَجْسَادنَا حَتَّى نُقْتَلُ في سَبيلكَ مَرةً أُخْرَى فَلَمَّا رأى أنْ لَيْسَ لَهُم حَاجَة تُركُوا»[٣]

ولذلك قال النبي ﷺ لجابر بن عبد الله: « أَلاَ أُخْبِرُكَ مَا قَالَ اللَّهُ لأَبيكَ» قال بلى، قال: «مَا كلَّمَ اللهُ أحدًا إلاَّ منْ وراء حجاب وكلَّم أباكَ

---

(١) رواه مسلم رقم (١٩١٣) في الإمارة ،باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل، والترمذى رقم (١٦٦٥) في فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الرباط، والنسائي (٦/٣٩) في الجهاد، باب فضل الرباط، وإسناده صحيح، وقال الترمذي حسن صحيح.

(٢) رواه البخاري رقم (٢٨٠٣) في الجهاد ،باب من يجرح في سبيل الله، ومسلم رقم (١٨٧٦) في الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، والموطأ (٢/٤٦١) في الجهاد، باب الشهداء في سبيل الله ،والترمذي رقم (١٦٥٦) في فضل الجهاد ،باب ما جاء فيمن يكلم في سبيل الله، والنسائي (٦/٢٨) في الجهاد ،باب من كلم في سبيل الله.

(٣) رواه مسلم رقم (١٨٨٧) في الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنةوأنهم أحياء عند ربهم يرزقون .

كفَاحًا» فقال: «يَا عبدي تمنَّ عليّ أعْطكَ، قال يَاربِّ تُحْيِيني فَأُقْتَلُ فيكَ ثَانيةً، فَقَالَ إنَّه سَبقَ منِّي أنهُم إليْهَا لَا يرجعون، قالَ: ياربِّ فَأبْلغْ مَنْ ورَائي». فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

ومن أجل هذا كله ورد في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ ولَمْ يغْزُ ولَمْ يُحدِّثْ نَفْسَهُ بالغزو مَاتَ علَى شُعْبَة منْ نفَاق»[1]

وأكتفي بهذا القدر من الأحاديث وإلا فهي كثيرة.

وأختم بهذه الأبيات المعبرة التي تبين شرف الجهاد وفضله.

والتي أرسل بها الإمام المجاهد العلم عبد الله بن المبارك لأخيه القانت الزاهد الورع عابد الحرمين الفضيل بن عياض يذكره فيها بشرف الجهاد في سبيل الله فيقول:

يَا عَابدَ الحَرمَيْن لَوْ أَبْصَرْتَنَا ... لَعَلمتَ أنَّكَ في العبَادة تَلْعَبُ

مَنْ كَانَ يَخْضُبُ خَدَّهُ بدمُوعه ... فَنُحُورنَا بدمَائنَا تَتَخَضَّبُ

أوَ كَانَ يُتْعبُ خَيْلَهُ في بَاطلٍ ... فَخُيولنَا يَومَ الصَّبيحة تتعَبُ

ريحُ العَبير لَكُمْ ونَحْنُ عَبيرُنَا ... وَهَجُ السَّنَابك والغُبَارُ الأطيَبُ

ولَقَدْ أتَانَا منْ مَقَال نَبيِّنَا ... قَولٌ صَحيحٌ صَادقٌ لا يَكْذبُ

لاَ يَسْتَوي غُبَارُ خَيْل اللَّه في ... أنْف امْرئٍ ودُخَانُ نَار تَلْهَبُ

هذَا كتَابُ اللَّه يَنْطقُ بَيْنَنَا ... لَيسَ الشَّهيدُ بميِّت لاَ يَكْذبُ

(١)رواه مسلم رقم (١٩١٠) في الإمارة، باب ذم من مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بالغزو، وأبو داود رقم (٢٥٠٢) في الجهاد، باب كراهية ترك الغزو، والنسائي (٦ / ٨) في الجهاد باب التشديد في ترك الجهاد، وأخرجه أحمد في مسنده (٣ / ٣٧٤).

رابعًا: وجوب الثبات في الجهاد:

ولما كان هذا هو شرف الجهاد وفـضله أمر الله جل وعلا بالثبات أثناء الزحف للقاء الكفار والمشركين.

لأن قلب المؤمن ينبغي أن يكون راسخـاً ثابتاً لا تهزمه في الأرض قوة ما دام موصولا بالله القوي العزيز : ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١]

ويجب أن يكون هذا القلبُ كذلك على يقين أن الآجـال بيد الله، وأن واهب الحيـاة هو الله ،وأنه إلى الله إن عاش حـيًّـا، إلى الـله إن كتـبت له الشهـادة، ومن ثم جاء هذا الأمـر الرباني الكريم بالثـبات والصبر والذكر ، والذل لله والطاعة وعدم الكبر، وعدم التنازع فقال سبحانه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٧]

فهذه هي العوامل الحقيقية للنصر:

- ❊ الثبات عند لقاء العدو.
- ❊ كثرة الذكر لله عز وجل
- ❊ الطاعة لله والرسول ﷺ

* البعد عن النزاع والخلاف.
* الصبر على تكاليف المعركة.
* الحذر من البطر والرئاء والبغي.

واستجاب الصحبُ الكرام الذين رباهم سيد الأنام:عليه الصلاة والسلام لهذا الأمر الرباني الكريم.

وضربوا أروع الأمثلة في الثبات في ساحة الوغى وميدان البطولة والشرف حينما تصمت الألسنة الطويلة،وتخطب السيوف والرماح على منابر الرقاب،وأكتفي بهذا المشهد الكريم لأنس بن النضر الذي صرخ في الناس يوم أحد لما أشيع الخبر بأن رسول الله ﷺ قد مات،وبدأ الجيش ينسحب راجعا إلى المدينة معتقدا أن أمر هذا الدين قد انتهى.

قام أنس ليقول: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمين - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين -.

ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ فقال:أين يا أبا عمرو فقال أنس:واهاً لريح الجنة يا سعد،إني أجده دون أحد،ثم مضى فقاتل القوم حتى قتل فما عرف حتى عرفته أخته ببنانه وبه بضع وثمانون ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورميةٍ بسهم!!والحديث رواه البخاري ومسلم من حديث أنس[1]

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٨٠٥) في الجهاد والسير ،باب قول الله عز وجل: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾ [الأحزاب: ٣٢]، ومسلم رقم (١٩٠٣) من حديث أنس بن مالك في الإمارة باب ثبوت الجنة للشهيد.

خامسا : التولي يوم الزحف كبيرة من الكبائر:

وبعد هذا الأمر بالثبات يأتي الأمر بعدم الفرار إلا في حالتين اثنتين وإلا فإن الفـرار من أرض المعركـة كبـيرة من كـبائر الذنوب تسـتحق غضب الله ونار جهنم والعياذ بالله.

فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾

[الأنفال: ١٥، ١٦]

والتحرف: هو ترك الموقف أو المكان إلى موقف أو مكان أصلح أو أفضل لـلانطلاق منه على العدو مـرة أخرى، وهذا من خُـدع الحرب ومكائدها.

والتحـيز: هو الانضمام إلى فـئة أخرى لمعاونتـهم أولطلب العون منهم.

وهكذا دلت الآية على أن من فر من موقع إلى مـوقع آخر لمعاودة القتال أو مريداً التحيـز إلى فئة أخرى من المسلمين فإنه لا يكون داخلا في هذا الوعيد الشديد اللاحق بالفارين من الزحف.

وقد ذهب بعض أهل العلـم إلى أن الفرار من الزحف ليس كبـيرة من الكبائر .

واحتجوا لذلك بأن الآية نزلت في أهل بدر خاصة.

وزعم بعضهم أن الآية منسوخة بقوله تعالى:

﴿ الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٦]

فأجاز هؤلاء الفرار إذا زاد عدد الأعداء عن الضعف .

ولكن جمهور أهل العلم ذهبوا إلى أن الآية محكمة عامة كما يقول الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى :

وأولى التأويلين عندي قول من قال: حكم الآية محكم ،وأنها نزلت في أهل بدر وحكمها ثابت في جميع المؤمنين.

وأن الله حرم على المؤمنين إذا لقوا العدو أن يولوهم الأدبار منهزمين إلا لتحرف لقتال ،أو لتحيز إلى فئة من المؤمنين حيث كانت من أرض الإسلام .

وأن من ولاهم الدبر بعد الزحف للقتال منهزما بغير نية إحدى هاتين الخصلتين اللتين أباح الله التولية بهما ،فقد استوجب من الله وعيده إلا أن يتفضل عليه بعفوه.

وذكر الحافظ ابن كثير بأن الآية نزلت في أهل بدر ،ولكن هذا كله لا ينفي أن يكون الفرار من الزحف حراماً على غير أهل بدر،وإن كان سبب نزولها فيهم كما دل عليه حديث أبي هريرة من أن الفرار من الزحف من الموبقات كما هو مذهب الجماهير.

وأخيراً: لا عز إلا بالجهاد :

والله ما ضعفت الأمة وذلت وهانت إلا يوم أن ضيعت الجهاد الذي أمرها به لتعيش عزيزة حميدة أو لتلقى الله شهيدة سعيدة.

والله ما ضاعـت الأمة إلا يوم أن ضيعت الجهـاد الذي جعله النبي ﷺ ذروة سنام هذا الدين.

وقد حرص أعداؤنا على أن يحولوا بين الأمة وبين الجهاد !!

وحاولـوا بشتى الطرق على ألا نربي الأجـيال المسلمـة على روح الجهـاد، ولا على سيـر الأبطال المجاهدين؛ لتظل الأمـة ذليلة كسـيرة مبعثرة كالغنم في الليلة الشاتية الممطرة.

وبالفعل لقد تضاءل كثيراً مفهوم الجهاد في حس المسلمين يوما بعد يوم حـتى صارت الدعـوة إلى الجهـاد تقابل بشيء من الفـتور الـبارد الشديد .

بل لا أكون مغـاليا إن قلت حتى صارت الدعوة إلى الجـهاد تقابل بشيء من الإنكار الشديد.

والحمد لله : فقد أثبتت الأيام عمليا أن مجلس الأمن وهيئة الأمم وجميع المحافل لن تعيد للأمة المكلومة حقوقها ،ولن تعيد لمن يذبحون تذبيح الخراف دماءهم ،ولن ترد لهذه الأمة هويتها وكرامتها وسيادتها.

بل لا سبـيل لذلك على الإطلاق إلا بإحياء روح الجهـاد في الأمة بتخليص الـنفوس ابتداء من الركـون إلى هذا الوحل،والخلود إلى هذا التراب والطين.

وقد شـخص النبي ﷺ الداء تشخيصا دقـيقا وحدد الدواء كذلك تحديـدا دقيقـا ففي الحـديث الصحـيح الذي رواه أبو داود،وغيـره من حديث ثوبان أنه ﷺ قال:«**يُوشكُ الأُممُ أن تَدَاعَى عَلَيكُم، كَـمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِهَا**» فقال قائل: من قلة نحن يومئذ؟

قـال: « **بَلْ أَنْتمُ يَومَئذ كَثيرٌ، ولَكنَّكُمْ غُـثاءٌ كَغُثَاء السَّيْلِ، ولَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدوِّكُمْ المَهَابَةَ مِنْكُم، ولَيَقذِفَنَّ في قُلُوبِكُمُ الوَهَن**».

قيل: وما الوهن يا رسول الله؟

قال: «**حبُّ الدُّنْيَا، وكرَاهيةُ المَوْتِ**»(١)

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد ،وأبو داود من حديث ابن عمر ـ رضي اللـه ـ عنهما: « **إذا تَبَايَعتُم بالعينة، ورَضيتُمْ بالزَّرْعِ وتَبعتُم أذناب البقر، وترَكْتُمُ الجهَادَ في سبيلِ اللَّهِ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُم ذُلاًّ لا يَنْزِعُـهُ عَنكُم حتَّى تَرجِعُوا إلى دِيْنِكُمْ**»(٢).

أسأل الله العظيم أن يرفع علم الجهـاد ،ويقمع أهل الزيغ والفساد وإنه ولي ذلك والقادر عليه

. . . الدعاء

---

(١) رواه أبو داودرقم(٤٢٩٧) في الملاحم باب في تداعى الأمم على الإسـلام،وفي سنده أبو عبد السلام صالح بن رستم الهـامشي وهو مجهول،ولكـن رواه أحمد ٥/٢٧٨ من طريق آخر وسنده قوى، وصححه شيخنا الألباني رحمه الله في الصحيحة.

(٢) رواه أبو داود رقم (٣٤٦٢) في البـيوع باب في النهـى عن العينة ،وصـححـه شيـخنا الألباني في الصحيحة رقم (١١).

قذف المحصنات الغافلات المؤمنات

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾

[الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر

الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أحبتي في الله :

فهذا هو لقاؤنا الأخير مع السبع الموبقات التي حذر منها النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم، وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال:

«**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**» قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «**الشِّرْكُ بِاللَّهِ، والسِّحْرُ، وقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، وأَكْلُ الرِّبَا، وأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، والتَّولِّي يَومَ الزَّحفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الغَافِلاَتِ الْمُؤمِنات**»[(١)]

ونحن اليوم على موعد مع الكبيرة الأخيرة ألا وهي :

«قذف المحصنات الغافلات المؤمنات»

وحتى لا ينسحب بساط الوقت من تحت أقدامنا، فسوف ينتظم حديثي مع حضراتكم في العناصر التالية.

أولا : المعنى اللغوي.

ثانيا: شروط القذف وبما يثبت؟

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٧٦٦) في الوصايا ،باب قول الله تعالى: ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما**﴾ ،وفي الطب باب الشرك والسحر من الموبقات ،وفي المحاربين ،باب رمي المحصنات، ومسلم رقم (٨٩) في الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها، وأبو داود رقم (٢٨٧٤) في الوصايا، باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم، والنسائي(٦/ ٢٥٧) في الوصايا، باب اجتناب أكل مال اليتيم.

ثالثا: حكم القذف وعقوبته في الدنيا والآخرة.

رابعا: نموذج من القذف البشع.

وأخيرا: صور مشرقة.

فأعيروني القلوب والأسماع ،فإن هذا اللقاء من الأهمية بمكان.

أولا : المعنى اللغوي:

جاء في لسان العرب لابن منظور:

القذف هو: الرمي والسَّب.

ومعناه هنا: رمى المرأة بالزنا أو ما كان في معناه.

والمحصنات :جمع محصنة وهي المرأة المتزوجة.

والمُحْصَنَةُ،والمُحْـصِنةُ كذلك :هي المرأة العفيفة الـبعيدة عن الريبة والشك.

والغافلات: من الغفلة ،وهي الترك والسهو.

والغافلات: هن البريئات **الطوايا** المطمئنات النفس لأنهن لم يفعلن شيئا يحذرنه، ويخفن منه.

ثانيا : شروط القذف وبم يثبت :

إن القذف لا يصبح جريمة تستحق الجلد إلا بشروط، منها ما يجب توفره في القاذف، ومنها ما يجب توفره في المقذوف ،ومنها ما يجب توفره في الشيء المقذوف به.

الشروط التي يجب توفرها في القاذف وهي:

العقل والبلوغ والاختيار:

وهذه الشروط هي أصل التكليف، فإذا كان القاذف مجنونا أو صغيرا أو مُكْرها فلا حد عليه. لقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والحاكم وغيرهم من حديث عليّ وصحح الحديث شيخنا الألباني في صحيح الجامع أنه ﷺ قال: «**رُفِعَ القَلَمُ عنْ ثَلاث، عنِ النَّائمِ حتَّى يَسْتَيْقِظ، وعَنْ الصَّبي حَتَّى يَحْتلمَ، وعَنِ المجْنُون حَتَّى يُفيقَ**»

وفي لفظ «**عَنِ المَعْتُوهِ حَتَّى يَعْقِلَ**»(١)

ولقوله ﷺ في الحديث الذي رواه الطبراني عن ثوبان وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع أنه ﷺ قال: «**رُفِعَ**»، وفي لفظ «**وُضِعِ عنْ أُمَّتي الخطأُ والنِّسْيَانُ، وَما اسْتُكْرِهُوا عَليه**» (٢)

الشروط التي يجب توافرها في المقذوف وهي:

العقل.

البلوغ (أيضا) فلا يحد من قذف الصغير أو الصغيرة، ولكن الإمام مالك رحمه الله يقول: إذا قذف بنتا قبل البلوغ ولكنها من الممكن أن يزنى بها والعياذ بالله، فإنه يستحق الحد لأنه قد يفسد عليها مستقبلها ويؤذي أهلها.

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٣٩٩، ٤٤٠٠، ٤٤٠١) في الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب أحدا، واسناده حسن، وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٥١٣).

(٢) رواه الطبراني، وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع (٣٥١٥)، والإرواء (٨٢).

ولكن جمهور العلماء قالوا يُعَزَّر ،ولا حد عليه.

• **الإسلام** : أي أن يكون المقذوف مسلما.

• **العفة**: أي يكون المقذوف عفيفا بريئا من فعل الفاحشة التي رمي بها.

• **الحرية** : أي أن يكون المقذوف حرًّا، وإن كان قذف الحر للعبد محرماً.

لما رواه مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص أنه ﷺ قال:

«مَنْ قَذفَ مَـملُوكه بِالزِّنَا أُقِـيمَ عَليهِ الحـدُّ يَوْمَ القِيَـامةِ إلاَّ أنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ »(١)

ولما رواه البخـاري ومسلم من حديث أبى هريرة ،وهذا لفظ البـخاري في كتاب الحدود أنه ﷺ قال:

«مَنْ قَذفَ مَمْلُوكه وهُو بَريءٌ مِمَّا قَال جُلِدَ يَوْمَ القِيَامةِ إلاَّ أنْ يَكُونَ كَما قالَ» (٢)

الشروط التي يجب توافرها في المقذوف به وهي:

التصريح بالزنا أو التعريض الظـاهر الذي يفهم منه القذف ويستوي في ذلك القول والكتابة.

---

(١) رواه مسلم رقم (١٦٦٠) في الإيمـان،باب التغليظ على من قذف مملـوكه بالزنا، وأبو داود رقم (٥١٦٥) في الأدب،باب في حق المملـوك،والترمـذي رقم (١٩٤٠) في البـر والصلة،باب النهي عن ضرب الخدم وشتمهم.

(٢) رواه البخاري رقم (٦٨٥٨) في الحدود ،باب قذف العبيد.

ويثبت حد القذف بأحد أمرين:

- إما بإقرار القاذف نفسه.
- أو بشهادة الشهود عليه.

ثالثا حكم القذف وعقوبته في الدنيا والآخرة.

أحبتي في الله :

إن الإسلام منهج حياة متكامل لا يقوم أساسا على العقوبة ،إنما يقوم على توفير أسباب الحياة النظيفة ،وتحقيق الضمانات والوقاية .

ثم يعاقب بعد ذلك من يدع الأخذ بهذه الأسباب الميسرة والضمانات الأمنية ليتمرغ في أحوال المعصية طائعاً مختارا أو غير مضطر.

ومن ثم يشدد الإسلام في عقوبة القذف هذا التشديد ويتوعد عليها بأشد الوعيد ،لأن ترك الألسنة تلقي التهم جزافا بدون بينة أو دليل يترك المجال فسيحًا لكل من شاء أن يقذف من شاء بتلك التهمة النكراء،ثم يمضي آمنا مطمئنا فتصبح الجماعة وتمسي،وإذا أعراضها مجرحة وسمعتها ملوثة.

وإذا كل فرد فيها متهم ومهدد بالاتهام !!

وإذا كل زوج فيها يشك في زوجه !!

وكل رجل فيها يشك في أصله!!

وكل بيت فيها مهدد بالانهيار !!

وهي حالة من الشك،والقلق والريبة لا تطاق!! (١)

---

(١) الظلال (٢٤٩٠ / ٤)

ومن هنا . . . صيانة للأعراض وحماية للمجتمع، شدد الإسلام في عقوبة القذف .

وأوجب على القاذف إذا لم يقم البينة ثلاثة أحكام وهي:

الأول: أن يجلد ثمانين جلدة.

الثاني: أن ترد شهادته أبدا.

الثـالث: أن يصبح فاسـقا ليس بعدل لا عند الله ،ولا عند الناس وهذا كـلام متـفق عليـه بين العلماء ،مـالم يتب القـاذف إلى الله جل وعلا.

وهذه الأحكام الثـلاثة نصت عليها آية مـحكمة واحـدة من سورة النور قال الله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٤، ٥]

أخرج أحمد وعـبد الرزاق وأبو داود ،وابن جرير ،وابن المنذر وابن أبي حاتم ،وابن مردوية عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال:

لما نزلت هذه الآية قال سعد بن عبادة سيد الأنصار ـ رضي الله عنه ـ أهكذا أنزلت يا رسول الله؟!

فقال رسول الله ﷺ :

«يَا مَعشَرَ الأَنْصَارِ أَلاَ تَسْمَعُون مَا يَقُولُ سَيِّدُكُم؟»

فقالوا: يا رسـول الله لا تلمه فإنه رجل غيـور، والله ما تزوج امرأة قط

إلا بكرا ،وما طلق امرأة قط فاجترأ رجل منّا على أن يتزوجها من شدة غيرته .

فقال سعد بـن عبادة ـ رضي الله عنه ـ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إني لأعلم أنها لحق ،وأنها من الله،ولكني تعجبت أني لو وجدت (لُكاعًا) ـ أي امرأته ـ قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أحركه حتى يأتى بأربعة شهداء فوالله لا آتي بهم إلا وقد قضى حاجته»[1]

وفي رواية البخاري ومسلم من حديث المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ أن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال :

لو رأيت رجلا مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح،فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: **«أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيرة سَعْد؟ واللَّه لأنَا أغْيَرُ منهُ واللَّهُ أغْيَر منِّي، ومنْ أَجْلِ غَيرةِ اللَّه حَرَّمَ الفَوَاحشَ مَا ظَهَر منهَا ومَا بَطَنَ»**[2] .

وبالفعل لم يلبثوا إلا يسيرا ،وقد وقع ما ذكره سعد بن عبادة ـ رضي الله عنه ـ .

ففي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم ،وأحمد من غيرهم من

---

(١)رواه مسلم رقم (١٤٩٨) في اللعان في فاتحته، والموطأ (٢/٧٣٧) في الأقضية،باب القضاء فيمن وجد مع امرأته رجلا،وأبو داود رقم (٤٥٣٢) في الديات،باب فيمن وجد مع أهله رجلا أيقتله؟

(٢)رواه البخاري رقم (٦٨٤٦) في المحاربين ،باب من رأى مع امرأته رجلا فقتله،وفى التوحيد ،باب لاشخص أغير من الله،ورواه أيضا تعليقا (٩/٢٧٩) في النكاح ،باب الغيرة،ومسلم رقم (١٤٩٩) في اللعان في فاتحته.

حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال:

فما لبثـوا إلايسيرا حتى جاء هلال بن أمية من أرضه عـشاءً فوجد عند امرأته رجلا يزني بها يقال له شريك بن سحماء، فرأى هلال بن أمية بعينيه، وسمـع بأذنيه فلم يهيجه، حتى أصبح فـغدا على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنى جئت على أهلي عشاء فوجدت عندها رجلا فرأيت بعينى وسمعت بأذني!!

فكره رســـول الله ﷺ ما جـاء به واشتد عليـه واجتمـعت عليه الأنصار، وقالوا: قد ابتلينا بما قال سعد بن عبادة .

وهكذا أيهـا الأحبـة قذف هلال بن أمـيـة زوجتـه عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء.

فقال النبي ﷺ: «**البَيِّنَةُ أَوْ حدٌّ في ظَهْرِكَ**»

فقال هلال: يا رسول الله إذا رأى أحـدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة؟

فجعل النبي ﷺ يقول: «**البَيِّنَةُ أَوْ حدٌّ في ظَهْرِكَ**»

فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لـصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحدِّ!

يقول ابن عباس: فوالله إن رسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربة إذ أنزل الله على رسوله الـوحي، وكان إذا نزل عليه الوحي عـرفوا ذلك فأمسكوا حتى فرغ من الوحي.

فنزل قوله تعالى(*) :

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۝٦ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٧ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٨ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝٩ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٦-١٠].

(*)قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري:

كذا في هذه الرواية أن آيات اللعان نزلت في قصة هلال بن أمية، وفي حديث سعد الماضي (٤٧٤٩)أنها نزلت في عويمر، ولفظه « فجاء عويمر فقال: يا رسول الله، رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه، أم كيف يصنع؟فقال رسول الله ﷺ: **قد أنزل الله فيك وفى صاحبتك فأمرهما بالملاعنة**».

وقد اختلف الأئمة في هذا الموضوع: فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر، فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال وصادف مجيء عويمر أيضا فنزلت في شأنهما معا في وقت واحد.

وقد جنح النووي إلى هذا، وسبقه الخطيب فقال: لعلهما اتفق كونهما جاءا في وقت واحد.

ثم قال الحافظ: ولا مانع أن تعدد القصص ويتحد النزول، ويحتمل أن النزول سبق بسبب هلال، فلما جاء عويمر ولم يكن يعلم بما وقع لهلال أعلمه النبى ﷺ بالحكم، ولهذا قال في قصة هلال « فنزل جبريل »، وفي قصة عويمر « قد أنزل الله فيك» فيؤول قوله قد أنزل الله فيك أى وفيمن كان مثلك، وأما قوله لعويمر: «وقد أنزل فيك وفى صاحبتك» فمعناه ما نزل في قصة هلال، ويؤيده أنه في حديث أنس عند أبي يعلى قال: « أول لعان كان في الإسلام أن شريك بن سمحاء قذفه هلال بن أمية بامرأته. اهـ. [فتح الباري ٨/٣٠٤، ٣٠٥ ط دار الريان للتراث بالقاهرة].

فَسُرِّيَ عن رسول الله ﷺ وقال:

«أَبْشِرْ يَا هِلالُ فَلَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكَ فَرَجًا ومَخْرَجًا»

فقال هلال: قد كنت أرجو ذلك من ربي عز وجل فقال رسول الله ﷺ: **«أَرْسِلُوا إِلَيْهَا»** فجاءت.

فتلا النبي ﷺ عليهما الآيات فذكرهما وأخبرهما أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا.

فقال هلال: والله يارسول الله لقد صدقت.

فقالت زوجته: كذب.

فقال رسول الله: « **لاَعِنُوا بَيْنَهُما** »

فقيل لهلال: اشهد فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين.

فلما كانت الخامسة: قيل ياهلال اتق الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب .

فقال هلال: والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها.

فشهد في الخامسة: أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين .

ثم قيل للمرأة اشهدي أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين.

وقيل لها عند الخامسة: اتق الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وأن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب.

فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف.

ثم قالت: والله لا أفضح قومي.

فشهدت في الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين!!

فَفَرَّق رسول الله ﷺ بينهما وقضى بأن الولد لها ولا يدعى لأب ولا يرمى ولدها.

ثم قال رسول الله ﷺ: « **إنْ جَاءتْ به** «أي بولدها» **أَكْحل العَيْنَين سَابغ الألْيَتَيْنِ خَدلَّج السَّاقَين فَهُو لِشَرِيك بْن سَحْماءَ**»

فجاءت به كذلك. فقال رسول الله ﷺ: «**لَوْلاَ مَا مَضَى مِنْ كِتَاب اللَّه لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأنٌ**» (١).

وثبت أيضاً في الصحيحين من حديث سهل بن سعد الساعدي أن آيات اللعان نزلت في عُويمر العجلاني.

ويتبين لنا أيها الأحبة أن اللعان بمنزلة البينة للرجل الذي رأى مع امرأته رجلاً ولا يمكنه أن يأتي بالبينة.

ويترتب على اللعان الأحكام التالية:

أولاً: الفرقة بين الرجل وزوجته.

ثانيا: تحرم عليه تحريما أبديا.

ثالثا: ينتفي عنه النسب فلا ينسب الولد إليه.

رابعا: يسقط عنه حد القذف.

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٧٤٧) في التفسير سورة النور، باب « ويدرأعنها العذاب » وفي الشهادات، باب إذا ادعي أو قذف فله أن يلتمس البينة، وفي الطلاق، باب يبدأ الرجل بالتلاعن، وأبو داود رقم(٢٢٥٤) في الطلاق، باب في اللعان والترمذي رقم (٣١٧٨) في التفسير باب ومن سورة النور.

خامسا: وجب على المرأة الرجم.

فإذا لاعنت الزوجة أيضاً وشهدت أربع شهادات بالله أن زوجها لمن الكاذبين، ثم قالت في الخامسة أن غـضب الله عليها إن كان زوجها من الصادقين فيما رماها به.

فإنه لا يتعلق بلعانها إلا حكم واحد وهو سقوط الحد عنها.

هذا هو حكم القذف. وهذه هي عقوبة القاذف في الدنيا .

أما عقوبته في الآخرة فإنها والله لقاسية يقول الله عز وجل:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٣-٢٥]

رابعا: نموذج من القذف البشع

من هذه النماذج البـشعة مـا حدث للطاهرة العفـيفة . . الحـصان الرزان الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها !!

وتعـالوا بنا أيها الأحـباب نسـتمع إلى القـصة كـما ترويهـا أُمنا أم المؤمنين عائشة تقول رضي الله عنها وأرضاها:

كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفراً أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه.

قالت: فأقرع بيننا في غزاة غزاها فخرج فـيها سهمي فخرجت معه بعدما أنزل الحجاب وأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه.

فسرنا حتى إذا فرغ رسول اللَّه ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت من شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع أظفار وفي رواية: جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه.

وأقبل الرهط الذي كانوا يرحلون لي فاحتملوا هودجي فرحلوا على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلن ولم يغشهن، اللحم وإنما يأكلن اللعقة من الطعام فلم يستنكر القوم حين رفعوه ثقل الهودج فحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا.

فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منزلهم وليس فيه أحد فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إليّ.

فبينما أنا جالسة غلبتني عيناي فنمت .

وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكواني عرس من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني.

وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي والله ما كلمني بكلمه ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه .

وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش. قالت: فهلك من هلك في شأني وكان الذي

تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي بن سلول .

والحديث بطوله رواه البخاري ،ومسلم وغيرهما.

وفي بعض الروايات أن عبد الله بن أبي بن سلول لما رأى صفوان ابن المعطل ـ رضي اللَّه عنه ـ جاء مقبلاً يجر الراحلة بهودج أم المؤمنين رضي الله عنها .

قال رأس النفاق: من هذا ؟

قالوا: عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

فقال رأس النفاق : والله ما نجت منه ولا نجا منها!!

ثم قال ـ وبئس ما قال ـ امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها.

يا لها من قولة خبيثة . . يا لها من قولة شديدة آثمة وطير المنافق هذه القولة وتناولتها عصابات النفاق . . وسقط في الهاوية بعض المسلمين ولاكت ألسنتهم هذه الفرية المرعبة !!

وماجت المدينة المطهرة بهذا الخبر الأليم شهراً كاملا !!

الله أكبر . . رسول اللَّه ﷺ يرمى في بيته ؟! . . وفي مَنْ ؟!!

في عائشة التي أحبها من كل قلبه!!

رسول اللَّه ﷺ يرمى في طهارة فراشه وهو الطاهر الذي فاضت طهارته على العالمين !!

رسول الله ﷺ يرمى في صيانة حرمته وهو القائم على صيانة الحرمات في أمته !!

ها هو رسول اللَّه ﷺ يرمى في كل شئ حين يرمى في عائشة !!

يرمى في فراشه !! يرمى في شرفه !! يرمى في قلبه !! يرمى في رسالته !!

ولحكمة يعلمها اللطيف الخبير العليم يدع الله هذا الأمر شهراً كاملاً لا تنزل فيه آية على رسول الله ﷺ!!

ورسول الله ﷺ يتألم آلاماً تنوء الجبال الراسيات بحملها.

وها هي عـائشة الصـديقة الطـاهرة ترمى في أعز مـا تعتـز به أي امرأة!! ترمى في شرفها وهي التي تربت في العش الطاهر الرفيع !!

ترمى في إيمانها وهي الزهرة التي تفتحت في حقل الإسلام وبستان الوحي!! وعلى يد مَنْ ؟!

على يد سيد البشر محمد ﷺ.

وها هو أبو بكر الصديق يحطمه الألم وهو يرمى في عرضه !!

وفي من ؟! في ابنتـه زوج رسـول الله ﷺ صاحبـه وحبيبـه ونبيه ورسوله الذي آمن به وصدقه.

ولكنه الصابر المحتسب القوي على آلامه وجراحه.

فيقول بمرارة مريرة:

والله ما رمينا بهذا في الجاهلية أفنرضي به في الإسلام !!

وها هو الصـحابى الجـليل الطيب الطاهر المجـاهد في سبـيل الله صفوان بن المعطل يرمى بخيانة نبيه في زوجه !!

فيرمى بذلك في إسلامه وفي أمانته وفي شرفه!!

اللَّه أكبر . . إنها خطورة الكلمة !!

ونعود إلى أمنا أم المؤمنين الصديقة الطاهرة الشريفة العفيفة عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ عندما علمت أن الناس تكلموا فيها وفي عرضها تقول: فقلت: سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا ؟! أي بالإفك.

قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي.

فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي[1] يشيرهما في فراق أهله.

قالت: فأما أسامة فأشار عليه بما يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه من الود لهم.

فقال أسامة: هم أهلك [2] يارسول الله ولا نعلم والله إلا خيراً .

وأما علي بن أبي طالب فقال: يارسول الله لم يضيق اللَّه عليك والنساء سواها كثير [3]

قالت: وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم بكيت ليلتى المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، حتى أظن أن البكاء فالق كبدي.

---

(١) قال الحافظ في الفتح: قوله استلبث الوحي بالرفع أي طال لبث نزوله وبالنصب أي استبطأ النبي ﷺ نزول الوحي.

(٢) قال الحافظ في الفتح : هم أهلك أي العفيفة اللائقة بك، وإطلاق الأهل على الزوجة شائع.

(٣) قال الكرماني :وإنما قال علي رضي الله عنه ذلك تسهيلا للأمر على رسول الله ﷺ وإزالة لما هو ملتبس به، وتخفيفا لما شاهد فيه ، لا عداوة لها حاشاهم عن ذلك.

قالت: فبينما أبواي جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي.

فبينما نحن كذلك إذ دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس.

قالت: ولم يجلس عندي من يوم قيل له ما قيل ؟

وقد مكث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء.

قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال:

«أَمَّا بَعدُ يَا عَائشةُ فإنَّه بَلَغَني عَنْك كذَا وكَذا فَإنْ كُنْت بَريئة فَسَيُبرِّئك اللهُ وإن كُنت أَلْمَمْتَ بذَنب فَاسْتَغْفري اللهَ وتُوبي إليْه فإنَّ العَبْدَ إذَا اعْتَرفَ بِذَنْبِه ثُمَّ تَاب، تَابَ اللَّهُ عَلَيْه»[1]

فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس عنه قطرة فقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال!!

قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فيما قال!!

فقلت لأمي : أجيبي عني رسول الله ﷺ فيما قال .

قالت : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ!!

قالت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن

فقلت: إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما تحدث الناس به حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أني

---

(١) قال الداودي أمرها بالاعتراف ولم يندبها إلى الكتمان. للفرق بين أزواج النبي ﷺ وغيرهن فيجب على أزواجه الاعتراف بما يقع منهن ،ولا يكتمنه إياه ،لأنه لا يحل لنبي إمساك من يقع منها ذلك بخلاف نساء الناس فإنهن يندبن إلى الستر.

بريئة لا تصدقوني بذلك ولئن أعـترف لكم بأمر والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني فوالله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف إذ قال:

﴿ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨] .

ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا واللَّه حينئذ أعلم أني بريئة وأن اللَّه مبرئي ببرائتي .

ولكن والله ما كنت أظن أن الله ينزل في شأني وحيًّا يتلى، ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم الله بالقرآن في أمري .

ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني اللَّه بها قالت: فوالله ما رام [١] رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيـت حتى أنزل اللَّه على نبـيه ﷺ، فأخـذه ما كـان يأخذه من البرحاء[٢] حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم شاتٍ من ثقل القول الذي أنزل عليه.

قالت: فَسُـرِّي عن رسول الله ﷺ وهو يضحك وكـان أول كلمة تكلم بها أن قال لي: يا عائشة احمدي اللَّه .

ومن الرواة من قال: أبشري يا عائشة أما اللَّه فقد برأك .

فقالت لي أمي: قومي إلى رسول الله ﷺ.

فقلت: لا واللَّه لا أقوم إليه ولا أحمد إلا اللَّه هو الذي أنزل براءتي فأنزل الله عـزوجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ

(١) مارام : ما فارق

(٢) البرحاء: هى شدة الحمى.

شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ⦃١١⦄ لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ⦃١٢⦄ لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ⦃١٣⦄ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ⦃١٤⦄ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ⦃١٥⦄ وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ⦃١٦⦄ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ⦃١٧⦄ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ⦃١٨⦄ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾» [1]

[النور: ١١-١٩]

في مقابل هذه الصورة القاتمة البشعة (صورة الإفك) نرى هذه الصورة المشرقة الوضيئة.

إنه الفتى الذي لم يجاوز العاشرة من عمره إلا قليلاً .

إنه عمير بن سعد الذي مات أبوه وتزوجت أمه برجل ثري يقال له: الجلاس بن سويد الذي أحب عميرًا حبًّا شديدًا.

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٦٦١) في الشهادات باب تعديل النساء بعضهن بعضا ،ورواه أيضا في الجهاد ،وفي المغازي،وفي التفسير وفي الاعتصام وفي التوحيد،ورواه مسلم رقم (٢٧٧٠) في التوبة باب حديث الإفك ،وقبول توبة القاذف،والترمذي رقم (٣١٧٩) في التفسير باب ،ومن سورة النور،والنسائي (١٦٣/١،١٦٤) في الطهارة ،باب بدء التيمم.

وفي السنة التـاسعة لـلهجرة أمـر النبي ﷺ المسلمين أن يسـتـعـدوا ويتجهزوا لغزوة تبوك وتسـابق المؤمنون الصادقون وتكاسل المنافقون وذهب الفتى المؤمن عـمير بن سـعد ليـقص على الجلاس ما رأى ومـا سمع من المؤمنين الصادقين الذين راحوا يبذلون كل ما يملكون لرسول الله ﷺ.

وإذ بالجلاس ينطق بعبارة تخرجـه من الإسلام دفعة واحدة وتدخله في الكفـر من أوسع أبوابه فلقد قـال الجلاس لعمـير: إن كـان محـمد صادقاً فيما يدعيه فنحن شر من الحمير!!!

فالتفت الفتى المؤمن عمير بن سعد إلى الجلاس وقال:

والله ما كان على ظهر الأرض أحد بعد رسول الله ﷺ أحب إليّ منك فأنت آثر الناس عندي وأجلـهم علي ولقد قلت مقالة إن ذكـرتها فضحتك وإن أخـفيتها خُنْتُ أمانتي وأهلكت نفـسي وديني وقد عزمت على أن أمضـي إلى رسول الله ﷺ وأخبره بما قلت فكن على بينة من أمرك. ومشى عميـر بن سعد وأخبر النبي ﷺ بما سمع من الجلاس بن سويد. فـاستـبقـاه الرسول ﷺ عنده وأرسل أحـد أصحـابه ليدعـو له الجلاس فجاء الجلاس وحيًّا النبي ﷺ وجلس بين يديه.

فقال النبي ﷺ: «**مَا مَقَالةٌ سَمِعَهَا مِنْكَ عُمير بْنُ سَعد؟!**»

وذكر له النبي ﷺ ما قال. فقال الجلاس : كذب علي يا رسول اللَّه وافتـرى !! فما تفوهت بشيء من ذلك وإنـي أحلف بالله أني ما قلت شيئا مما نقله لك عـمير!! والتفت الرسول ﷺ إلى عميـر فرأى وجهه وقد احتقن بالدم والدموع تنحدر مدراراً من عـينيه فتتساقط على خديه وصدره، وهو يقول: اللهم أنزل على نبيك بيان ما تكلمت به.

واستـجاب الله دعـوة هذا الفتى المؤمن فـغشيـت رسول الله ﷺ

السكينة فعرفوا أنه الوحي فلزموا أماكنهم وسكنت جوارحهم ولاذوا بالصمت ،وتعلقت أبصارهم بالنبي ﷺ يتلو قول الله عز وجل:

﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ٧٤]

فارتعد الجلاس من هول ما سمع،وظل يصرخ: بل أتوب يا رسول الله!! بل أتوب يا رسول الله!! صدق عمير يا رسول الله وكنت من الكاذبين!!

وهنا توجه النبي ﷺ إلى الفتى البار ... إلى الفتى الصادق عمير ابن سعد ودموع الفرح تبلل وجهه المشرق بنور الإيمان،فمد الرسول الكريم يده الشريفة إلى أذن عمير وأمسكها برفق وقال: «**وَفَّتْ أُذُنُكَ مَا سَمِعَتْ وصَدَّقَكَ رَبُّكَ يَا عُمَيْرُ**»[1]

أسأل الله جل وعلا أن يسترنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض...

... الدعاء

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور مختصرا وعزاه إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن أبي شيبة،وابن إسحاق وغيرهم، انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٣٧١)ط. دار التراث بالقاهرة.



الجزء السادس

دار ابن رجب

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع : ٧٦٢٦ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولي : 6 -057-390-977

دار ابن رجب طبع. نشر. توزيع

فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٢٣٦٨٠٠٢
المنصورة : شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨



الوقت هو الحياة



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

أحبتي في الله :

تقبل علينا اختبارات آخر العام، فترفع البيوت حالة الطوارئ إلى أقصى درجة !!

فإذا ما أنهى أبناؤنا الاختبارات عادت البيوت مرة أخرى إلى حالة من الفراغ والارتخاء قاتلة !!

وترى قليلا من البيوت هي التي تعرف قدر الوقت وقيمة العمر فإذا ما أقبلت الأجازة الصيفية استغلوا هذا الوقت استغلالاً طيباً لأبنائهم فيما يعود عليهم بالنفع في الدنيا والآخرة، فأحببت مع إقبال الأجازة الصيفية علينا أن أذكِّر نفسى وآبائي وإخواني بقيمة الوقت وشرف الزمان لذا فإن لقاءنا اليوم مع حضراتكم بعنوان :

« الوقت هو الحياة »

وكما تعودنا فسوف أركز الحديث مع حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية :

أولا : قيمة الوقت .

ثانيا : عوائق الاستفادة من الوقت .

ثالثا : كيف يطول عمرك .

وأخيرا : رسالة إلى القتلة .

فأعيروني القلوب والأسماع، والله أسأل أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب.

أولاً : الوقت هو الحياة :

أيها الأحبة الكرام: إن الوقت هو الحياة، والعاقل هو الذي يعرف قدر وقته وشرف زمانه، فلا يضيع ساعة واحدة من عمره إلا في خير للدنيا أو للآخرة.

فالوقت من أعظم نعَم الله، قال تعالى :

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]

وليلفت ربنا أنظارنا إلى قدر الوقت وقيمة الوقت أقسم بالوقت في آيات كثيرة من قرآنه .

فقال جل وعلا : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ [الليل: ١-٢]

وقال جل وعلا : ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١-٢]

وقال جل وعلا : ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣]

فالوقت هو العمر .. هو الحياة.

العاقل هو الذي يدرك شرف زمانه وقدر وقته ولا تراه في ساعة من عمره إلا منشغلاً إما بعمل نافع للدنيا وإما بعمل نافع للآخرة .

وها هو نبينا ﷺ يعلمنا أن الإنسان سيسأل عن ساعات عمره وعن أيام عمره كما، في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي عن أبي برزة الأسلميَ رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال :

« لاَ تَزُولُ قَدَمَ عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ عَنْ عُمُرِه فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ جِسْمِه فِيمَا أَبْلاَهُ ».

وفي لفظ : « وَعَنْ شَبَابِه فِيمَا أَبْلاَهُ وَعَنْ مَالِه مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وفِيمَا أَنْفَقَهُ وَعَنْ عِلْمِه مَاذَا عَمِلَ فِيه »(١) .

(١) رواه الترمذي رقم (٢٤١٩) في صفة القيامة، باب رقم (١)، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع (٧٣٠٠) .

وهاهم سلفنا ـ رضوان الله ـ عليهم يعلمون كيف يكون الحرص على الوقت .

فها هو عبدالله بن مسعود ـ رضي الله ـ عنه يقول: ما ندمت على شيء كندمى على يوم غربت شمسه نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي.

ولله در القائل : إذا مر بي يومٌ ولم أقتبس هدىً . . ولم أستفد علماً فما ذاك من عمري.

ويزداد الأمر خطراً إذا علمنا أن من أهم خصائص الوقت أنه يمر مَرَّ السحاب ويجري جري الرياح ،الأيام تمر والأشهر تجرى وراءها تسحب معها السنين وتمر خلفها الأعمار وتطوى حياة جيل بعد جيل .

وبين يدى الملك الجليل سيعلم الخاسرون الذين خسروا أنفسهم وضيعوا أوقاتهم وأعمارهم سيعلمون وكأنهم ما لبثوا في هذه الدنيا إلا ساعة :

﴿ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧) وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [المؤمنون : ١١٣ـ١١٨]

ومن أهم خصائص الوقت أيضاً، أنه إن مضى لا يعود أبداً ولا يعوض كان الحسن البصرى ـ رحمه الله ـ يقول: ما من يوم ينشق فجره إلا وهو ينادى بلسان الحال يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فاغتنمنى فإني لا أعود إلى يوم القيامة .

أيها الخيار : الوقت هو أغلى وأثمن رؤوس الأموال، ومع ذلك فإننا نرى كثـيراً من إخـواننا يقتلون الوقت قـتلاً بل ولا يقفـون على أخطر العوائق التي تحول بينهم وبين الاستفادة من أوقاتهم وأعمارهم وهذا هو عنصرنا الثاني من عناصر اللقاء :

« عوائق الاستفادة من الوقت »

العائق الأول : اتباع الهوى .

والهوى ملك ظلوم غشوم جهول يهـوي بصاحبه إلى الشر في الدنيا والهلاك في الآخرة.

يقول ابن عباس: ما ذكر الله الهوى في موضع من كتابه إلا وذمه قال تعالى: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ** ﴾ [الجاثية: ٢٣]

وحذر الله نبيًّا كريماً من أنبيائه من الهوى قال تعالى:

﴿ **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦)** ﴾ [ص: ٢٦]

وخاطب الله نبيه المصطفى ﷺ بقوله : ﴿ **وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨)** ﴾ [الكهف : ٢٨]

فالهوى يهوى بصاحبه إلى الشر في الدنيا والآخرة .

وفي الحديـث الذي رواه البزار والبـيهقـي والحاكم والحديـث حسن بمجموع طرقه من حديث أنس أن النبي ﷺ قال :

«ثَلاثٌ مُهْلِكَاتٌ وَثَلاثٌ مُنْجِيَاتٌ، أَمَّا الثَّلاثُ المُهْلِكَاتُ: فَشُحٌّ مُطَاعٌ وَهوىً مُتَّبَعٌ، وَإِعْجاب المَرءِ بِنَفْسِه،وأَمَّا الثلاثُ المُنْجِيَاتُ: فَخَشْيَةُ الله في السِّرِّ وَالعَلانِيَةِ وَالقَصْدُ في الفَقْرِ والغِنى والعَدْلُ في الغَضَبِ

والرِّضا»(١)

هذا هو طريق الهلاك وهذا هو طريق النجاة .

فلو انقاد الإنسان لهواه زين له جلسة الفارغين وجلسة البطالين وزين له تحلل المتحللين من أوامر رب العالمين .

ترى المسلم يقضي الساعات الطويلة على مقهي أو يقضى جُلَّ الليل أمام المسلسلات والأفلام وإن سألت واحداً ما السبب ؟!!

يقول لك :أضيع الوقت!!!

هو لا يدري أنه يقتل نفسه؛ لأن الإنسان مجموع أيام فإن انقضى يوم من أيامه استقبل به الآخرة واستدبر به الدنيا .

كما كان لقمان يقول لولده : أى بني إنك من يوم أن نزلت إلى الدنيا استدبرت الدنيا واستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تقبل عليها أقرب من دار تبتعد عنها .

فيا أيها المسلم: إن وقتك هو الحياة .. إن وقتك هو العمر .. فلا تضيع ساعة من عمرك إلا وأنت في خير للدنيا أو في خير للآخرة.

فالهوى من أخطر العوائق التي ستصرف العبد عن استثمار وقته فيما يرضي الله جل وعلا .

« **العائق الثاني : طول الأمل**» :

جميل أن تحمل أملاً في قلبك لتعمر الكون .. فالإنسان مفطور على حب الحياة، ولا ينكر ذلك إلا جاهل بالقرآن والسنة .

جميل أن أعيش في الدنيا وأنا أحمل الأمل في قلبي .

---

(١) حسنه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (١٨٠٢) وفى صحيح الجامع (٣٠٤٥) وقال رواه الطبرانى فى الأوسط عن ابن عمر .

أن أُعَمِّر بيتاً لأولادى وأن أصل إلى أعلى المناصب وأرقى الدرجات.

وأن أحصل الملايين من الأموال من الحلال الطيب .

هذا شيء جميل، لكن الخطر أن يـحول طول الأمل بينك وبين طاعة الله جل وعلا !!

فطول الأمل مع قتل الوقت وتضييع العمل مصيبة كبيرة ومرض عضال إن أصاب الإنســان شغله عن طاعـة الكبيـر المتعـال وفتنه بالدنيـا وأنساه الآخرة .

وفي لحظة يرى نفسه بين عسكر الموتى بين يدى الله جل وعلا: يتمنى الرجعة فيقال له : ﴿ **كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا** ﴾ [المؤمنون:١٠٠]

احذر طول الأمل، أن يحول بينك وبين طاعـة الله سبحانه، وأن يمنيك بكلمة سوف تفعل وسوف تفعل وسوف تفعل .

ولقد حذر النبي ﷺ من طول الأمل، فقال لابن عمر كما في صحيح البخاري رقم (٦٤١٣): « **كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ** ».

وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فـلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء .

هذا هو الفهم الحقيقي للأمل قال تعالى:

﴿ **ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾ [الحجر:٣]

قال القرطبي:

ذرهم يأكلوا ويتمتعـوا ويلههم الأمل أي يشغلهم الأمل عن طاعة الله جل وعلا.

وروى عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله ـ عنه أنه قال:

«اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً».

طول الأمل يمنيك، وفي زيارة لي في أمريكا لفت نظري رجل مسلم عربي جار للمسجد ولكنه ما دخل المسجد مرة !!!

قالوا :لقد مَنَّ الله عليه بالأموال ، ذكَّروه بالله ما تذكَّر !!! حذَّروه من النار فما خاف النار !!! ذكَّروه بكلام النبي المختار فما تحرك قلبه!!! : ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)﴾

[الأعراف: ١٧٩]

فذهبت إلى هذا الرجل رأيته يبيع الخمر في محله ويبيع لحم الخنزير فقلت له: يا أخي اتق الله ألست مسلماً، المسجد إلى جوارك ما خطوت إليه خطوة، وذكرت هذا المسكين بكلام الله تعالى وبحديث النبي عليه الصلاة والسلام .

قال: يا شيخ أعدك إن عدت إلى بلدي بعدما أحصل من المال ما أريد أن أبني لله مسجداً وأن أعكف فيه ولن أفارقه!!!

قلت له: أعطنى هذه الفرصة لأوقع لك هذا العقد بهذه الصورة بينك وبين ملك الموت!!!

هل ضمنت يا مسكين أن تعود إلى بلدك؟!!

قال: أُشهد الله ثم أشهدك أنني إذا أصبت بحالة إعياء وحالة صداع أضع ورقة الدولار من فئة المائة على رأسي فيطير الصداع والألم في الحال.

قلت: أنت عبد للدولار وأنت عبد للدرهم والدينار كما قال النبي المختار ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهمِ تَعِسَ عَبْدُ الدِّينارِ تَعِسَ وَانْتَكَسَ وَإِذَا

شيكَ فَلاَ انْتقَش»[1] .

« **العائق الثالث : الفراغ** »

وآه من الفراغ على شبابنا وأخواتنا !! آه من الفراغ وخطره !!

والفراغ نعمة من أجل النعم ونحن لا ندري !!

روى البخاري من حـديث ابن عباس أنه ﷺ قال: « **نِعْمَتَـانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَةُ والفَرَاغُ**»[2].

قال الحافظ ابن حجر : فمن استغل صحته وفراغه في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استغل صحته وفراغه في معصية الله فهو المغبون .

والفراغ أنواع:الفراغ القلبي، والفراغ النفسي، والفراغ العقلي .

الفراغ القلبي :

أن يفرغ القلب من الإيمان !! وهو أخطر أنواع الفراغ على الإطلاق.

إذا فرغ الـقلب من الإيمان فصـاحب هذا القلب ميت وإن تحـرك بين الأحياء فالقلب وعـاء الإيمان كما قال المصطفى ﷺفي حديث النعـمان الذي رواه الشيـخان وفـيه : « **أَلاَ وإنَّ فِي الجَسَد مُـضْغَـةٌ إِذَا صَلُحَتْ صلُحَ الجسَدُ كلُّهُ وإِذَا فَسَدتْ فسَدَ الجسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِي القَلْبُ**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٨٨٧) فى الجهاد والسير باب الحراسة في الغزو فى سبيل الله .

(٢)رواه البخاري رقم (٦٤١٢) في الرقاق في فاتحته والترمذي رقم (٢٣٠٥) في الزهد في فاتحته .

(٣)رواه البـخاري رقم (٥٢) في الإيمان، باب فـضل من اسـتبـرأ لدينه، وفي البيـوع ، باب الحلال بين والحرام بين وبيـنهما مشتـبهات ، ومسلم رقم (١٥٩٩) في المسـاقاة، باب أخذ الحـلال وترك الشـبهـات وأبو داود رقم (٣٣٢٩, ٣٣٣٠) في البـيـوع، باب في اجـتناب الشبهـات، والترمذي رقم (١٢٠٥) فيـفيالبيـوع، باب ما جاء فى ترك الشبهـات، والنسائي (٧/ ٢٤١) في البيوع ، باب اجتناب الشبهات في الكسب .

القلب هو الملك والأعضاء جنوده ورعاياه، فإن طاب الملك طاب الجنود والرعايا، وإن خبث الملك خبثت الجنود والرعايا .

فإن عمر القلب بالإيمان ما شعر الإنسان أبداً بالفراغ، لأنه في كل لحظة سيتلذذ بالأنس بالله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: مساكين والله أهل الدنيا خرجوا من الدنيا ولم يتذوقوا أطعم وأحلى ما فيها .

قيل : وما أطعم ما فيها ؟!

قال: ذكر الله والأنس بلقائه .

وفي الحديث الذي رواه أبو نعيم والديلمي وصححه الألباني من حديث عَلِيّ أن الحبيب النبي ﷺ قال:

« مَا منَ القُلُوبِ قَلْبٌ إلاَّ ولهُ سحَابَةٌ كَسَحَابة القَمَر فَبيْنَا القَمَرُ مُضِيء إذْ عَلَته سَحَابةٌ فأظْلَمَ فإذَا تَجلَّتْ عنهُ أَضَاءَ »[1] .

فكذلك نور الإيمان في القلب إن حجب نور الإيمان بسحائب الظلم والذنوب والمعاصي فتر الإنسان عن طاعة الله.

وفراغ القلب من الإيمان سيعرض القلب لكل أنواع الفتن لأن الفتن تعرض على القلوب كما قال ﷺ، والحديث رواه مسلم من حديث حذيفة قال المصطفى ﷺ :

«تُعْرَضُ الفِتَنُ عَلى القُلُوبِ كَعَرْضِ الحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْب أُشْرِبَها نُكتَتْ فيه نُكْتَةٌ سَوْداء وأيُّ قَلْبٍ أنكرَهَا نُكتَتْ فيه نُكْتَةٌ بَيْضاءٌ حتَّى تَعُودَ القُلُوبُ عَلى قَلْبَين قَلبٌ أَسْودٌ مُرْبَادًا كَالكُوزِ مُجَخيًا لايَعْرِفُ

(١) حسنه شيخنا الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٦٨٢) والصحيحة رقم (٢٢٦٨).

مَعْرُوفًا ولا يُنكرُ مُنكرًا إلاَّ ما أُشربَ منْ هَوَاهُ وَقَلْبٌ أبْيضٌ مثْلُ الصَّفَا لا تضُرُّه فتْنةٌ ما دامت السَّمَاوَاتُ والأَرضُ»(١) .

فالقلب وعاء الإيمان ومحط الفتن، فإذا فرغ القلب من الإيمان تعرض الإنسان لكل فتنة وتشربها في قلبه .

وعلاج الفراغ القلبي: بزيادة الإيمان، إذ أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي والذلات .

يقول عبدالله بن مسعـود : تفقد قلبك في ثلاثة مواطن، عند سماع القرآن وفي مجـالس الذكر والعلم، وفي وقت الخلوة بينك وبين ربك، فإن لم تجد قلبك في هذه المواطن فابحث عن قلبك فإنه لا قلب لك!!

فإن الـقلب يمرض والإنسان لا يدري وإن القلب يموت والإنـسان لا يدري.

إن الإنسان إذا مـرض قلبه بمرض من الأمراض العضـوية أسرعنا إلى الأطبـاء، وهذه فطرة لكـن القلب قـد يمرض بالشـهـوات وقـد يموت بالمعاصى والملذات وصاحبه لا يدري على الإطلاق!!!

يقـــول المصـــطفىﷺ كمـا في الصحـيحين من حديـث أبي موسى الأشـعـــري: «**مَـثَلُ الَّذي يَذْكُـرُ ربَّهُ والَّذي لاَ يَذْكُرُ ربَّـهُ كَمَـثَلِ الحيِّ وَالميِّت**»(٢) .

فالذاكر لله حي وإن حبست منه الأعـضاء والغافل عن ذكر الله ميت

---

(١) رواه مسلم رقم (١٤٤) في الإيمان،باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريباً .

(٢) رواه البخاري رقم (٦٤٠٧) في الدعوات ،باب فـضل ذكر الله عز وجل ،ومسلم رقم (٧٧٩) فى صلاة المسافرين ،باب استحباب صلاة النافلة في بيته .

وإن تحرك بين الأحياء !!

وخذوا هذه الوصفة البليغة من سفيان الثوري لرجل مرض قلبه ذهب إليه

فقال: يا سفيان لقد ابتليت بمرض قلبى فصف لى دواء .

فقال سفيان: عليك بعروق الإخلاص، وورق الصبر، وعصير التواضع ضع هذا كله في إناء التقوى، وصب عليه ماء الخشية، وأوقد عليه نار الحزن على المعصية، وصفِّه بمصفاة المراقبة، وتناوله بكف الصدق، واشربه من كأس الاستغفار، وتمضمض بالورع، وابعد عن الحرص والطمع يشفي مرض قلبك بإذن الله.

أسأل الله أن يعيننا على هذا الدواء الناجع النافع .

والفراغ النفسي: النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، إن لم تفطمها بالطاعات قادتك إلى المعاصى والزلات .

النفس أمارة : ﴿ **إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [يوسف: ٥٣]

فيا أيها الأخ الحبيب ويا أيها الوالد الكريم، الفراغ النفسي مقتلة لشبابنا فإذا فرغت نفوسهم قاموا إلى كل معصية وانحرفوا في كل واد وفي كل طريق ضال .

إذا لم يجد الشاب عملاً يقوم به ورأى نفسه في فراغ انشغل بالمعاصي.. انشغل بالفتن والشهوات.. انشغل بالأفلام والمباريات والمسلسلات.. انشغل بالمجلات الخليعة الجنسية الماجنة .. وبقراءة القصص التي تحول الزهاد العباد إلى فساق فجَّار !!!

والنفسُ إن ألجمتها بلجام الطاعة انقادت.

لأن الله جل وعلا قد زكى النفس ودلَّها على الطريقين فقال: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس:٧]

وقال جل وعلا :﴿ فَأَمَّا مَن طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات:٣٧-٤١]

فالناس صنفان: صنف قد انتصر على نفسه وقهرها وألجمها بلجام الطاعة وجعل النفس مطية إلى رضوان الله والجنة أسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم .

وصنف قهرته نفسه وانتصرت عليه نفسه وغلبته وقادته إلى كل شر في الدنيا وإلى الهلاك في الآخرة، أسأل الله أن يحفظنا وإياكم من نفوسنا الأمارة بالسوء إنه ولي ذلك والقادر عليه .

والفراغ العقلي:حياته دمار وآخرته بوار بدليل تصايح أهل النار، وهم في النار بين يدي الواحد القهار يتصايحون أنهم كانوا لا يحملون عقولاً لا يعقلون بها .

قال الله جل وعلا عن هؤلاء :﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) ﴾[الملك:١٠]

فيا أيها الأخ الحبيب لقد آتانا الله عقولاً هي من أعظم نعم الله علينا. حينما ذهبنا لزيارة إخواننا وأخواتنا في مستشفي الأمراض العقلية ودخلنا عنبراً للنساء ورأينا النساء بين أيدينا وقد أعطاهن الله كمال الخلق وفجأة

اقتربت منا فتاة في الثانية والعشرين من عمرها، ثم بعد ذلك رأينا هذه الفتـاة قد أخذت جانبـاً في العنبر وتجردت من كل ثـيابها كمـا ولدتها أمها، فخـرجنا وقلت لإخوانى يومها : أشهد الله ثم أشـهدكم أنني ما عرفت قدر نعمة العقل إلا في هذه اللحظة .

« **العائق الرابع : الفتن** »

والفتن بين أيدينا كـثيـرة، وهي بالجمـلة تنقسم إلى نوعين إنهـا فتن الشهوات وفتن الشبهات.

ولا عون لك لتسـتفيد من وقتك وسط هذه الفـتن إلا إذا استعنت بالله جل وعلا وحرصت على مجالس الخير وعلى مجالس العلم .

أسأل الله أن يحفظني وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن إنه ولي ذلك ومولاه .

ثالثا : كيف يطول عمرك ؟!

الإنسان مفطور على حب الحياة ويرجوا أن لو طال عمره،بل ويتمنى الخلود إن استطاع.

ولكن الموت يختطف الشاب في ريعان شبابه !!

ويختطف الفتى المدلل الوحيد من بين أهله !!

ويختطف العروسة ليلة عرسها!!

ويختطف الحاكم القوي الموهوب من بين حرسه وجنوده !!

فالأيام محسوبة والآجال معـدودة، وما دام الموت هو نهاية الحياة فإن العمر حينئذ قصير.

فالأيام تمر والأشهر تجري والسنين تولى والعمر ينقضي !!

فما دام الموت هو آخر المطاف، فالعمر إذن قصير، ولم يستطع العلم بل ولن يستطيع أن يرد الشيخوخـة إلى شباب أو أن يحول بين الإنسان وبين الموت .

ومع ذلك قد يستطيع الإنسان أن يطيل عمره!!كيف ؟!

اعلم أيها الأخ الكريم أن الـعمر الحقـيقي للإنســان لا يقاس بسنواته التي قضاها من يوم ولادته إلى يوم وفاته، وإنما العمـر الحقيقي للإنسان يقاس بقدر ما قدم الإنسان في سنوات عمره من عظائم الأمور وجلائل الأعمال الخيرات الصالحات الطيبات .

هذا هو عمرك الحقيقي يقاس بعمل الخيرات وبالطاعات.

فكم من عمر طالت آماده وقلت خيراته !!

وكم عمر قلَّت آماده وكثرت خيراته !!

إن العمر الحـقيقي يقاس بالأعمال والـطاعات لا يقاس بالسنوات، انظر إلى نبي الله نوح ـ عليه السلام ـ قضى ألف سنـة إلا خمسين عاماً في الدعوة إلى الله وقدر الله جل وعلا ألا يؤمن معه إلا قليل .

وانظر إلى عمـر المصطفى محـمد ﷺ كم عـاش وكم عـدد سنوات دعـوته؟تزيد عن العشـرين قليـلاً جدًا، ومع ذلك قـدَّر الله له في هذا العمر القليل أن يقيم للإسلام دولة من فـتات متناثر فإذا هي بناء شامخ لا يطاوله بناء استطاع أن يرد الناس في صحـراء تموج بالكفر موجاً إلى الله العلى الأعلى جل وعلا .

وهذا هو صديق الأمة الأكبر في مدة ولايته التي لا تزيد على سنتين ونصف حَوَّلَ المحن التي أصابت الأمة إلى منح .

في سنتين ونصف قضى على فتنة الردة !!

في سنتين ونصف أنفذ بعث أسامة !!

في سنتين ونصف جمع القرآن الكريم وَرَدَّ الأمة إلى منهج النبي الكريم ﷺ!!

وهذا هو فاروق الأمة عمر في عشر سنوات وستة أشهر هذه الفترة القليلة التي لا تساوى أى شيء في حساب الزمن يقدم عمر لدنيا الناس كافة قدوة لا تبلى بل ولن تبلى إنها قدوة تتمثل في حاكم بركت الدنيا كلها على عتبة داره وهي مثقلة بالغنائم والأموال والكنوز والطيبات، فقام عمر ليسرحهاسراحاً جميلاً .

إنه عمر الذي أرهب الملوك والحكام، وتحت قدميه جاءت مفاتيح أعظم الإمبراطوريات، إمبراطورية فارس، وإمبراطورية الروم، وانتصر الإسلام في عهد عمر شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ورفرفت راية الإسلام على فرنسا وعلى روسيا في عشر سنوات وستة أشهر، إنها بركة الأعمار إنها الأعمار الطويلة المزكاة المباركة من الله .

وهذا معاذ بن جبل شاب من شباب الأمة، معاذ بن جبل شاب أسلم في الثامنة عشرة من عمره، وتوفي في الثالثة والثلاثين من عمره .

في هذه السنوات القليلة في عشر سنوات أو يزيد قليلاً استطاع معاذ أن يسطر على جبين الزمان وعلى صفحات التاريخ والأيام هذا المجد

وهذه العظمة وهذا الخلود حتى قال له المصطفى ﷺ يوماً : « **يَا مُعَاذُ واللَّهِ إنِّي لأُحِبُّكَ**»[1]

وهذا هو عمر بن عبدالعزيز شاب في ريعان الشباب، في ولاية استمرت سنتين ونصف، استطاع أن يضع يده على الداء الذي استشرى في أمة الحبيب محمد ﷺ ونجح في أن يستل جرثومته بيد بيضاء نقية وأن يعيد البشرية عوداً حميداً وكأنها تعيش في زمن الوحي، حتى خرج المنادى يقول من كان عليه دين فسداد دينه من بيت مال المسلمين .

وهذا الشبل من ذاك الأسد سدَّ عمر بن عبدالعزيز الديون وبقيت البركة باركة في بيت المال، فخرج المنادي يقول من أراد من شباب المسلمين أن يتزوج فزواجه من بيت مال المسلمين، فزوج الشباب وبقيت البركة باركة في بيت المال .

فخرج المنادي للمرة الثالثة وهي أعجب ليقول أيها الناس من أراد حج بيت الله وهو لا يستطيع فحج بيت الله على نفقة بيت مال المسلمين وخرج من أراد الحج وبقيت البركة باركة في بيت المال .

في مائة سنة فعل هذا ؟! في ألف سنة ؟! لا والله في سنتين ونصف. ألم أقل لكم بأن العمر يطول بجلائل الأعمال وعظائم البطولات.

فيأيها المسلم أطل عمرك بعمل الخيرات وعمل الطاعات، كما قال المصطفى ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد وغيره وهو حديث صحيح.

---

(١) رواه أبو داود رقم (١٥٢٢) في الصلاة باب الاستغفار، والنسائي (٣/ ٥٣) في السهو باب نوع آخر من الدعاء وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع (٧٩٦٩).

« اغْتَنِمْ خَمسًا قَبْلَ خَمْسٍ حَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وشَبَابَكَ قَبْلَ هرمِكَ وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ »[1]

اغتنم هذه الغنائم ولا تضيع عمرك ولا تضيع ساعات وقتك، فإن العمر يولي وغداً سترى نفسك بين يدى الله .

وأخيراً أوجه رسالة إلى القتلة بل إلى شر القتلة فمن هم ؟!!

نتعرف عليهم بعد جلسة الاستراحة وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

---

(١) صححه شيخنا الألباني في صحيح جامع (١٠٧٧) وقال: رواه الحاكم والبيهقى في شعب الإيمان عن ابن عباس وأخرجه أحمد في الزهد وأبى نعيم في الحلية .

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه. وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها الأحبة الكرام

« **رسالة إلى القتلة** »

إلى من يقتلون الوقت قتلاً .. إلى من يقتلون العمر قتلاً .. إلى من يضيعون الحياة تضييعاً.

يا من تضيع الوقت: أنت تضيع عمرك وتضيع حياتك وتنتحر انتحاراً بطيئاً وأنت لا تدري. بل ولا يذكرك أحد بهذه الجريمة الشنعاء التي ترتكبها في حق نفسك.

تسأل لماذا ؟

يقول: أضيع الوقت!!

بل ورب الكعبة رأيت بعيني على عرفات في يوم عرفة رأيت الناس بلباس الإحرام قد جلسوا على « **الشيشة** »، ورأيت بعضهم يجلس على السُّلَّم والثعبان ورأيت بعضهم يلعب « **الكوتشينة** »، فتعجبت واقتربت منهم وقلت: يا أخي اتق الله أنت بلباس الإحرام في يوم عرفة جئت لتطهر من كل ذنب، ولترفع إلى الملك أكف الضراعة، وأراك على هذا

اللهو والعبث!!

والله لقد رد علي جلهم وقالوا: يا شـيخ اليوم طويل ها نحن نضيع الوقت!! تضيع وقت عرفات ؟! تضيع وقت الطاعات ؟!

تضيع وقتـاً يتنزل فيه رب الأرض والسماوات ليبـاهي الملائكة بعباده الذين ذهبوا إليه شُعْثًا غبراً يطلبون رضوانه ومغفرته ؟!.

أيها القاتل لوقتك بل لعمرك بل لحياتك !!

والله الذي لا إله غيره ستندم يوم لا ينفع الندم وستأتي عليك ساعة ستعرف فيها قدر السـاعة .. وسيأتي عليك زمن تعرف فيه قدر الزمن .. وسيأتي عليك وقت تعرف فيه قدر الوقت !!

إذا نمت على فراش الموت ستتمنى مـن الله أن تعود إلى الدنيا ساعة واحدة لتعمل فيها صالحاً لله جل وعلاً .

اللهم استـرنا فـوق الأرض واستـرنا تحت الأرض، واسـتـرنا يوم العرض.

أيها الحبيب الكريم اعـرف قدر وقتك وشرف زمانك وحقيـقة عمرك وحقيقة ساعات أيامك فعد الليلة إلى الله .

البدار .. البدار .. قبل فوات الأعمـار، واسمع إلى العزيز الغفار وهو ينادى عليك ويقول: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [الزمر: ٥٣]

... الدعاء

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح للأمة فكشف الله به الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيًّا عن أمته، ورسولا عن دعوته ورسالته، وصَلِّ اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد :

فحياكم الله جميعاً أيها الآباء الفضلاء وأيها الأخوة الكرام الأعزاء وطبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلا. وأسأل الله العظيم الكريم جلَّ وعلا الذي جمعنا وإياكم في هذا البيت المبارك على طاعته أن يجمعنا وإياكم مع سيد الدعاة المصطفى في جنته ودار كرامته إنه ولى ذلك والقادر عليه .

أحبتي في الله :

إننا نكرر دائمـا أنه لا ينبغـي أن يكون العلماء والدعـاة في وادٍ وأن تكون الأمة بجراحها في وادٍ آخر .

ومن هذا المنطلق فإنني أستـحي من الله جل وعلا أن أقف اليوم بين أيديكم وسط هذه الآلام والجراح.

دون أن أتكلم عن القدس الجريح. لذا فإن عنوان لقائنا مع حضراتكم في هذا اليوم المبارك بعنوان :

الطريق إلى القدس

وكما تعـودنا فسوف ينتظم الحديث مع حـضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية :

أولا : مؤامرة حقيرة قديمة حديثة .

ثانيا : كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة .

ثالثا : نبذ الفرقة وتوحيد الصف وتحقيق معنى الأخوة في الله .

رابعا : التخلص من الوهن .

خامسا: رفع راية الجهاد في سبيل الله .

سادسا: الدعاء وصدق اللجأ إلى الله جلَّ وعلا .

وأخيرا: المؤمنون الصادقون لا يعرفون لليأس طريقاً .

فأعيـروني القلوب والأسماع أيها الأحبـاب، فإن هذا اللقاء الآن من الأهمية والخطورة بمكان، والله أسأل أن يقر أعيننا وإياكم بتحرير القدس الشريف إنه ولي ذلك والقادر عليه .

مؤامرة حقيرة قديمة حديثة :

أيها الأخـيار الكرام، إن الصراع بين الحق والبـاطل قديم بقدم الحـياة على ظهر هذه الأرض.

والأيام دُوَلٌ كمـا قال الله جـل وعلا: **﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَـا بَيْـنَ النَّاسِ﴾** [آل عمران: ١٤٠]

ولا زال هذا الإسلام العظيم منذ أن بزغ فجـره واستفاض نوره لا زال إلى يومنا هذا مستـهدفاً من قِبَلِ أعداءه الذين لا يتفـقون على شيء قدر اتفاقهم على الكيد للإسلام واستـئصال شأفة المسلمين، ولا زال التحدي قائماً، بل وأعلن الأعداء بسفور ووضوح عن مؤامرتهم الحقيرة الرهيبة.

فقبل أربعين سنة وقف رئيس وزراء إسـرائيل (ابن غريون) في هيئة الأمم بعد أن اعـترف العـالم كله بالغُدَّةِ السرطـانية الخبـيثة التي تـسمى بدولة إسرائيل التي أُعلن قيامها فوق الثرى الطاهر والأرض المباركة فوق مسرى الحبيب محمد ﷺ .

وقف رئيس وزراء هذه الغدة السرطانية المدمرة ليعلن للعالم كله عقيدة اليهـود في فلسطين، وأتمنى أن تتعلـم الأمة هذه العقـيدة لتعلـم يقينا أن اليهود لا يتكلمون في مؤتمرات ولا في مفاوضات إلا من خلال عقيدتهم المبدلة المحـرفة المغيرة التي يـعتنقونها ويجلونـها، ويحترمـونها وهم على البـاطل في الوقت الذي تنكر فـيه أهل الحق لـلحق الذي من أجله خلق الله السماوات والأرض !!!

قال رئيس وزراء إسرائيل في اللحظات الأولى لميلاد دولة إسرائيل قبل أربعين سنة تقريبا:

قد لا يكون لنا في فـلسطين حق من منطلق سياسـي أو قانوني ولكن

لنا في فلسطين الحق من منطلق وأساس ديني.

فهي أرض الميعاد الذي وعدنا الله وأعطانا الله إياها من النيل إلى الفرات، وإنه يجب الآن على كل يهودى أن يهاجر إلى أرض فلسطين.

وأنه على كل يهودى لا يهاجر اليوم إلى إسرائيل بعد إقامتها أن يعلم أنه مخالف للتوراة وأنه يكفر كل يوم بالدين اليهودي.

ثم قال: لا معنى لفلسطين بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون الهيكل، ولا معنى لقيام دولة إسرائيل بدون فلسطين !!

وحتى تعلموا يقينا أن هذه عقيدة لا تتبدل ولا تتغير بتغير رؤساء الوزراء فهذا ما أصله رئيس وزراء إسرائيل الحالى (نيتنياهو) يوم أن نجح في الانتخابات الأخيرة قال: لقد صَوَّت اليهود أخيراً للتوراة !!

ثم قال - فُضَّ فُوه - بمنتهي الوضوح: لا مجال للحديث في أى مفاوضات عن تقسيم القدس، فإن القدس عاصمة أبدية لإسرائيل!!

فالصراع بيننا وبين اليهود ليس صراع أرض وحدود، ولكنه صراع عقيدة ووجود.

إن اليهود لم يتنازلوا عن «أريحا» إلا لأنهم يقرأون في التوراة المحرفة المبدلة جملة تقول: «**ملعون من سكنها**» فما تنازلوا عنها إلا من أجل عقيدة يعتنقونها ويعتقدونها.. أما القدس فلا..!!

مهما طالت المفاوضات ومهما جلسوا على موائد المفاوضات فلن يتخلى اليهود عن القدس أبداً

ولا مانع عند اليهود أن يبذلوا من أجلها الدماء والأموال .

قال تعالى: ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ﴾ [البقرة: ١٢٠]

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]

وقـال تعـالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٨]

وقال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩]

أحـبتي في الله: إن للقـدس طريقـاً واحداً .. لن تصل الأمـة إلى القدس إلا من خلاله ولو عاشت الأمة آلاف السنين ..

هذا الطريق وَضَّحَ الله جل وعلا معـالمه في القرآن العظيم وبين النبي المصطفى ﷺ حدوده .

لو ظلت الأمة بعـيدة عن هذا الدرب وعن هذا الطريق فـلم تستطع ولن تسـتطيع أبداً أن تصل إلى القدس الشـريف، فمـا هي معـالم هذا الطريق وما هي خطواته ؟!

أولاً: كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة

مستحيلٌ أن يحرر الأقصى جيل لم يعرف الله .

كيف يحرر الأقـصى جيل تحدى الله وحادَّ شرع الله وانحـرف بعيداً عن منهج الله جل وعلا ؟!!

عمر بن الخطاب فتح القدس وهو يقرأ قرآن ربه جل وعلا ٠٠ أما اليوم فإن الأمة قد نحَّت قرآن الله وتحدَّت شريعة الله .

الفاروق عمر فتح القدس واستلم المفاتيح لأنه جاء وقد أحنى رأسه ذلاً لله وتواضعاً لله.

جاء عمر الفاروق يتلو كتاب الله وينزل من على ظهر الدابة ليركب الخادم مره وأمير المؤمنين مرة، ومرة ثالثه يترك الأمير والخادم الدابة لتستريح !!

بهذه القلوب فتحت القدس ولن تحرر القدس إلا بمثل هذه القلوب التقية النقية الورعة.

وأمام القدس المبارك وعلى ثرى الأرض الطاهر يمر عمر الفاروق بدابته على مخاضة (بركة ماء) فينزل الفاروق من على ظهر الدابة فيلتفت إليه قائد الجيوش أمين الأمة أبو عبيدة ويقول: يا أمير المؤمنين والله ما أحب أن القوم قد استشرفوك، لا أحب أن يراك القوم وأنت على هذه الحالة .

فقال فاروق الأمة: أوه يا أبا عبيدة لو قالها غيرك، لقد كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العز في غيره أذلنا اللهُ !! الله أكبر .

وهذا صلاح الدين الذي تحرر قلبه انطلق ليحرر الأقصى الكريم المبارك

صلاح الدين الذي سُئل يوماً: لماذا لم تُرى مبتسماً ؟!!

فيقول القائد البطل: والله لن أبتسم والقدس في أيدى الصليبيين !!!

إنها القلوب التي عرفت ربها جل وعلا وجاءت مزعنة ٠٠ منقادة إلى الله، فذلل الله لها الأرض، بل وأنزل الله لها الملائكة .

أيها الأخيار الكرام : كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة .

فلن تتوحد كلمة الأمة إلا إذا التقت قلوب أبنائها على كلمة التوحيد .. على كلمـة لا إله إلا الله فإننا نـدين الله بأن الخطوة الأولى على طريق تحرير القـدس هي العقـيدة، تصحـيح العقيـدة وتصحيح العـبادة وتحقيق الشريعة وعودة الأمة إلى الله .

كلمة التوحيد تلزم الأمة أن تصرف العبادة كاملة لله .

كلمة التوحيد تلزم الأمة بأن تحكم شريعة الله .

كلمة التوحيد تلزم الأمة بالموالاة لله ورسولهﷺ وأن تتبرأ الأمة من الشرك والمشركين .

كلمة التوحيد تستلزم هذا كله .. أن ترجع الأمة للتوحيد بشموله. فالتوحيـد ليس كلمة فحسب بل كلمة باللسـان وتصديق بالجنان وعمل بالجوارح والأركان.

ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال :

«... إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إلى أَجْسـادِكُم وَلاَ إلى صُوَرِكُمْ،وَلَكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُم وَأَعْمَالِكُمْ»[1].

قال الحسن البصـرى: ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقته الأعمال.

فمن قال خيراً قُبِلَ منه، ومن قال خيراً وعمل شراً لم يقبل منه .

لن يحرر القدس إلا رجـل العقيدة الذي عرف قـدر الله وعظمة الله وامتثل عـمليا قول الله سـبحانه :﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ**

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٦٣) في البر والصلة، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس .

وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣]

لن يحرر الأقصى إلا رجل العقيدة الذي استقر في قلبه مفهوم الولاء لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين.

لن يحرر الأقصى إلا رجل العقيدة الذي استقر في قلبه مفهوم البراء من الشرك والمشركين وراح يحول في قلبه وواقعه ومنهج حياته قول الله جل وعلا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

ثانياً: نبذ الفرقة وتوحيد الصف وتحقيق معنى الأخوة.

إن الفرقة شر.. والخلاف هزيمة وضعف.

قال جل وعلا: ﴿ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٦]

والله الذي لا إله غيره إن اليهود ماتلاعبوا بالأمة وضربوا الأمة بالنعال على أم رأسها إلا يوم أن علم اليهود أن الأمة مبعثرة وأن الأمة متشرذمة.

فالأمة قد تمزقت إلى دويلات، بل وتفتتت الدويلات هي الأخرى إلى دويلات!!

ودق العدو الفاجر مسماراً قذراً يسمى مسمار الحدود بين الدول الإسلامية والعربية، ولا تكاد نار الفتنة تهدأ وتخمد على حدٍ بين دولتين إلا ويطرق الأعداء على رأس هذا المسمار بقوة في مكان آخر لتشتعل

النار مرة أخرى بين بلدين مسلمين عربيين .الأمة ممزقة والعدو لا يعترف إلا بالقوى !!

فالعالم لا يحترم الضعفاء. . والفرقة ضعف والاتحاد قوة .

الأمة تعلم يقـينا أنه لا عز لها ولا كرامـة إلا إذا تكلمت بلسان رجلٍ واحد،فتوحيد الكلمة قوة فلماذا لا تلتقي الأمة ؟!!

إن المسلمين لما قالوا كلمة واحدة في حرب العـاشر من رمضان تحولت بهـذه الكلمات الموازين،يوم أن اتخـذ العرب قـرار منع البتـرول انقلبت الموازين،وتحولت الدفة تمامًا !!

ما على الأمة إلا أن توحّد الصّف،وأن تنبذ الفرقة والخلاف،وأن تحقق معنى الأخوة.

ينبغي أن تنفض الأمة هذه النعـرات وأن تسقط الأمة هذه الرايات وأن تعلي راية الإسلام وراية الأخوة.

وأن تحقق قول الله جل وعلا: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات:١٠]

هذه الأخوة هي التي أَلَّفَت بـين سلمان الفارسي، وصـهيب الرومي، وأبي ذر الغفاري، وحـمزة القرشي، ومعاذ الأنصـاري، وبلال الحبشي، إنها أخوة الدين ـ إنها أخوة العقيدة .

فأخي وإن كان في أقصى الشرق والغرب على الإسلام،وأخي ابن أمي وأبي لا أعرفه إن كان على غير الإسلام .

أَبِي الإِسْـــلامُ لاَ أَبَ لِي سُـــوَاهُ   إِذا افْـتَـخَـرُوا بِـقَـيْسٍ أَوْ تَمِـيمِ

فالرابطة التي تربط الأمة هي رابطة الأخوة في الله.

قال رسـول الله ﷺ: « **أَوْثقُ عُـرَى الإيمَانِ الحُبُّ في اللَّه والبُـغْضُ في اللَّه** »(١).

ولو عرفنا مـعنى هذه الأخوة لعلمنا لإخواننا في القـدس وفي الشرق وفي الغرب حقوق علينا يجب علينا ألا نتنصل منها، وإلا فإن الأمة كلها آثمة إن تخلت عن هذه الحقوق وضيعت هذه الواجبات.

قـال الله جل وعـلا: ﴿ **إِنَّمَا الْمُـؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقـــال ﷺ : «**مثلُ المُؤمنـينَ في تَوآدِّهِمْ وتَرَاحُمهمْ وتَعَـاطُفِهم كَـمَثَلِ الجَـسَدِ الوَاحِـدِ إذَا اشْـتَكَى مِنْهُ عُـضْوٌ، تَدَاعَى لهُ سَـائرُ الجَـسَـدِ بالسَّهـرِ والحُمَّى**»(٢).

لا كرامة للأمـة إلا إذا وحَّدَتْ صَفَّهَا، ونزعت هذه الفـرقة من قلوبها وحققت معنى الأخوة الإيمانيـة، فإن رابطة العقيدة هي أعظم رباط وهي أوثق صلة، بدونهـا لا يمكن أبداً أن يحـتـرم العـالم كله هذه الأمـة التي تبعثرت كتبعثر الغنم في الليلة الشاتية الممطرة .

ثالثًا: العودة الصادقة إلى أخلاق هذا الدين .

إن الأمـة ويا حسـرة عليهـا بعـيدة عن أخـلاق مـحمـد بن عبـدالله ﷺ، والقدس لن تحرر بالخطب الرنانة، ولا بالمواعظ البليغة المؤثرة، فنحن نخطب من عـشرات السنين !! والزعمـاء يهتـفون من مئـات السنين !!

---

(١) رواه أحمـد فى المسند (٤/ ٢٨٦) وابن أبى شـيبة فـى كتاب الإيمان رقم ١١٠ وحـسنه شيخنا الألبانى فى الصحيحة حديث رقم (١٧٢٨).

(٢) رواه البخاري (١٠/ ٣٦٦) في الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ومسلم رقم (٢٥٨٦) في البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم .

والأمة ذليلة والقدس في الأسر من عشرات السنين !!.

فلن يعـــاد القـدس بالخطب والمواعـظ والمؤتمرات الكلامـيــــة فـقط ولابالمظاهرات الصاخـبة، أو بحرق العلم الأمريكي أو اليـهودي، وإنما بعودة الأمـة إلى أخلاق دينهـا من جديد لـتحول الأمـة هذا الدين في حياتها إلى واقع وإلى منهج حياة .

قد يكون من اليسير كما ذكرت أن نقدم منهجًا نـظريًّا في الأخلاق وأن نقدم منهجاً نظريًّا في التربية.

ولكن هذا المنهج سيظل حبراً على ورق مالم تحـوله الأمة في حياتها إلى واقع عملى وإلى منهج حياة.

لقد أقـام النبي ﷺ للإسلام دولة من فتات متنـاثر وسط جاهلية جهلاء ووسط صحراء تموج بالكفر موجاً.

يوم أن قام النبي ﷺ بطبع آلاف النسخ من المنهج التربوي الإسلامـي ولكنه لم يطبـعـها بالحـبر عـلى صحـائف الورق، وإنما طبـعهـا على صحائف القلوب بمداد من نور ،فيجب على الأمة بكل أفرادها أن تعود من جديد إلى أخلاق هذا الدين .

رابعًا: التخلص من الوهن:

فما هو الوهن أحبتي في الله ؟!!

إن الذي أذل الأمة داء عضـال تحدث عنه الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ ففي الحديث الصـحيح الذي رواه أبو داود من حديث ثوبان أن النبي ﷺ قال: «**يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُم كَمَا تَدَاعى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِها**».

قالوا: أو من قلَّة نحن يومئذ يا رسول اللَّه؟

قال: «**كَلاَّ ولكنَّكُم يومئذ كَثِيرٌ، ولكنْ غُثَاءٌ كَغُثَاء السَّيْلِ، ولَيُوشكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَنْزِعَ المَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ ويَقْذِفُ في قُلُوبِكُمُ الوَهَنَ**».

قيل: وما الوهن يا رسول الله ؟

قال: «**حُبُّ الدُّنْيَا وكَرَاهِيةُ المَوْت**»[1].

إنه الداء العضال !! إنه الوهن الذي أذل الأمة .. إنه حب الدنيا .. إنه كراهية الموت. إن الأمة الآن إلا من رحم ربك تعيش لشهواتها الحقيرة ونزواتها الرخيصة ولا حول ولا قوة إلا بالله!!!

قال جل وعلا: ﴿ **قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً** ﴾ [النساء: ٧٧].

أيها المسلمون:

إن الفارق بيننا وبين أصحاب النبي ﷺ أنهم كانوا يبحثون وسط ميدان البطولة والشرف عن الشهادة في سبيل الله، أما نحن فإننا نبحث عن الحياة وعن الخلود وركَنًّا إلى الوحل والطين!! إنه الوهن الذي أصاب الأمة بالذل والهوان !!

ولا كرامة ولا عزة لهذه الأمة إلا إذا تخلصت من الوهن !! إلا إذا تخلصت من حب الدنيا وكراهية الموت .. وعلمت يقينا أن الدنيا مهما طالت فهي قصيرة، ومهما عظمت فهي حقيرة وأن الليل مهما طال لابد من طلوع الفجر، وأنَّ العمر مهما طال لابد من دخول القبر.

وهذا التخلص من الوهن سيعيد للأمة عزها وكرامتها وقوتها .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٢٩٧) في الملاحم، باب في تداعى الأمم على الاسلام ورواه أحمد (٥/٢٧٨) وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (٩٥٨).

خامسًا : «رفع راية الجهاد في سبيل الله»:

أحبتي في الله:

يجب أن نعلم جميعاً أنه لا كـرامة ولا عز لهذه الأمة إلا إذا رفعت من جديد، راية الجهاد في سبيل الله، وإن لم ترفع الأمة راية الجهاد الآن فمتى سترفع هذه الراية ؟!!

لقد سعدنا كثيراً لما تقدم شـيخ الأزهر مجموعة الشباب ورفع يديه وهو يقول : حي على الجهاد .. فما أحلاها من كلمة .

قال المصطفى ﷺ : « **إذا تَبَايَعتُم بالعيْنة ورَضِـيتُمْ بالزَّرعِ وتَبعتُمْ أَذْنَابَ البَقَرِ، وتَـرَكْتُمُ الجهَادَ في سَبَيلِ الله سلَّطَ اللهُ عليكُم ذُلاً لا يَنْزِعُـهُ عَنكُمْ حتَّى تَرجِعُوا إلى دِيْنكُم**»[1] فلا عز ولا رفع لهذا الذل إلا إذا رفعت الأمة راية الجهاد في سبيل الله.

فإننا نعتقد اعتقاداً جازمًا قول الصادق المصدوقﷺ لمعاذ بن جبل :

«... **ألاَ أُخْبِرَكَ بِرأسِ الأَمْرِ وعَـمُودِه وذُرْوَةِ سَنَامِه؟**» قال مـعاذ قلت: بلى يا رسول الله.

قال ﷺ: «**رَأسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ وَعَمُودُه الصَّلاةُ وذُروةُ سَنَامِه الجِهَادُ في سَبِيلِ الله** »[2].

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣٤٦٢) فى البيـوع، باب فى النهى عن العـينة وصحـحـه شيـخنا الألبانى فى الصحيحة رقم (١١)، والعينة: نوع من أنواع البيوع الربوية .

(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

صدقُ اللجأ إلى الله :

أيها الأخوة الكرام: لا تنسوا الدعاء ٠٠ ولا تستهينوا بالدعاء وصدق اللجوء إلى رب الأرض والسماء .

بين يدي الآن عشرات الآلاف أسألكم بالله من منكم يدعو الله في كل سجدة أن يحرر الأقصى وأن يفرج الكرب عن الأمة ؟!!

الدعاء سهام الليل ٠٠ أعظم جندي ٠٠ فحارب به أعداء الله مع الأخذ بالأسباب التي ذكرت فنحن لا نجهل الأسباب،والواقع الذي نحياه

ولكن نعتقد اعتقادا جازما أن الأمة إن صدقت في اللجوء إلى الله وقامت في جوف الليل ولجأت إلى من بيده الأمر كله،وإلى من بيده الكون كله لرأينا العجب العجاب.

فاصدقوا أيها المسلمون في الدعاء، وقوموا في جوف الليل وتضرعوا إلى رب الأرض والسماء.

كان عمر بن الخطاب يقول:إنكم لا تنصرون بعتاد وعدد وإنما تنصرون من السماء،فأنا لا أحمل هم الإجابة وإنما أحمل هم الدعاء .

تضرعوا يا مسلمون إلى الله سبحانه فإن الله عز وجل يقول:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾

[البقرة:١٨٦]

ولكن قد يتساءل البعض ويقول: منذ متى ونحن ندعو الله ولم يستجب الله دعاءنا ؟!!

والجواب: العودة إلى المنهج الذي ذكرت٠٠ولم لا ؟!

وقد ورد في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ «**ذَكَرَ الرَّجُلَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يُطِيلُ السَّفَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّمَاء يَقُولُ يارَبِّ يَارَبِّ ومَطْعَمُهُ حرامٌ ومَشْرَبُهُ حَرَامٌ،ومَلْبَسُهُ حرامٌ، وغَذِّيَ بالحَرَامِ فَأَنَّى يُستَجابُ لِذَلِكَ؟**»[1].

ورد في كتاب الزهد للإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: أن بنى اسرائيل خرجوا يجأرون إلى الله بالدعاء ،فأوحى الله إليهم فقال: خرجتم تجأرون إلى بالدعاء حين اشتد عليكم غضبي، ورفعتم إليّ أكفًا سفكتم بها الدماء وملأتم بها بيوتكم من الحرام لن تزداودا مني إلا بعداً ».

إن الدعاء له شروط، لكي يُقبل ولكي يُستجاب، وشروطه أن نعود للمنهج الذي ذكرت .

قالوا: يا أبا إسحاق إبراهيم بن أدهم مالنا ندعو الله فلا يستجاب لنا؟!

قال: لأن قلوبكم قد ماتت بعَشَرَة.

قالوا: وما هي ؟

قال: عرفتم الله فلم تؤدوا حقوقه!!.

وزعمتم حب نبيه ﷺ وتركتم سنته!!

وقرأتم القرآن ولم تعملوا به!!

وزعمتم أن الشيطان لكم عدو ولم تخالفوه!!

وأكلتم نِعَمَ الله ولم تؤدوا شكرها!!

وقلتم أن الجنة حق ولم تعملوا لها!!

---

(١) رواه مسلم رقم (١٠١٥) في الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها .

وقلتم أن النار حق ولم تهربوا منها!!

وقلتم أن الموت حق ولم تستعدوا له!!

وانتبهتم فانشغلتم بعيوب الناس، ونسيتم عيوبكم!!

ودفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم!!.

إخوتاه: ماتت القلوب فكيف يستجيب علام الغيوب ، فإن الله لا يقبل الدعاء من قلب لاهٍ غافل.

فالأصل أن تحيا القلوب وأن تعود من جديد إلى علام الغيوب

أسأل الله جل وعلا أن يحيي قلوبنا وأن يقر أعيننا بنصرة الإسلام وعز الموحدين وأقول قولي هذا وأستغفر الله لى ولكم .

الخطبة الثانية

إن الحمد لله رب العـالمين، نحمده ونستعـينه ونستهديه ونستـغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئـات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريك، وأشهد أن محمـداً عبده ورسوله .

اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفي أثره إلى يوم الدين .

أما بعد : أيها الأحبة الكرام :

فلقد مر المسلمون بأزمات أحـلك من هذه الأزمة، وانتصروا بموعود الله وموعود رسول الله ﷺ !! فلا نيأس ولا نقنط فإن الأعداء يريدون لنا اليـأس من إمكانية تغـيير هذا الواقـع الذي نحياه الآن، حـتى نظل سلبيين مستسلمين لهذا الواقع المر الأليم .

لقد مـر المسلمون بأزمـات حالكة كـما بيَنَّا ذلك في خطبـة (الهزيمة النفـسيـة) ومع ذلك انتـصـر الإسلام والمسلمـون وهلك الكفـار وزال المنافقون والخائفـون ،وبقي الإسلام شامخا٠ ٠وسيبقى الإسـلام شامخاً وسيظل الإسلام شامخـا بإذن الله، ولن تستطيع قوة على ظهر الأرض أن تطفئ نور الله جل وعلا.

لابد أن ننطلق بهذا اليقين وبهذه الثقة في نصرة رب العالمين.

الإسلام كـدين كمنهج لا تستطيع قـوة أن تستأصل شأفـته من على

ظهر الأرض؛ لأنه الدين الخاتم وقد وعد الله بالتمكين له وبنصرته .

قال جـل وعلا: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝٨ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[الصف:٨-٩]

وقال جـل وعلا: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور:٥٥]

وقال جل وعلا: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾

[البقرة:٢٤٩]

وقال سبحانه: ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾

[يوسف:٢١]

وقال سبحانه: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾

[يوسف:١١٠]

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٣٦]

وقال الصادق المصدوق ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى كما في الحديث الذي رواه الطبراني والحاكم وصححه الألباني

من حـديث تميم الداري أنه ﷺ قـال: « لا يَبْلغُ هذا الأمْـرُ مـا بَلغَ اللَّيلُ والنَّهارُ ولا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ ولا وبَرٍ إلاَّ أَدْخلهُ اللهُ هذا الدِّينَ بعزِّ عزيزٍ أو بذُلِّ ذليلٍ، عزاً يَعزُّ اللهُ به الإسلامَ وذُلاًّ يَذِلُّ اللهُ به الكُفْرَ»(١) .

وفي الحـديث الـذي رواه أحـمـد والبـزار والطبـــراني في الأوسط وصححه شيخنا الألباني من حديث حذيفة بن اليمان أنه ﷺ قال :

« تَكُونُ النُّبُوةُ فيكم ما شَاء اللهُ أن تَكُونَ ثمَّ يَرفعُها اللهُ إذا شاءَ أنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تكُونُ خلافـةٌ على منْهاجِ النُّبُـوة ثمَّ تكونُ فيْكُمْ مـا شاءَ اللهُ أنْ تَكُون، ثُمَّ يَرفعُها اللهُ إذا شاءَ أنْ يَرْفَعَهَا، ثمَّ تَكُونُ مُلكًا عاضًا فتكونُ فيكمْ ما شَاءَ اللهُ أن تكون ثمَّ يَرْفعُها اللهُ إذا شاءَ أنْ يَرْفَعَهَا ثمَّ تكُونُ مُلكًا جبْريًا فتكونُ فيْكُمْ ما شَاءَ اللهُ أنْ تَكُونَ ثمَّ يَرْفـعُهَا اللهُ إذا شاءَ أنْ يَرْفَعَهَـا ثمَّ تكُونُ خلافةٌ عَلَى منْهاجِ النُّبـوة ثمَّ سَكَتَ»(١) .

أسأل الـله أن يُعجل بهـا .وأختم بهـذا الحديث وأتمنى من إخـواتي الشيـوخ والعلماء والدعـاة وطلاب العلم الشرعي أن يركـزوا على هذه الجزئيـة وهي بث الأمل في قلوب الأمـة،وفي قلوب رجالهـا وشبـابها حتى لا نقنط ولا نيـأس فنستسلم لهذا الـواقع المرير بل ننطلق في عزة واستعلاء وأمل في نصر الله جل وعلا . . .

يقـول المـصطفي ﷺ: «لاَ تَقُومُ السَّـاعةُ حتَّى يُقَـاتلَ المُسْلمونَ اليَّـهودَ فَيَـقْتُلُهُمُ المُسْلمُـونَ فَيَخْـتبئُ اليَّهـودِيُّ وَرَاءَ الحَجَـرِ والشَّجرِ فَـيَقُولُ الحَـجَرُ

(١) صححه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (٣).

(١) رواه أحمد (٤/ ٢٧٣) وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة برقم (٥) .

والشَّجَرُ: يا مُسْلِمُ يَا عبدَ الله، هذا يَهُوديٌّ خَلْفِي، تَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إلاَّ الغَرْقَدْ، فإنَّه مِنْ شَجَرِ اليَّهودِ»[1] .

ونحن ننتظر هذه الجولة التي أسـأل الله أن يشرفني وإياكم بأن نكون من جندها أو أن يكون أبناؤنا من جنودها إنه ولي ذلك والقادر عليه .

. . . الدعاء

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٧٥) في الجهاد، باب قتال اليهود، ومسلم رقم (٢٩٢٢) في الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء .



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١] .

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

أحبتي في الله :

حيَّاكم الله جميعا أيها الآباء الفضلاء وأيها الإخوة الأحباب الكرام الأعزاء وطبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبوأتم جميعًا من الجنة منزلا .

وأسال الله العظيم الكريم جل وعلا الذي جمعنا وإياكم في هذا البيت المبارك على طاعته، أن يجمعني وإياكم في الآخرة مع سيد الدعاة المصطفي في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أحبتي في الله :

«**في ظلال الإسراء والمعراج** » هذا هو عنوان لقائنا مع حضراتكم في هذا اليوم الكريم المبارك وكعادتنا فسوف ينتظم حديثنا تحت هذا العنوان في العناصر التالية :

أولا: تأريخ وتحقيق .

ثانيا: ولماذا الإسراء ؟

ثالثا: الأقصى الجريح .

رابعا: المعراج إلى السماوات العلى .

وأخيرا: دروس وعبر من الأحداث .

فأعيروني القلوب والأسماع فإن هذا الموضوع من الأهمية بمكان .

أولا: تأريخ وتحقيق :

لقد اعـتاد المسلمون ـ إلا من رحم الله جلَّ وعلا من المحـققين ـ أن يحتـفلوا بذكرى الإسـراء والمعراج في ليلة السابع والـعشرين من شـهر رجب احتفالاً باهتاً بارداً لا يليق بالمصطفي ﷺ!!!

واعتقد الكثيرون أن الإسراء كان في هذه الليلة.

والتحقيق أن العلماء قد اختلفوا اختلافاً كبيراً في يوم الإسراء بل في شهر الإسراء بل في سنة الإسراء !!

قال السدي: كان الإسراء في شهر ذي القعدة.

قال الزهري: كان الإسراء في شهر ربيع الأول.

قال ابن عبدالبر: كان الإسراء في شهر رجب.

قال النووي: كان الاسراء في شهر رجب.

قال الواقدي: كان الإسراء في شهر شوال .

وفي قول آخر قال: كان في شهر رمضان .

وقيل كان الإسـراء قبل الهجرة بسـتة أشهر، وقيل كـان الإسراء قبل الهجـرة بتسعة أشـهر، وقيل كان الإسـراء قبل الهجرة بسنة، وقـيل كان الإسراء قبل الهـجرة بسنة وستة أشـهر، وقيل كان الإسراء قـبل الهجرة بثلاث سنين حكاه ابن الأثير.

ومن ثم فإن اليوم والشهر والعام للإسراء لا يعلمه إلا الملك.

والتحديد للإسراء بيوم وشهـر ضرب من المجازفة والتخمين لا دليل عليه من الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ.

ولما لم يحتـفل النبي ﷺ والصحابة رضـوان الله عليهم والأتباع من

بعدهم بذكرى الإسراء فينبغى علينا أن يسعنا ما وسعهم.

فكل خيرٍ في اتباع من سلف وكل شرٍّ في اتباع من خلف

والتحقيق أن الإسراء كان بعد البعثة وقبل الهجرة من مكة زادها الله تشريفًا إلى المسجد الأقصى الجريح ـ خلَّصَه الله من أيدي إخوان القردة والخنازير.

ثم من المسجد الأقصى إلى السموات العلى كما سأفصل الآن بحول الله وقوته .

ثانيا : ولماذا الإسراء؟

وللجواب على هذا السؤال قصة إنها قصةُ طفل طهور كالربيع !!

إنها قصة طفل كريم كالنسيم!!إنها قصة طفل نشأ في مكة في بيئة تصنع الحجارة بأيديها وتسجد لها من دون الله جلَّ وعلا!!!

بل كان يصنع الواحد منهم إلهه من خشب أو من نحاس أو حتى من حلوى أو من تمر فإذا ما عبث الجوع ببطنه قام ليدس هذا الإله الرخيص في جوفه ليذهب عن نفسه شدة الجوع!!!

في هذه البيئة نشأ الحبيب المصطفى ﷺ، فاحتقر هذه الأصنام وأشفق على أصحاب هذه العقول.

فترك هذه البيئة الشركية وانطلق بعيداً بعيداً إلى قمة جبل النور إلى غار حراء ليقضى ليله في التأمل والتفكر والتضرع،ويقضى النهار كذلك في التأمل والتفكير والتدبر.

وفي ليلة كريمة يخشع الكون وتصمت أنفاس المخلوقات وجبريل أمين وحى السماء يتنزل لأول مرة على المصطفى ﷺ على قمة جبل النور ليضم الحبيب المصطفى ﷺ ضمة شديدة وهو يقول له «اقْرَأْ»

والحبيب ﷺ يقول: «مَاأَنَا بقَارئْ»، وجبريل يقول: «اقرأ» والمصطفي ﷺ يقــول: «مَـا أَنَا بقَـارِئْ»، وفيِ الثالثـة غطَّه حتى بلغ منه الجهـد وقال للحبيب:

﴿ اقْـرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الإِنسَـانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْـرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

[العلق: ١-٥]

فؤاده يرتجف وفرائصه ترتعـد.. وجوارحه تضطرب حتى وصل إلى السكن.. إلى رمز الوفاء.. إلى سكن سيد الأنبياء.. إلى خديجة بنت - خويلد رضي الله عنها وأرضاها.

إلى هذه الزوجة العـاملة الصالحة التي اسـتحقت أن شرفـها الله بأن أرسل إليها السـلام من فوق سبع سماوات ففي الصحـيحين من حديث أبي هريرة «أَتَى جِبْرِيلُ عليـه السَّلام إلى المصُطَفي ﷺ قال: يا رسـول الله هذه خديجـة قد أتتك ومَعَـها إنَاءٌ فـيه إدَامٌ -(طعام أو شـراب) فَإِذَا هي أَتَتْ فَقَـال جِبْرِيلُ: يا رسول الـله، هَذه خَديجة قَدْ أَتَتْ، فَـاقرأ عَلَيْهـا السَّلامَ مِنْ رَبِّهَا، ومنِّي وَبَشِّرها ببيت فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبْ لاَ صَخَبَ فيه ولاَ نَصَبَ»[1].

فلما أقبلت خديجة بَشَّرَهَا المصطفيﷺ بهذه البشارة وقال يا خديجة: ربك يقرئك السلام وجبريل يقرئك السلام!!

فماذا قالت خديجة البليغـة العاقلة العالمة، ما قالت وعلى الله السلام

---

(١) رواه البخـاري رقم (٣٨٢٠) في فضـائل أصحـاب النبي ﷺ، باب تزوج النبي ﷺ خديجة وفضلها، وفي التوحيد، باب قول الله تعالى « يريدون أن يبدلوا كلام الله»، ومسلم (٢٤٣٢) في فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين - رضي الله - عنها.

وإنما قالت: «إن الله هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام وعليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته».

خديجة عاد إليها النبي ﷺ يرجف فؤاده وهو يقول: «**زَمِّلُوني زَمِّلُوني**»، واستجابت خديجة حتى استيقظ الحبيب ﷺ وقد هدأت نفسه واستقرت جوارحه وقال: « **وَاللَّه لَقَدْ خَشِيْتُ عَلى نَفْسي يا خَدِيْجَةُ**» وقص عليها فبشرته بهذه الكلمة الطيبة وقالت: كلا والله لا يخزيك الله أبداً إلى آخر ما ذكرت والحديث رواه البخاري وهو حديث طويل [1].

ثم فتر الوحى لفترة قليلة ـ على الراجح ـ ثم نزل قول الله عز وجل على الحبيب المصطفي ﷺ: ﴿**يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤ وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ⑥ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ**﴾ [المدثر: ١ ـ ٧]

قم يا محمد دع عنك هذه الأغطية فما كان بالأمس حلماً جميلاً أصبح اليوم حملاً ثقيلاً.

﴿ **يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ① قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ② نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ③ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ④ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً** ﴾

[المزمل: ١ ـ ٥]

فقام الحبيب ﷺ ولم يقعد عشرين سنة، لم يعرف طعم الراحة.. لم يذق طعم النوم.. لم يهدأ!!

وإنما انطلق على قدميه حاملاً نور الله عز وجل إلى هذه البشرية

---

(١) رواه البخاري رقم (٣) في بدء الوحى باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله ﷺ.

ليخرجها من ظلمات الشـرك وأوحال الوثنية إلى أنوار التوحيد والإيمان برب البرية جلَّ وعلا .

انطلق الحبيب بعد ذلك بعدما نزل عليه قول الله عز وجل : ﴿ **يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ** ﴾ انطلق يدعـو الناس سـرًّا إلى الإسـلام ثلاث سنين .

لأن للأصنام جـيوشًا غـاضبة إن هـؤلاء القوم يقتلون مـن أجل ناقة فماظنك بآلهـة يذبحون لها آلاف النياق إن مس جنابها على يد مـحمد ابن عبدالله ﷺ .

وبعد هذه المرحلة السرية نزل قول الله عز وجل :

﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ** ﴾ [الشعراء : ٢١٤]

﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [الحجر : ٩٤]

فقام الحـبيب ﷺ ملبيا أمر الله : فصـعد على جبل الصفا ينادي على بطون مكة يا بني فهر ، يا بني عدي ، يا بني كذا يا بني كذا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخـرج أرسل رسولا لينظر مـا هو والتف حوله الناس من أهل مكة ووقفوا بين يديه وعلى رأسهم أبو لهب .

وقام الحبيب ليـقيم الحجة على قومه بلغـة النبوة فقال : « **أَرَأَيتُكُم لَو أَخْبَرتُكُم أَنَّ خيلاً وراَءَ هذَا الوادي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُم مُصَدِّقِي؟** »

قالوا : نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً .

فقال الحبيب المصطفى ﷺ : « **فَإِنِّي نَذيرٌ لكُم بَيْنَ يَدي عذاب شَدِيد** » .

فقال أبو لهب : تبًّا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟

فنـزلت : ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ**

﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ١-٥][1].

بعد هذا الموقف حدث أن قريشاً أرعدت وأبرقت ودقت طبول الحرب على رأس المصطفى ﷺ وأصحابه.

وانطلقت مكة على قلب رجل واحد لتصب البلاء والإيذاء صبًّا على رأس المصطفى ﷺ ففي البخاري ومسلم عن عبدالله بن مسعود: أن النبي ﷺ كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسَلَى جزور بني فلان « وهي الجلدة التي يكون فيها الولد يقال لها ذلك من البهائم » فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم فجاء به، فنظر حتى سجد النبي ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغني شيئاً لو كانت لي منعه، قال: فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض، ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة فطرحت عن ظهره، فرفع رأسه ثم قال: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ**»[2].

وورد في صحيح البخاري أن عقبة بن أبي معيط قد انطلق إلى النبي ﷺ وهو يصلى في حجر الكعبة، فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٧٧٠) في تفسير سورة الشعراء باب ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ وفي الجنائز، باب ذكر شرار الموتى، وفي الأنبياء، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية، ومسلم رقم (٢٠٨) في الإيمان باب قوله تعالى: ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ والترمذي رقم (٣٣٦٠) في التفسير

(٢) رواه البخاري رقم (٢٤٠) في الوضوء، باب إذا ألقي على ظهر المصلى قذراً وجيفة لم تفسد عليه صلاته، وفي سترة المصلى وفي الجهاد وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ وفي المغازي، ومسلم رقم (١٧٩٤) في الجهاد، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، والنسائي (١/١٦١) في الطهارة، باب فرث ما يؤكل لحمه يصيب الثوب .

شديدًا حتى كادت أنفاس المصطفىﷺ أن تخرج بين يديه فجاء الصديق ليدفع هذا الفاجر الكافر عن رسول اللهﷺ وهو يقول[1]:

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]

أحبتي في الله :

رأى الـنبـي ﷺأن أرض مكة صلدة قاسـية لا تقبل بذرة التوحـيد فانطلق الحـبيب؟إلى الطائف يبحـث عن قلوب حانية لعلهـا تحمل هذا النور لا إلى أهل الطائف فحسب بل إلى الدنيا كلها.

انطلق الحـبيب ﷺعلى قدميه المتعبتين، لا يركب راحلة فهو لا يملك في هذا الوقت الراحلة!!

ينطلق المصطفي ﷺ تحت شمس محرقة تكاد تذيب الحديد والصخور والحجارة وعلى رمال ملتهبة إذا مـا انعكست عليها أشعة الشمس كادت أن تخطف الأبصار !!.

انطلق الحـبيبﷺ في هذا الجو متعباً يتـألم لا سيما وقد ازداد حزنه بموت خـديجة ـ رضي الله ـ عنهـا وبموت عـمه أبي طالب الذي كـان حائطَ صدٍّ منيع لحملات المشركين في الخارج.

النبي ﷺ ينطلق إلى هنالك على قدميه، والله لا يريد مالاً ولا يريد جاها ولا يريد وجاهة إنما يريد لهؤلاء خير الدنيا والآخرة.

ولكن فعل أهل الطائف بالمصطفي ﷺ مالم يكن يتوقع، فلقد سلطوا

---

(١) رواه البخاري رقم(٣٦٧٨) في فضـائل أصحاب النبي ﷺوباب قول النبى ﷺ: **لو كنت متخذاً خليلاً** » وباب مالقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، وفي تفسير سورة المنافقين .

عليه الصبيان والسفهاء حتى وقفوا ورموا الحبيب المصطفي ﷺ بالحجارة ونزف الدم الشريف بأبي هو وأمي ﷺ .

إنه المؤيد بمدد السماء .. إنه المؤيد بوحي السماء .. تلقى عليه الرمال؟!! ويلقى عليه التراب؟!!

ويقذف بالحجارة حتى يسيل الدم الطاهر من جسده ﷺ ؟!!

فألجأه الصبيان والسفهاء إلى بستان لابني ربيعة، وهنالك ارتفعت هذه الكلمات النيرة وتضرع الحبيب إلى الله بهذا الدعاء « **اللَّهمَّ إنِّي أَشْكُو إليْكَ ضَعْفَ قوتِّي وقلَّةَ حيْلَتي وَهواني على النَّاسِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحمينَ أنتَ ربُّ المُسْتَضْعَفينَ وأنتَ ربِّي، إلى مَنْ تَكلُني؟ إلى بَعيد يَتَجهَّمُني؟! أمْ إلى عدوٍّ مَلَّكتهُ أمري؟! إنْ لم يكُنْ بكَ غضبٌ عليَّ فَلا أُبَالي، أَسْأَلُكَ بنُور وَجْهكَ الَّذي أشْرقتْ لهُ الظُّلماتُ وصلُحَ عَلَيْه أَمرُ الدُّنيا والأخرة ألاَّ تُنْزلَ بي غَضبكَ أوْ يَحلَّ عليَّ سَخطُكَ، لكَ العُتْبى حتَّى تَرْضى، ولا حَوْلَ ولا قُوةَ إلاَّ بكَ** »[1] .

وفي البخاري ومسلم : عن عروة أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ حدثته أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟

قال : «**لَقدْ لَقيتُ منْ قَوْمك مَا لَقيتُ، وكَانَ أشدُّ مَا لَقيتُ منهُمْ يوْمَ العَقبة، إذْ عَرَضتُ نَفْسي عَلى ابْن عَبْد يَاليل بن عَبْد كُلال فَلمْ يُجبْني إلى مَا أرَدْتُ، فَانطَلَقتُ وأَنَا مَهمُومٌ عَلى وَجْهي فَلَمْ أَسْتَفقَ إلاَّ وأَنا بقَرْن الثَّعالبْ، فَرفعْتُ رَأْسي فَإذَا أَنَا بسَحابَة قدْ أظلَّتني فَنَظرتُ فإذَا فيهَا جبْريلُ فَنَادَاني**

---

(١) رواه الطبراني وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله ثقات ما عدا ابن إسحاق وهو مدلس ثقه وقد ضعفه شيخنا الألباني ولله الحمد رأيت شاهداً آخر يقوى هذا الحديث عن ابن إسحاق موصولاً وكلاهما يقوى بعضهما الآخر .

فَقَالَ: يا مُـحمَّدُ إنَّ اللَّهَ جلَّ وَعَلاَ قدْ سَمِعَ قـولَ قَوْمكَ لكَ وَما ردُّوا عليكَ، وقدْ بَعثَ اللَّهُ إليكَ مَلكَ الجـبال لتأمُرهُ بمَـا شئتَ فيهمْ فَنَاداني مَـلَكُ الجبال فسَـلَّمَ عليَّ ثمَّ قال: يَا مُـحمَّـدُ إنَّ اللهَ قدْ سَـمِعَ قولَ قـومكَ لكَ، وأنَا مَلكُ الجبـال وقدْ بَعَـثَني ربُّكَ إليْكَ لتَأمُـرني بأمركَ فمَـا شئتَ، إنْ شـئتَ أَطْبَقتُ عَلَيهمُ الأَخْشَبَين» والأخشبان جبلان عظيمان بمكة فقال النبي ﷺ: «بَلْ أَرجُو أنْ يُخرجَ اللَّهُ منْ أَصْلاَبهم مَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدهُ لا يُشْرك به شيَئًا»[1].

هذا ملك الجبال يـستأذن النبي ﷺ أن يحطم هذه الجمـاجم الصلدة وهذه الرءوس العنيدة المتكبرة الكافرة المتحجرة. ولكنه ما جزع لنفسه.. ما خرج لذاته.. إنما خرج لله وحده.

هذا نصر غيبي من الله للمصطفي ﷺ ولكن وصل الحبيب إلى مكة زادها الله تشريفاً ـ ليرى كرامة أخرى له من الله عز وجل ليرى جبريل هنالك في انتظاره ليـأخذه إلى هذه الرحلة المـباركة إلى رحـلة الإسراء والمعراج .

وكأن الله عز وجل قد أراد أن يقول لحبيبه المصطفي ﷺ يا رسول الله إن كان أهل مكة وأهـل الطائف قد رفضـوك فإن رب السـماء والأرض يدعوك .

يا محمد لا تظن أن جفاء أهل الأرض يعني جفاء السماء .

إن الله يدعوك اليوم ليعوضك بجفاء أهل الأرض حفاوة أهل السماء

---

(١) رواه البـخاري (٦/ ٢٢٤، ٢٢٥) في بدء الخلق، باب ذكـر الملائكة وفي التـوحيـد، باب (وكان الله سميعا بصـيرا)، ومسلم رقم (١٧٩٥) في الجهاد باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين .

.. الله أكبر .

فتعالوا بنا لنتعرف على هذه الرحلة المباركة، ولنجمع بين الروايات إذ لا تعارض بينها كما قال الحافظ ابن حجر: في بيت أم هانئ يأتيه جبريل ليشق البيت ليأخذ المصطفي ﷺ من بيت أم هانئ إلى الحجر في بيت الله الحرام، ثم بعد ذلك تبدأ رحلة الإسراء وتبدأ رحلة الإسراء بشق صدر المصطفى ﷺ .

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«أُتيتُ فَانْطَلَقُوا بي إلى زَمزمَ، فَشرحَ عَنْ صَدْرِي (أي شق) ثُمَّ غُسل بِماءِ زَمْزَمَ ثُمَّ أُنْزِلْتُ»**[1]

وأنتم تعلمون أنه قد شق صدره قبل ذلك وهو غلام صغير، حينما كان في ديار بني سعد عند مرضعته حليمة رضي الله عنها[2] .

تبدأ الرحلة المباركة رحلة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى يقول المصطفي ﷺ واللفظ لمسلم من حديث أنس:

«أُوتيْتُ بِالبُرَاق» والبراق بنص الحديث الصحيح دابة فوق الحمار ودون البغل، يضع حَافِرَهُ عند منتهي طرفه .

وقف الحافظ ابن حجر عند قوله البراق فقال: البراق من البريق من اللمعان لأن النبي ﷺ حدد لونه بالبياض وقال: البراق من البرق والبرق

---

(١) رواه البخاري ومسلم رقم (٢٦٠) في الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٦١) في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات .

ضوء وسرعة الضوء رهيبة هذا هو البراق .

ورد من حديث الترمذي وعند الإمام أحمد في المسند وعند عبدالرزاق في مصنفه وعند البيهقي في السنن من حديث أنس:

أن النبي ﷺ لما انطلق ليركب البراق استصعب عليه، فقال جبريل للبراق: ما حملك على هذا والله ما ركبك أحد من خلق الله أكرم على الله منه، أى من محمد بن عبدالله ﷺ .

ركب النبي ﷺ البراق وانطلق من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

وعنصر الإعجاز في رحلة الإسراء الأرضية هو الزمن .

انطلق النبي ﷺ من مكة إلى المسجد الأقصى في زمن قليل وهذا هو الذي أنكره المشركون في مكة .

قالوا نضرب لها أكباد الإبل شهراً من مكة إلى بلاد الشام، وأنت تقول بأنك انطلقت من مكة إلى المسجد الأقصى ثم إلى السماوات العلى وعُدت في جزء من الليل ـ لأن الله قال: ﴿**سُبْحَانَ الَّذي أَسْرَى بِعَبْده لَيْلاً**﴾ [الإسراء: ١] وليلاً عند علماء اللغة أى في جزء من الليل، ولم يقل ليلة لتقول بأن الإسراء قد استغرق ليلة بكاملها لا بل استغرق جزءاً من الليلة .

﴿ **سُبْحَانَ الَّذي أَسْرَىٰ بِعَبْده لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِد الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِد الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾

[الإسراء: ١]

وانتبه لهذه الآية التي ختمت بقوله: ﴿ **إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ وكان من السياق أن يقول: «إنه على كل شيء قدير» . «إنه عزيز حكيم» ليظهر

عظمته وقدرته وإنما قال: ﴿ **إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ أي الذي سمع قول قومك لك، ورأى فعل قومك بك، فأراد أن يكرمك وأن يشرفك .

لأن الإسراء معجزة فريدة ليست تأييداً للدعوة بقدر ما هي تأييد لصاحب الدعوة بأبي هو وأمي ﷺ .

ثالثا : «الأقصى الجريح»:

الأقصى الجريح الذي تدوسه الآن أقدام إخوان القردة والخنازير من أبناء اليهود على مرأى ومسمع لا أقول من المسلمين إنما من العالم كله.

والمسلمون لا يجيدون إلا الاحتفالات.. نحتفل بذكرى الإسراء !! ونسمع القصائد ونسمع الأشعار،ونسمع الكلمات !!

ونحتفل بذكرى المولد، ونحتفل بذكرى النصف من شعبان، هذا هو الذي يجيده المسلمون الذين عشقوا الهزل يوم أن كرهوا الجد والرجولة والبطولة والجهاد في سبيل الله!!

المسجد الأقصى إنما هو أولى القبلتين .وهو المسجد المبارك الثالث الذي أمر النبي ﷺ بشد الرحال إليه « **لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلاَّ لثَلاثَة مَسَاجِدَ المَسْجِد الحَرَام، والمَسْجِد الأَقْصَى ومَسْجِد المُصْطَفى ﷺ**»[1] .

المسجد الأقصى الآن يداس بأرجس الأرجل !!

المسجد الأقصى الآن الحفريات تحت جدرانه من كل ناحية إلى يومنا هذا !!

---

(١)رواه البخاري رقم (١١٨٩) في التطوع، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ومسلم رقم (١٣٩٧) في الحج، باب لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، وأبو داود رقم (٢٠٣٣) في المناسك باب في إتيان المدينة، والنسائي (٢/٣٧، ٣٨) في المساجد، باب ما تشد الرحال إليه في المساجد.

الحفـريات تحت جدران المسجـد بحجة الـتوسعـة وبحجة التـرميم؛ ليسقط المسجد الأقصى؛ وليقـيم إخوان القردة والخنازير عليه ما يسمونه بالهيكل المزعوم.

حقائق لابد أن ترسخ في القلوب والعقـول؛ الصراع بين اليهود وبين المسلمين صراع عقدي،ولن ينتهي إلى قيام الساعة!!

الأقصى الجـريح يئن!!فتحه عـمر، وحرره صـلاح الدين، فهل من صلاح؟! هل من صلاح جديد؟!!

هل من صلاح بيننا وبين الله ليمدنا الله بصلاح؟!!

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

[الإسراء: ١]

أيها الأحبـة: إن معتقد أهل السـنة والجماعة أن الإسراء كـان بجسد النبي ﷺ وروحه يقظة لا مناما.

لماذا ينكر ذلك من يعبدون العقل ؟! ينكرون ذلك لعنصر الزمن كيف يقطع هذه المسافة التي يقطعها الناس في شهور في لحظات؟!!

وأنا أقول«سبحان»: تنزيه لأفعاله وأسمائه وصفاته جل وعلا.

أى إذا كان الفعل من الله فنزهوا فعل الله عن فعلكم ونزهوا صفات الله عن صفاتكم ونزهوا قول الله عن قولكم.

﴿ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ﴾ :والعبد لغة تطلق على الإنسان بروحه وبدنه لا يطلق لفظ العبد على الروح دون البدن **﴿ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾** والسرى: هو السير ليلاً:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

[الإسراء: ١]

قال القاسمي ـ رحمه الله ـ:دلت هذه الآية على ثبوت الإسراء وهو سير النبي ﷺ إلى بيت المقدس ليلاً .

قال القاضي عياض :وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة وهو الحق .

قال: والصحيح إن شاء الله أنه إسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار والاعتبار.

ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند وجود نص أو قرينة تدل على أن الظاهر غير مراد، إذ لو كان مناماً لقال بروح عبده ولم يقل بعبده .

وقوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم:١٧] ولو كان مناماً لما كان فيه آية ولا معجزة، ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه، ولا ارتد به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به، إذ فعل هذا في المنامات لا ينكر، بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه وحال يقظته.

ومما يدل على أنه كان يقظة كذلك ما رواه البخاري عن جابر بن عبدالله رضي ـ الله عنهما ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

« لَمَّا كَذَّبتني قُرَيْشٌ قُمتُ في الحجْرِ فَجلَّى اللَّهُ لي بَيْتَ المَقْدسِ فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُم عَنْ آياته وَأَنَا أَنْظُرُ إليه »[1] .

---

(١)رواه البخاري رقم (٣٨٨٦) في مناقب الأنصار باب حديث الإسراء وقول الله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى ﴾

فلو أنه أخبرهم بأنها رؤيا رآها لما اختبروه بالسؤال عن آياته وعلاماته وهذه أيضاً معجزة ثانية لرسول الله ﷺ .

وأكتفي بهذا القدر في هذه الخطبة وأقـول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمـد لله رب العالمين، وأشـهد ألا إله إلا الله وحـده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفي أثره إلى يوم الدين .

أما بعد :

فيا أيها الأحبة الكرام : وبدأت الرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ،وفي المسجـد الأقصى دخل النبي ﷺ المسجد وصلـى ركعتين، وبعدمـا خرج وجـد جبريل يقـدم له إناءين إناءً من لبن وإناءً من خـمر، فاختار النبي ﷺ اللبن. فقال له جبريل قد أصبت الفطرة يا محمد.

ثم تبـدأ رحلة المعـراج، ولنرجع مـرة أخـرى إلى حـديث أنس في صحيح البخاري .

يقول : «**ثمَّ عُرِجَ بنا إلى السماء، فاستفتحَ جبريلُ، فقيل: مَنْ أنت؟ قال: جبريلُ، قيل: ومَنْ مـعك؟ قال: محمدٌ، قيل: وقد بُـعِثَ إليه؟ قال: قد بُعِثَ إليه ففُتِحَ لنا فإذا أنا بآدم، فرحَّبَ بي ودعا لي بخير.**

ثم عُرِج بِنَا إلى السماء الثانية، فاستـفتح جبريلُ عليه السلام، فقيل: مَنْ أنت؟ قال:جبريل، قيل: ومَنْ معك؟ قال: مـحمدٌ قيل: وقد بُعِثَ إليه؟ قال: قد بُعِث إليـه. ففُتِح لنا، فإذا أنا بابني الخـالة عيسى بن مريم، ويحـيى بن زكريا صلوات الله عليهما، فرحبا بي ودعوا لي بخير.

ثم عُرِج بي إلى السمـاءِ الثالثة، فاسـتفتح جبريل: فـقيل مَنْ أنت؟ قال:

جبريل، قيل: ومَنْ مـعك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُـعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه ففُـتح لنا، فإذا أنا بيوسف ﷺ، إذ هو قَد أُعطي شَطْرَ الحـسنِ فرحَّب بي ودَعَا لي بخير.

ثم عُرِج بنا إلى السـماءِ الرابعةِ، فـاسْتَفتَحَ جـبريلُ فقـيل: مَنْ هذا؟ قال جبريلُ.

قيل: ومَنْ معك؟ قـال: محمدٌ، قيل: وَقَد بُعث إليه؟ قَـالَ: قد بُعث إليه فـفُتح لنا. فـإذا أنا بإدريس، فـرَحَّب بي ودَعَا لي بخـيـر، قال الله عـز وجل ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾.

ثم عُرِجَ بنا إلى السماء الخامسة، فاسـتفتحَ جبريلُ فقيل: مَنْ هذا؟ قال: جبريلُ، قيل: ومَنْ مـعكَ؟ قال: محمدٌ. قيل: وقد بُـعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففُتح لنا، فإذا أنا بهارون ﷺ فرحَّب ودَعا لي بخير.

ثم عُرِج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريلُ فقيل: مَنْ هذا؟ قال: جبـريلُ. قيل ومَنْ معك؟ قَـال: محمدٌ قـيل: وقد بُعث إليه؟ قـال: قد بُعث إليه، ففُتح لنا فإذا أنا بموسى ﷺ فرحَّبَ بي ودعا لي بخير.

ثم عُرِج بنا إلى السماء السـابعة، فاستفتح جبـريلُ فقيل: مَنْ هذا؟ قال: جبريلُ، قـيل: ومنْ معك؟ قال: محـمدٌ، قيل: وقد بُعثَ إليـه؟ قال: قد بُعثَ إليه فَـفُتحَ لنا، فـإذا أنا بإبراهيم ﷺ سانداً ظَهْـرَه إلى البيت المعـمور، وإذا هو يدخله كلَّ يومٍ سبعونُ ألفَ ملك لا يعودون إليه.

ثم ذَهب بي إلى سـدْرة المُنْتَـهى، وإذا وَرَقُـها كـآذان الفـيَلَة، وإذا ثَمَـرُها كالقـلال، قال: فلمـا غَشيَـها من أمر الله مـا غشيـها، تَغـيرت فمـا أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها.

فـأوحى الله إليَّ مـا أوحى، فـعرض علي خـمـسين صـلاة في كل يوم وليلة.

فنزلت إلى موسى ﷺ فقال: مَا فَرض ربُّك على أُمَّتك؟ قلت: خَمْسين صلاةً قـال: ارْجعْ إلى ربِّك فاسأله التـخفيـف؛ فإن أمتَك لا يطيـقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وحبرتهم. قال: فرجعتُ إلى ربِّي فقلت: يا ربِّ خفِّف عن أمتي.

فحطَّ عنِّي خـمسًا، فرجعتُ إلى مـوسى فقلت: حطَّ عنِّي خَمْـسًا. قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجعْ إلى ربِّك فاسأله التخفيف.

قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى ـ عليه السلام ـ، حتى قـال: يَا محـمدُ إنهم خمسُ صـلوات كلَّ يوم وليلة، لكل صلاة عـشر فذلك خَـمسـونَ صلاة، ومَنْ همَّ بحسنة فلَـم يعملها كُـتِبت له حـسنةٌ، فإن عملها كُتبتْ له عَشْرًا ومَنْ همَّ بسيئة فلمْ يعملها لمْ تكتبْ شيْئًا.

فإن عملها كُتبت سيئةٌ واحدةٌ

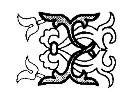
قال: فنزلت حتى انتهيتُ إلى موسى ﷺ فأخبرْتُه فقال: ارجعْ إلى ربِّك فاسأله الـتخفيف، فقـال رسول الله ﷺفقلـت: قد رجعتُ إلى ربِّي حتَّى استَحيتُ منهُ» (١).

وهكذا أيها الأحبة تنتهي رحلة المعراج .

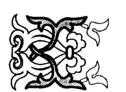
. . . الدعاء

---

(١) رواه البخـاري رقم (٣٨٨٧) فى مناقب الأنصار ،باب المعـراج ومسلم رقم (٢٥٩) فى الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات.



الاستنساخ



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، أدّى الأمانة وبلّغ الرسالة، ونصح للأمة فكشف الله به الغمة، وجاهد في سبيله حق جهاده حتى أتاه اليقين فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيًا عن أمته، ورسولاً عن دعوته ورسالته وصلِّ اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفي أثره إلى يوم الدين .

أما بعد :

فحياكم الله جميعا أيها الآباء الفضلاء وأيها الإخوة الكرام الأعزاء وطبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم الكريم جل وعلا الذي جمعنا وإياكم في هذا البيت المبارك على طاعته أن يجمعنا وإياكم مع سيد الدعاة المصطفىﷺ في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أحبتي في الله :

قنبلة علمية أذهلت العالم كله في الأيام الماضية!!

بل وأصابت العالم كله بالدوار!!

وذلك من خلال ما يسمى بالاستنساخ !!

ونظراً لأن الموضوع يمس العقيدة ويمس قدرة وعظمة الله في قلوب المسلمين رأيت أنه من الواجب عليّ في مثل هذا الجمع المهيب.. في مثل هذا اليوم الكريم الحبيب أن أبين الحق في هذا الموضوع الخطير ليزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يرتابوا في عظيم قدرته وجلال عظمته جل وعلا .

ومن ثم كان لقاؤنا في هذا اليوم المبارك بعنوان:

«الاستنساخ»

وكعادتنا فسوف ينتظم حديثنا مع حضراتكم في هذا الموضوع الخطير في العناصر التالية :

أولاً : العلم يدعو إلى الإيمان.

ثانياً : هل خلقوا نعجة بالفعل ؟!

ثالثاً : هذا خلق الله .

وأخيراً: يا أيها الإنسان ما غرك !!

فأعيروني القلوب والأسماع جيداً أيها الفضلاء الكرام والله أسأل أن يتقبل مني ومنكم جميعاً صالح الأعمال.

أولا : العلم يدعو إلى الإيمان :

إن نور الوحي لا يطمسُ نور العـقل أبداً بل يباركـه ويزكيـه، ويقويه شريطة أن يذعن العقل مع الكون كله لله رب العالمين.

وإنه لواجب علينا أن نحـتـرم العقل والإدراك البـشرى بالقـدر الذي أراده الله له من التكريم فـي مجـاله الذي يحسنـه ويبدع فـيه حـتى لا نمضى بالعقل البشري والإدراك البشرى بعيداً بعيداً عن حدود هذا المجال وعن حدود قدراته وإبداعه، وحتى لا نمضي في التيه والضلال بلا دليل أو برهان :

أيها الأحبة الكرام:

ما كان الإسلام أبداً ولن يكون نداً للعلم. . وكيف ذلك؟!!

والإسـلام هو الذي دعا للعلم منـذ لحظاته الأولى يوم أن تنزلت الآيات على قلب الأمي الذي علم المتعلمين نزل عليه قول الله جل وعلا :

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق .خلق الإنسان من علق .اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم ﴾ [العلق:١:٥] .

وقال سبحانه : **﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾** [لقمان:٤٢]

فالعلم صفة من أَجَلِّ صفات الله جل وعلا:

فالله جل جلاله يعلم ما كان ومـا هو كائن وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

قال تعـالى: **﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا**

رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]

ولكن الله جل وعلا قدّر منذ الأزل وشاء منذ الأزل أن يعلم الإنسان شيئاً من علم الله في الوقت الذي يشاءه الله، وبالقدر الذي يريده الله قال جل في علاه:

﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

وقال جل جلاله: **﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾** [البقرة: ٣١ : ٣٣]

فكل علم يعلمه الإنسان اليوم إنما ورثه الله جل وعلا لهذا الإنسان من خلال أبيه آدم الذي علمه الله أسماء وعلوم كل شيء وظل هذا العلم مكنوناً في هذا الكون.

إن الإنسان الذي أسكرته نشوة العلم وأعماه غرور العلم.

هذا الإنسان إلى الآن لا يعلم نفسه!!لا يدرى حقيقة مشاعره!! لا يدري حقيقة عقله!!لا يدري حقيقة روحه!!

ومع ذلك فإنه يتبجح ويستعلي على الله بما شاءه وأراده الله له أن يكتشفه !! وهنا فإن العلماء ينقسمون تجاه الآيات الكونية والآيات العلمية إلى قسمين :

القسم الأول: فريق من العلماء تزيده الاكتشافات العلمية عناداً وإلحاداً وكبراً وطغياناً وكفراً !!

وهؤلاء عند الله بعلومهم أضل من البهائم قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩]

القسم الآخر: تزيده الاكتشافات العلمية والآيات الكونية إيمانا برب البرية وهؤلاء الذين قال الله في حقهم :

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨].

أيها الأحبة الكرام:

العلم يدعو إلى الإيمان بالله جل وعلا وأختم هذا العنصر الهام بكلمات دقيقة لعالم الطبيعة الفيلسوف الأمريكى(ماريت ستانلي) .

إذ يقول: إن العلوم التي يصل إليها الإنسان تبدأ بالاحتمالات وتنتهي كذلك بالاحتمالات، وأن أى نتيجة يصل إليها الإنسان من خلال نظرية علمية ليست نهائية وإنما هي اجتهادية وقابلة للتعديل بالإضافة أو الحذف وإننا لنرى العَالِم عندما يصل إلى قانون أو نظرية يقول: هذا ما وصلنا إليه حتى الآن، ثم يترك الباب مفتوحاً لما يستجد من التعديلات .

وهذه الكلمات تلخص حقيقة ما وصل إليه العلم من نتائج في أي جانب من الجوانب .

فطالما أن الإنسان هو الذي يحاول الوصول إلى هذه النتائج فإنه من الحتم أن تكون هذه النتائج مطبوعة بطبائع الإنسان أي لها نفس خصائصه من قصور وجهل وخطأ ومحدودية ونقص !!

فالإنسان محدود من ناحية الزمان، ومن ناحية المكان، ومحكوم بقصوره وجهله وضعفه وشهواته ونزواته .

فالوسيلة التي يصل بها الإنسان إلى أى نتيجة هي التجربة والقياس،

وهذه الوسيلة باعتـراف أهل العلم قاطبة تؤدى إلى نتيجـة ظنية وليست يقينية .

ولا سبيل أبدا إلى نتيجة قطعية وحقيقة يقينية إلا عن طريق هدي الله الذي يبينه للناس.

ومن ثَمَّ يبقى علْم الإنسان لنفسه علمًا ظنيًا لا يصل إلى مرتبة اليقين بحال من الأحوال .

وهذا هو ما أثاره العلماء المتـخصصون من تساؤلات حـول استنساخ النعجة دوللى .

وهذا هو عنصرنا الثاني :هل خلقوا نعجة بالفعل ؟!

هل خلقوا نعجة بالفعل ؟!

لقد ثار العالم كله وهز مشاعره خبر هذه النعجة المستنسخة في معهد روزلين باسكتلندا، واصطاد الـعلمانيـون في الماء العكر وخرجـوا علينا بكلمات خبيثة تزعزع العـقيدة في قلوب ضعاف النفوس الذين لا يخلو منهم زمان ولا مكان .

خرج علينا من يقول: «انتهت أسطورة الأمومة»!!!

وخرج علينا من يقول :«لم تعد هناك حاجة لدورٍ مُلحٍ للرجل»!!!

وخرج علينا من يقول: «لقد آن الأوان للعـذراء التي لم تتزوج أن تختار طفلاً بالصفات الوراثية التي تشاء دون الزواج»!!!

وخرج علينا من العلمـانيين من يقول: «لقد أحدثـت النعجة دوللى انقلابًا في كل الموازين والمقاييس»!!!

وخرج علينا من يقول: « النعجة دوللى قلبت كل الموازين والمقاييس البيـولوجيـة والأخلاقـية والدينيـة منذ أن خرجت إلى النور في يـوليو

الماضي ووضعت الإنسان في حَيْص بَيْص، لسبب بسيط وهو أنها ولدت بدون أب»!!(١).

وخرج العالم كله والعلمانيون يطبلون ويزمرون.

وهذه كلها مغالطاتٌ وأوهام سخيفة.

فماذا حدث بالفعل حتى لا تختل العقيدة في قلب مسلم أو مسلمة؟!!

ولتقـفوا على حقـيقة ما حـدث ليمتلئ قلـبك الآن بعظمة الملك.. وجلال الملك.. وقدرة الملك جل جلاله.

ما حدث بالفعل أن هذا الفريق العلمي قـد أخذ خَلِيَّة من ثدي نعجة ومنطقة الثدي تسمى « activearea » أي منطقة نشطة.

هذه الخلية تحتوي على كافة الجـينات التي تحمل كل الصفات الوراثية وهذه الخلية الحـيوانية تحتوى على اثـنين وخمسين كرومـوزوم ناتجة عن تلقيح حيـوان منوي لبويضة ،والحيوان المنوي في الحيـوان يحتوي على ستة وعشـرين كروموزوم والنواة في البويضة تحتوي على سـتة وعشرين كروموزوم .فـإذا ما اجتمع هذا العدد في الحـيوان المنوي مع هذا العدد في نواة البويضة وخصبت البويضة تكونت الخلية التي تحتوى على اثنين وخمسين كروموزم.

أما الخلية في الإنسان فإنها تتكون من ستة وأربعين كروموزوم، ثلاثة وعـشـرين كرومـوزوم في الحـيـوان المنوي للرجل ،وثلاثة وعـشـرين كروموزم في بويضة المرأة.

إذن فهـذه الخلية تنتج حتـما عن تلقيـح الحيوان المنوي للبـويضة ثم تتوالى انـقسامـاتها بعـد ذلك لتخليق أعـداد هائلة من الخلايا الخـاصة

---

(١) الأهرام في ٢٢/٣/١٩٩٧ بقلم : عزت السعدني .

بالقلب والكبد والرأس وغيرها من أجزاء الجسم .

ماذا فعل هذا الفريق العلمى في اسكتلندا ؟!!

أخذوا هذه الخلية التي أخذت من ثدي النعجة وضعوها في بيئة ذات تركيز غذائي منخفض لتجويع الخلية حتى لاتنقسم .

المرحلة الثانية: أخذوا بويضة من نعجة ثانية لم تخصب بحيوان منوي أى تحتوى على ستة وعشرين كرومزوم فقط فأزالوا النواة أو الدانا DNA من هذه البويضة أى تخلصوا من هذا القدر من الكروموزومات ثم دمجوا الخلية الأولى التي تحتوي على ٥٢ كروموزوم ودمجوها عن طريق الحث الكهربى بالبويضة الجديدة التي نزعوا منها النواة .

وبعد ستة أيام حملوا هذه البويضة الجديدة التي تحتوي على كافة الجينات كما لو كانت ملقحة .

حملوها إلى رحم نعجة أخرى ثالثة، فأخرجت نعجة صغيرة هي نسخة من الأم الأولى التي أخذوا منها الخلية الأولى التي تحتوى على ٥٢ كرومزوم .

هذا هو كل ما حدث في موضوع الاستنساخ ببساطة شديدة !!!

ثم خرج علينا من يدَّعي أن الإنسان قد شارك الله في الخلق !!!

أقول بعد هذا البيان :هل يدعي عاقل يحترم نفسه ويحترم عقله أنهم خلقوا نعجة؟!!

إن الخلق إيجاد من عدم وليس تركيب مكونات هي أصلاً من خلق الملك !!!

وأنا أسأل علماء الهندسة الوراثية على وجه الأرض بل وأتحدى أمام هذا الجمع أن يخلق علماء الهندسة الوراثية حيوانا منويا واحدا أو أن يخلقوا بويضة أو أن يخلقوا خلية!!!

لماذا ذهبتم إلى الخلية التي هي أصلاً من خلق الملك فأخذ تموها وأجريتم التجارب؟!!

لماذا لم توفروا على أنفسكم هذا الجهد الهائل وهذه المليارات الطائلة وتخلقوا خلية من أول الأمر تحمل كل الصفات الوراثية التي تريدونها والتي لا تريدونها؟!!

فالخلية خلق مَنْ ؟!

والحيوان المنوي خلق مَنْ ؟! والبويضة خلق مَنْ ؟!

«ذلكم الله فأنى تؤفكون»

ثم ها أنذا أتساءل وأقول : أيهما أيسر أن نستنسخ إنساناً جديداً أم أن نبقى حياة إنسان يعيش بيننا ؟!

الجواب: أن نبقي حياة إنسان يعيش بيننا .

إننا نتحدى الدنيا وعلماء الهندسة الوراثية في أمريكا وبريطانيا واسكتلندا وإيطاليا والصين وفي كل الأرض نتحداهم أن يخلدوا (بيل كلينتون) أو(جون ميجور) أو (نتنياهو).

قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [الأنبياء: ٢٤]

اسمع أيها الموحد لربك ليمتلئ قلبك إيماناً بالله اسمع لقول الله:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج : ٧٣ : ٧٤]

إننا نتحدى وسيظل التحدي قائمًا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فإن استطاع الإنسان أن يستنسخ جنينا حيوانيا فإن الأمر في الجنين الإنساني يختلف تمامًا .

وهذا ما أكده جميع علماء الهندسة الوراثية .

والسبب هو أن الدانا (DNA) من أجنة الأغنام تختلف عن الدانا من أجنة الإنسان .

فضلا عن أن الجنين في بطن أمه في وقت محدد معلوم ينفخ الله فيه روحه ثم يُنشأ خلقا آخر .

وعند هذه اللحظة التي تدب فيها الحياة في هذا الجنين خرج العالم الفرنسي الكبير (الكسيس كاريل) الذي ظل يتابع الجنين يوما بيوم، وساعة بساعة .

وحينما تحرك الجنين في بطن أمه ودبت فيه الحياة بعدما نفخ الله فيه من روحه خرج هذا العالم وقال: « Here is GoD » . . «هنا الله» .

من أين جاءته هذه الحياة ؟!! أإلهٌ مع الله ؟!!

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٤]

« هذا خلق الله » :

يقول سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحج : ٥، ٦]

وقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤]

وقال سبحانه : ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ۝ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾

[القيامة: ٣٦-٤٠]

فسبحان من خلق فسوى وقدَّر فهدى وجعل الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى.

سبحانه من شملت قدرته كل مقدور .. ومشيئته في خلقه بتصاريف الأمور .

﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ﴾ [الشورى:٤٩-٥٠]

والله لو فكر الإنسان المغرور في الحكمة من خلق الإنسان من ذكر وأنثى لسجد لله شكراً على هذه النعمة .

بل وكم من نعمة تغمرنا آناء الليل وأطراف النهار ! ونحن غافلون.. سادرون بل ومن الناس متجبرون كافرون !!

فلو خلق الله الإنسان من خلية واحدة تنقسم كما تنقسم البكتريا لأصبح ملايين البشر نسخة واحدة مملة مكررة !!

ولكن الحكيم الخبير جل وعلا ربط التناسل بالذكر والأنثى لينفرد كل إنسان عن غيره حتى ولو كانوا توأمين !!

فالخلايا تحمل الكروموزومات التي تحمل الصفات الوراثية وتنقسم الخلية في خصية الرجل وفي مبيض المرأة بحيث يحتوي الحيوان المنوي على نصف العدد من هذه الكروموزومات وكذلك البويضة عند المرأة .

فإذا اجتمعا كونا النطفة الأمشاج أي المختلطة من ماء الرجل وماء المرأة وهكذا .

قال تعالى : **﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾** [الروم:٢٢]

إذن فالنطفة الأمشاج هي بداية مرحلة خلق الإنسان .

والله لو فكر الإنسان بإنصافٍ في مراحل أطوار الجنين في بطنِ أمه لسجد مع الكون كله لله رب العالمين !!

فها هو الرجل يلتقى بامرأته ويُلقي نطفته التي تحتوي على مئات الملايين من الحيوانات المنوية التي تنطلق لتبحث عن البويضة .

والبويضة لا تخرج من المبيض عند المرأة إلا مرة واحدة في الشهر .

تخرج وعليها تاج مشع كأنها عروس تتهادى وتبعث شيئاً من أريجها لتلك الحيـوانات الهائلة التي تقـطع المفاوز والمخاطر لعلـها تحظى ولو بنظرة إلى هذه العـروس الفاتنـة الجمـيلة فتـهلك كل هذه الحيـوانات المنوية ويختار الله جل وعلا حيوانًا منـويًا واحدًا من بين هذه الملايين ليصل سالماً إلى البويضة !!

ولم يكتشف العلماء هذه الحـقيقة العلمية إلا في القـرن العشرين في الوقت الذي أخبر عنها المصطفى ﷺ منذ مئات السنين .

ففي صحيح مسلم من حديث أبي سـعيد الخدرى أن الحبيب النبي ﷺ قـال: «**مَا مِنْ كُلِّ الماءِ يَكُونُ الولدُ، وإذَا أرادَ اللَّهُ خَلْقَ شيء لَمْ يَمْنَعهُ شيءٌ**»[1] .

يختار الله جل وعلا حيوانًا منـويًا واحدًا من بين هذه الملايين ليصل سالماً إلى البويضة تلك العروس المزينة فتهش له مرحبة وتفرز مادة لزجة لتسهل للحيوان المنوي أن يلتصق بجوارها .

ويقوم الحيوان المنوي هو الآخر بفرز مادة خاصة لها القدرة على إذابة جزء من المنطقة المشعة أو التاج المشع المحيط بالبويضة .

فإذا ما دخل الحيوان المنوي أغلقت الباب وأحكمته تمامًا .

فإذا مـا تم التخصـيب وتكونت النطفة الأمـشاج من الحـيوان المنوي والبويضة، يصنع الله جل وعلا لـلبويضة الملقحة جداراً سميكاً مـصمتاً لا يمكن لأي حيـوان منوي آخر اختـراقه كمـا أن البويضـة تخلع عنها

---

(١) رواه مسلم رقم (٣٤١٨) في النكاح باب حكم العزل .

تاجها المشع الذي كان يغري الحيوانات المنوية بالاقتراب منها .

ومنذ هذه اللحظة تبدأ بالانشطار في الخلية فتتحول إلى خليتين والخليتان إلى أربع، وهكذا حتى تتكون مئات الخلايا على هيئة ثمرة التوت، وفي خلال خمسة أيام أو سبعة أيام على الأكثر تكون قد وصلت إلى الرحم الذي استعد لها هو الآخر بالفرش والوسائد أى بالأوعية الدموية التي تغذيها وتنميها .

ثم تتحول هذه النطفة الأمشاج بعد ذلك إلى المرحلة التالية وهي مرحلة العلقة، وسميت بذلك لتعلقها بجدار الرحم .

وتبدأ العلقة في اليوم السابع في التمايز إلى طبقتين خارجية وداخلية أما الخارجية فهي تأكل خلايا الرحم لتمتص الغذاء منها .

وأما الداخلية فوظيفتها تكوين الجنين .

وفي الأسبوع الرابع تتحول هذه العلقة إلى مضغة وقد سميت بذلك لأنها بمقدار ما يمضغ من اللحم، وقد بين العلم الحديث أن الجنين في هذه المرحلة يبدو وكأن أسنانًا قد غرزت فيه ومضغته ثم قذفته ثم تتحول هذه المضغة بقدرة الله جل وعلا إلى عظام وعضلات .

وفي الأسبوع السادس والسابع تُكْسى هذه العظام باللحم .

ثم يأتي الطورُ الأخير وهو طور التصوير والتسوية والتعديل ثم النفخ في الروح وصدق ربى إذ يقول:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ

عظامًا فكسونا العظام لحمًا ثم أنشأناه خلقًا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون : ١٢، ١٤]

وفي الحديث الذي رواه مسلم من حديث حذيفة بن أسيد الغفارى أن النبي ﷺ قال : « **إذا مرَّ بالنُّطفة ثنْتان وأربعُون ليلةً بعثَ اللَّهُ إليْهَا ملكًا فصوَّرَها وخَلقَ سَمْعَهَا وبَصرهَا وجلْدَها ولَحْمَهَا وعظَامَهَا، ثُمَّ قال: يا ربِّ! أذكرٌ أم أنثى؟ فيَقْضي ربُّك ما يَشَاءُ، ثمَّ يقولُ: ياربِّ! رزقُهُ؟ فيَقْضي ربُّكَ ما يشاءُ، ويكْتُبُ الملك، ثُمَّ يَخْرُجُ المَلَكُ بالصَّحيْفَة في يَده، فلاَ يَزيدُ عَلى مَا أُمرَ ولاَ يَنْقُصُ**»[1]

وفي رواية بالصحيحين من حديث أنس أنه ﷺ قال :

«**إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ قدْ وكَّلَ بالرَّحم مَلَكًا فَيَقُولُ: أيْ ربِّ نُطفةٌ أيْ ربِّ! عَلَقةٌ، أيْ ربِّ! مُضْغةٌ، فإذا أرَادَ اللَّهُ أنْ يَقْضي خَلْقًا قالَ المَلكُ: أي ربِّ! ذكرٌ أو أُنثى؟ شقيٌّ أوْ سعيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الأجلُ؟ فَيُكْتَب كذَلكَ في بَطْن أُمه**»[2]

إذا كان العلم الحديث يستطيع أن يتعرف على نوع الجنين في مرحلة معينة من مراحل النمو فإن الله جل وعلا قد علم نوع الجنين قبل أن يلتقى الرجل مع امرأته .

ويعلم الله سيكون المولود ولدًا أم أنثى

ويعلم الله هل سيكون هذا المولود شقيًا أو سعيدًا

ويعلم الله رزقه ويعلم الله بأيِّ أرض يموت. أسألوا أهل العلم

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٦٤٥) في القدر باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه .

(٢) رواه البخاري ومسلم رقم (٢٦٤٦) في القدر باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه.

وقولوا لهم أأنتم أعلم أم الله؟!

قُلْ لِلطَّبِيبِ تَخَطَّفَتْهُ يَدُ الرَّدى ... يا شَافِيَ الأَمْراضِ مَنْ أَرْدَاكَ؟!

قُلْ للمريضِ نَجَا وعُوفِيَ بَعْدَمَا ... عَجِزَتْ فُنُون الطِّبِّ مَنْ عافَاكَ؟!

قُلْ للصَّحِيحِ يَمُوتُ لاَ مِنْ عِلة ... مَنْ يَا صَحِيحُ بالمَنايَا دَهَاكَ؟!

بَلْ سَائِلِ الأَعْمَى خَطَا بينَ الزِّحَامِ ... بلاَ اصطدَام مَنْ يَا أَعْمَى يَقُودُ خُطاكَ؟!

بل سائِل البَصِير وكانَ يَحْذرُ حُفْرةً ... فَهَوى بِهَا مَنْ ذَا الذِّي أَهْوَاكَ؟!

وسَلِ الجَنينَ يَعيشُ مَعزُولاً بلاَ راعٍ ومَرْعى ... مَنْ ذا الَّذي يَرعَاكَ؟!

وسلِ الوليدَ بَكَى وأَجْهشَ بالبُكاء لَدى ... الولادة مَنْ ذا الَّذي أبْكَاكَ؟!

وإذا تَرى الثُّعبانَ يَنفُثُ سُمَّهُ ... فَسَلْهُ مَنْ يا ثُعبان بالسُّمُومِ حَشَاكَ؟!

وسَلْهُ كيفَ تَعيشُ يا ثُعبانُ أو ... تَحْيَا وهَذَا السُّمُّ يَملأُ فَاكَ؟!

واسْأَلْ بُطُونَ النَّحلِ كيفَ تَقاطرتْ ... شهدًا وقُل للشَّهد منْ حَلاَّكَ؟!

بل سائلِ اللَّبن المُصَفَّى كانَ بيْنَ فرْث ... ودَم منْ ذَا الَّذي صَفَّاكَ؟!

وإذا رأيتَ الحيَّ يَخْرجُ منْ حَنَايا ... مَيِّت فاسْأَلْهُ مَنْ أَحْيَاكَ؟!

وإذا رأيتَ النَّبْتَ في الصَّحراء يَرْبُو ... وَحْده فاسْأَلْهُ من أرْبَاكَ؟!

وإذا رأيْتَ النَّخْلَ مَشْقُوق النَّوى ... فَاسْأَلْهُ مَنْ يَا نَخْلُ شَقَّ نَوَاك!!

وإذا رأيْتَ البَدْرَ يَسْرِي ناشرًا ... أنْوَارهُ فَاسْأَلْهُ مَنْ أَسْرَاكَ؟!

وإذَا رأيْتَ النَّارَ شَبَّ لَهِيْبُهَا ... فَاسْأَلْ لَهِيْبَ النَّارِ مَنْ أَوْرَاكَ؟!

وإذَا تَرى الجَبَلَ الأشَمَّ مُنَاطحًا قِممَ ... السَّحاب فَسلْهُ مَنْ أَرْسَاكَ؟!

لِلَّه في الآفَاق آيَاتٌ ... أَقَلهَا هُو مَا إلَيْه هَدَاكَ!

ولعلَّ مَا في النَّفْسِ مِنْ آياته عجب ... عُجَابٌ لَو تَرى عَيْنَاكَ!

والكونُ مَشْحُونٌ بأسْرار إذا ... حَاولْتَ تَفْسِيرًا لَهَا أَعيَاكَ!

أإله مع الله؟! أإله مع الله ؟! أإله مع الله؟!!

سلِ الوَاحــةَ الخَـضْــراءَ والماءَ جـاريا   وهَذه الصَّـحَـاري والجِـبَـالَ الرَّوَاسـيـا
سلِ الرَّوضَ مُـزدانًا سـلِ الزَّهْرَ والنَّدى   سلِ الليـلَ والإصْـبَـاحَ والطَّيْـرَ شَـاديًا
سلْ هذه الأنْـسـامَ والأرْضَ والسَّـمَـا   سَلْ كُلَّ شيء تَسْمَع التَّوحِـيْدَ للَّه ساريًا
ولَوْ جَنَّ هَـذَا الليْل وامْـتـدَّ سَـرْمَـدًا   فَـمـنْ غـيْـرُ ربِّي يـرْجِعُ الصَّـبْحَ ثانـيًـا

أإله مع الله ؟! أإله مع الله ؟! أإله مع الله ؟!!

انْـظُرْ لـتِلْـكَ الـشَّـــــجَـــــرة   ذَات الـغُـــــصُـــــون النَّـضِـــــرة
كَــــيْـفَ نَمَـت مِـنْ حَـــــبَّـــــة   وَكَـــيْـفَ صَـــارَتْ شَـــــجَـــــرَة
ابْـــــحَــــثْ وَقُـــــلْ مَـــــنْ ذَا   الَّذي يُـخْــرِجُ مِـنْهَـــا الثَّــمَــرَة
ذَاكَ هُـــــــوَ الــــــلَّــــــهُ   الَّذي أنْـعُـــمِـــه مُنْـهَـــمِـــرَة
ذُو حِـكْـمَــــــةٍ بَـالِـغَـــــــةٍ   وقُـــدْرة مُـــقْـــتَـــدِرَة

وأخيرا : يا أيها الإنسان ما غرّك ؟!!

عتاب مخجل من الله للإنسان الذي يقف بين يديه سبحانه وهو مقصر مذنب!!مغتر، متبجح!! غير مقدر لعظمة الله وقدرته وجلاله.

﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) ﴾ [الانفطار: ٦-٨]

أيها الإنسان المغرور من تكون ؟! وأين أنت من خلق السموات والأرض ؟!!

قال سبحانه: **﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ**

أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٥٧) ﴾[غافر : ٥٧]

السموات والأرض معروضتــان للإنسان يراهما بالليل والنهار ويستطيع أن يقيس نفسه إليهــما ، فإذا علم حقيقة النِّسَب والأبعاد وحــقيقة القوى والأحجام يتصاغر ويتــضاءل ويعلم أنه لا ذكر له ولا كرامة إلا بتكريم الله له ، وتشريفه بعبوديته له جل وعلا ، لينسجم مع هذا الكون الهائل الذي جاء مطيعاً منقاداً لله جل جلاله .

قال سبــحانه : ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١)** ﴾ [فصلت : ١١]

فيا أيها الإنسان المغرور اعرف قدر ربك لتعرف قدر نفسك !!

اعرف عظمة ربك لتعرف قدر نفسك !!

اعرف كمال ربك لتعرف ضعف نفسك : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ** ﴾ [فاطر : ١٥-١٧] .

. . . الدعاء

إن الحمـد لله نحمده ونـستعـينه ونستغـفره، ونعوذ بالـله تعالى من شرور أنفسنا وسـيئات أعمالنا، من يهـده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهـد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شـريك له، وأشهـد أن محـمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء : ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد..

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هديُ محمدﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاله، وكل ضلاله في النار .

ثم أما بعـد: فحيـا الله هذه الوجوه الطيـبة المشـرقة، وزكى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور وطبتم جميـعًا أيها الآباء الفضلاء وأيها الإخوة الأعـزاء، وطاب ممشـاكم وتبوأتم من الجنة منزلاً وأسـأل الله جل وعلا الذي جـمعنا وإياكم في هذا البيت المبـارك على طاعته أن يجـمعنا وإياكم في الآخرة مع سيد الدعاة المصطـفي في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أحبتي في الله :

« أمة لا تعرف قدر نبيها »

هذا هو عنوان لقائنا مع حضـراتكم في هذا اليوم الكريم المبارك ونظرًا لأن الحـديث في هذا الموضـوع ذو شـجـون فسـوف أركـز الحـديث مع حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية :

أولاً: وإنك لعلى خلق عظيم .

ثانيا: القرآن يربي ويعلم .

ثالثا: الواقع خير شاهد .

وأخيراً: هذا هو الحب أيها المحب .

فـأعرني قلبك وسـمـعك أيها الحـبـيب، سائلا المولى جل وعـلا أن يجعلنى وإياكم جميعاً ممن يستمـعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أُولُو الألباب .

أولا: «وإنك لعلى خلق عظيم»:

روى الطبراني عن عبدالله بن سلام بسند رجاله ثقات أن زيد بن سعنه ـ وهو الحبر الكبير من أحبار يهود ـ قال : ما من شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت إليه إلا اثنتين الأولى: يسبق حلمه جهله، والثانية: لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً يقول زيد بن سعنه: فخرج رسول الله ﷺ يومًا من الحجرات مع علي ابن أبي طالب وإذ برجل من الأعراب يقبل على النبي ﷺ ويقول: يا رسول الله إن قومي في قرية بني فلان قد دخلوا في الإسلام، ولكنهم دخلوا في الإسلام طمعًا، فلقد أخبرتهم أنهم إن دخلوا في الإسلام أتاهم رزقهم رغدًا وقد نزلت بهم اليوم شدة وقحط فأخشى أن يخرجوا من الإسلام طمعًا، كما دخلوا في الإسلام طمعاً فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تغيثهم به فعلت يا رسول الله

فالتفت الحبيب المصطفى ﷺ صاحب الخلق إلى علي بن أبي طالب وسأله: «**هَلْ عِنْدَنَا شَيءٌ مِنَ المَالِ؟** »

فقال علي بن أبي طالب: لا والله يا رسول الله لقد نفذ المال كله .

يقول زيد بن سعنه: فدنوت من محمد ﷺ وقلت له: يا محمد هل تبيعُني تمراً معلوماً في حائط بنى فلان إلى أجلٍ معلوم، فقال النبي ﷺ : «**نَعَمْ، أَبِيْعُكَ تَمْراً مَعْلومًا إلى أَجَلٍ مَعْلُومٍ لَكِنْ لا تُسَمِّي حَائطَ بَنِي فُلانٍ**» فوافقت على ذلك، وأعطيت النبي ﷺ ثمانين مثقالاً من الذهب، يقول زيد بن سعنه: فأخذها النبي ﷺ كلها وأعطاها لهذا الأعرابى وقال: «**اذْهَبْ إلى قَوْمِكَ فَأَغْثْهُمْ بِهَذَا المَالِ** » فانطلق الأعرابي بالمال كله، ولم يمض غير قليل من الوقت، ورسول الله ﷺ مع أبي بكر وعمر وعثمان ونفرٍ من أصحابه بعد أن صلى جنازة على صاحب له وأتى إلى جدار

ليجلس إليه في ظله فاقترب منه زيد بن سعنه ونظر إلى النبي ﷺ بوجه غليظ وأخذ بقميص النبي ﷺ وردائه وهز الحبر اليهودى رسول الله ﷺ هـــزًّا عنيفـاً وهو يقول له: « أَدِّ مَا عَلَيكَ مِنْ حَقٍّ وَمِنْ دَيْنٍ يَا مُـحَمَّد! فوالله مـا علمتكم يا بني عـبدالمطلب إلا مُطلاً في أداء الحقـوق وسداد الديون».

فالتفت إليه عمـر بن الخطاب وعينه تدور وقال له: يا عدو الله أتقول لرسـول الله ﷺ ما أسمع وتفعل برسول الله ﷺ مـا أرى ؟!! والذي نفسي بيده لولا أني أخشى فوته وغضبه لضربت رأسك بسيفي هذا .

يقول زيد بن سعنه: وأنا أنظر إلى النبي ﷺ وإذا بالنبي ينظر إليّ في سكون وهدوء ، ثم التفت المصطفى ﷺ إلى عمر بن الخطاب وقال له: **«يَا عُـمَرُ لَقَـدْ كُنتُ أَنَا وَهُوَ في حَاجَـة إلى غَيْـر ذَلكَ، يا عُمـرُ لَقَدْ كـانَ من الوَاجب عَلَيْكَ أَنْ تَأمُرَني بِحُسنِ الأداءِ وأَنْ تأْمُرَهُ بحُسن الطَّلب...»** فبهت الحبر أمام هذه الأخـلاق السامية، وأمام هذه الروح الوضيـئة العالية من الحبيب المصطفي بأبي هو وأمي ﷺ .

أتدرون ماذا قال الحبيب صاحب الأخلاق العظيمة ؟

التفت الحبيب إلى عمر رضي الله عنه وقال:

«يَا عُـمَـرُ خُذْهُ وَأَعْـطِه حَقَّـهَ وزِدْهُ عِـشْـرِينَ صَـاعًا مِـنْ تَمْرٍ جَـزَاءَ مَـا رَوَّعْتَهُ! !»

يقول زيد بن سعنه: فأخذني عمر بن الخطاب وأعطاني حقي وزادني عشرين صاعاً من تمر.

فقلت له: ما هذه الزيادة يا عمر؟!

فقال: أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدكها جزاء ما روعتك!!

فالتفت الحبر اليهودي إلى عمر وقال: ألا تعرفني؟

قال: لا، قال: أنا زيد بن سعنه.

قال عمر: حبر اليهود؟! قال: نعم.

فالتفت إليه عمر وقال: فما الذي حملك على أن تقول لرسول الله ﷺ ما قلت؟ وعلى أن تفعل برسول الله ﷺ ما فعلت؟

فقال زيد: والله يا ابن الخطاب ما من شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفته في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه، ولكنني لم أختبر فيه خصلتين من خصال النبوة .

فقال عمر: وما هما ؟

قال حبر اليهود: الأولى: يسبق حلمُه جهله، والثانية: لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، أما وقد عرفتهما اليوم في رسول الله فأشهدك يا عمر أني: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ .

أيها الأحبة:

ماذا أقول أمام هذه الأخلاق ؟! وبأي لغة أعلق ؟!

وأنا أسأل الآن وأقول: هل في لغة البشر ما أستطيع أن أعبر به عن هذه الأخلاق السامقة ؟ ألا ورب الكعبة فلا !!

فلندع المشهد يتألق سمواً وروعةً وجلالاً ولتردد معي أيها المحب للحبيب المصطفى ﷺ هذه الشهادة العظيمة من خالقه جل وعلاً: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: ٤].

وروى ابن اسحاق بسند صحيح مرسلٍ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: أخرجه الطبراني عن أنس ورجاله رجال الصحيح من حديث عروة بن الزبير أن عمير بن وهب أُسِرَ ولده وهب بن عمير في غزوة بدر فجلس عمير بن وهب مع صفوان بن أمية وكان على الكفر والشرك، جلسا إلى جوار الكعبة فتذكرا يوم بدر، فقال عمير بن وهب

لصفوان بن أمية: والله لولا دَيْنٌ عليّ وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمد لأقتله، فإن لي قبلهم علة، ابني أسيرٌ في أيديهم، فاغتنمها صفوان بن أمية وقال: عليَّ دَيْنُك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي، لا أمنع شيئاً عنهم .

فقال له عمير: فاكتم شأني وشأنك، قال: أفعل

فانطلق عمير إلى المدينة وقد شحذ سيفه وسَّمه، فلما أناخ راحلته على باب المسجد رآه الفاروق الملهم عمر بن الخطاب متوشحاً سيفه .

فقال عمر: هذا عدو الله عميرُ بن وهب والله ما جاء إلا لشر .

ثم أخذ عمر بحمالة سيفه في عنقه، فلبَّبه بها ثم أدخله على رسول الله ﷺ :

فقال النبي ﷺ : «**أَرْسِلهُ يَا عُمرُ**»، ثم قال: «**ادْنُ يَا عُمَيْرُ**»، فدنا من رسول الله ﷺ ثم فقال له رسول الله ﷺ: «**ما الَّذي جاءَ بكَ يا عُمير؟**»

فقال: ابني أسيرٌ في أيديكم جئت لتحسنوا في فدائه .

فقال النبي ﷺ : « **اصدُقْني يَا عُمَيْرُ، مَا الَّذي جَاءَ بكَ**»؟

قال: ما جئت إلا لهذا

فقال النبي ﷺ: «**فَمَا بالُ السَّيف في عُنُقكَ ؟**»

فقال: عمير بن وهب : قبحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئاً يوم بدر ؟!

فقال ﷺ: «**اصْدُقْني يَا عُميرُ ما الَّذي جَاءَ بكَ؟**»

قال عمير: ما جئت إلا لذلك .

فقال النبي ﷺ : «**بَلْ جَلَسْتَ أنتَ وصَفوَانُ بنُ أُميَّةَ في حجْرِ الكَعْبَة فَذَكَرتُما أهلَ بَدْر منْ قُرَيْش، ثُمَّ قلتَ لصفوانَ: لَوْلاَ دَيْنٌ علي وعَيَالٌ أَخْشى عَلَيْهِم الضَّيعَة بَعْدِي، لَركبْتُ إلى مُحَمَّد لأَقْتُلَهُ، فَتَحَملَ لَكَ صَفْوَانُ بِدَينكَ**

وعيَالكَ علَى أن تَقْتُلَني، واللَّهُ حَائلٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذلكَ ...» .

الله أكبر!!

فقال عـمير بن وهب: أشهـد أنك رسول الله ﷺ، فـوالله هذا أمـر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم أنه ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هدانى للإسـلام، وساقنـي هذا المساق ثم شـهـد شهـادة الحق، فقـال رسول الله ﷺ: « فَقِّهُوا أَخَاكُم في دينه وأقْرِئوه القُرآنَ، وأَطْلِقُوا لَهُ أَسيرهُ»

هل في لغة البشر ما أستطيع أن أعبر به عن هذه الأخلاق السامية ؟!

وروى الإمام أحـمد بسند صحيـح من حديث أبي سعيـد الخدري ـ رضي الله ـ عنه أنه قـال: لما قسم النبي ﷺ الغنائم يـوم حنين، أعطى لقومه من قريش ولسائر العرب ولم يعـط الأنصار من الغنائم شيئًا حتى وجد الأنصار في أنفـسهم على رسول الله ﷺ حتى قـال قائلهم: والله لقد لقى رسول الله ﷺ قومه، فلما سمع سعد بن عبادة الأنصارى هذه العبارة انطلق إلى الحـبيب المصطفي ﷺ وقال: يا رسـول الله بأبي أنت وأمي لقد وَجَدَ الأنصار عليك في أنفسهم .

فقال النبي ﷺ: «فِيمَ يا سَعْدُ ؟»

فـقال سـعـد: لأنك قسـمت الغنائم وأعطيت قـومك من قـريش، وأعطيت سائر العرب ولم تعط الأنصار .

فقـال النبي ﷺ: «اجْمَعْ لِيَ الأنْصَـارَ يَا سَعْدُ»، فجمع سعـد بن عبادة الأنصار رضوان الله عليهم وخرج النبي ﷺ على الأنصار وقام النبي ﷺ خطيباً في الأنصار:

فحـمد الله وأثنى عليـه ثم قال: « يَا مَعْـشَرَ الأَنْصـار أَلَمْ آتكُم ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ، وعَالةً فأَغْنَاكُمُ اللَّهُ، وأعْدَاءً فألَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبكُم » .

فسكت الأنصار فالتفت إليهم نبينا الحبيب المختار وقال:

«أَلاَ تُجِيبُون يَا مَعْشَرَ الأَنْصار ؟»

فقالوا: ماذا نقول وبماذا نجيب؟! المنّ لله ولرسول الله ﷺ .

فقال الحبيب المصطفى ﷺ: « وَاللَّه لَوْ شِئْتُم لَقُلْتُم فَصَدَقْتُم: جِئْتَنَا طَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ وعَائلاً فَوَاسَيْنَاك، وجِئتَنَا مَخْذُولاً فَنَصَرْنَاكَ، وجِئتَنا خَائفًا فَآمَنَّاكَ»

فقال الأنصار: « المَنُّ للَّه ورَسُوله ﷺ» .

فقال النبي ﷺ: « يَا مَعْشرَ الأَنْصَار لَقَدْ وَجَدْتُم في أَنْفسكُم عَليّ في لُعَاعة تألَّفت بهَا قُلُوبًا دَخَلت الإِسْلامَ حَديثًا، وَوَكَّلتكُم أَنْتم إِلَى مَا مَنَّ اللَّهُ عز وجل به عَلَيكُم منَ الإِسْلام، يَا مَعْشرَ الأَنْصَار: أَمَا تَرْضُونَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بالشَّاة والبَعير إلى رحَالهم، وتَذْهَبُونَ أنتم برَسُول اللَّه إلى رحَالكُم، يَا مَعْشَرَ الأَنْصَار: وَاللَّه لَوْ سَلَكَ النَّاسُ شعبًا وَسَلَكَت الأنصارُ شعبًا لَسلكتُ شعْب الأنْصار، واللَّهَ لَوْلاَ الهجْرةُ لكُنْتُ رَجُلاً منَ الأنْصَار فَاللَّهُمَّ ارْحَم الأَنْصَارَ، وأَبْنَاءَ الأَنْصَار، وأَبْنَاءَ أَبْنَاء الأَنْصَار»(١) .

فبكى الأنصار ـ رضوان الله عليهم وأرضاهم ـ وارتفعت أصواتهم بالبكاء واخضلت لحاهم وقالوا على لسان رجل واحد لصاحب الأخلاق السامية: رضينا بالله ربًا وبرسول الله ﷺ قسمًا ومغنمًا .

هل في لغة البشر ما نستطيع به أن نعبر به عن هذه الأخلاق من رسول الله ﷺ .

يوم أن قال لهم: « لَوْلاَ الهجْرَةُ لَكُنْتُ منَ الأَنْصار » ويوم أن كرمهم هذا التكريم ؟!ألا ورب الكعبة فلا . . فلتردد معي أيها المسلم هذه الشهادة الزكية التي زكاه بها ربه وخالقه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤].

---

(١) رواه البخاري (٨/ ٣٧ ـ ٤٢) في المغازي، باب غزوة الطائف، ومسلم رقم (١٠٦١) في الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام .

فَـمَـبْلَغُ العِلـمِ فِـيـهِ أَنَّهُ بَشَـرٌ ... وأَنَّهُ خَـيْـرُ خَلْـقِ اللَّـهِ كُلِّـهِمُ

* * *

أَغَـرُّ عَـلَيـهِ للنبـُوة خَـاتمٌ ... مِـنْ نُور يَـلُوحُ وَيَشْـهَـدُ

وَضَمَّ إلالَـهُ اسْمَ النَّبيِّ لاسْـمِـه ... إذَا قَـالَ في الخَـمْسِ المُؤَذِّنُ أَشْـهَـدُ

وَشَقَّ لـهُ مِنَ اسْـمِـهِ لِيُـجِـلَّهُ ... فَذو العَـرْشِ مَحْمُـودٌ وهذا مُحَـمَّدُ

أيها الأحبة: والله الذي لا إله غيره لو ظللت الدهر كله أتحدث عن أخلاق رسول الله ﷺ ما استطعت، ولكن لخصت عائشة الصديقة الحصان الرزان هذا الخلق العظيم في كلمات محددة فقالت: كان خلقه القرآن.

كان رسول الله ﷺ قرآناً متحركا بين الناس.. ولقد جمع الله جل وعلا فى شخص الحبيب المصطفى ﷺ أشخاصًا كثيرة ومتعددة فى آن واحد.

فهو رسول من عند الله يتلقى الوحي من السماء، ليربط السماء بالأرض بأعظم رباط وأشرف صلة !!

وهو رجل سياسة من طراز فريد، يقيم أمةً ودولةً من فتات متناثر، فإذا هي بناءٌ شامخ لا يطاوله بناء تذل الأكاسرة، وتهين القياصرة، وتغير مجرى التاريخ فى فترة لا تساوي في حساب الزمن شيئاً !!

وهو رجل حرب من طراز أوحد، يقود الجيوش، ويخطط للمعارك، ويتخذ غرفةً للعمليات عن بعد من أرض المعركة، وهذا لم يعلمه التاريخ إلا فى القرن الحالى، وقام ليختار القادة فاختار قائداً للميمنة وقائدًا للميسرة، بل ولما انفضت الجموع فى حُنَين قام الحبيب المصطفى ﷺ رافعًا سيفه فى ساحة الوغى وميدان البطولة والشرف، ذلكم الميدان الذي تصمت فيه الألسنة الطويلة، وتخطب فيه السيوف والرماح على منابر الرقاب .

وقف الحبيب المصطفى ﷺ يوم أن انفض الأبطال والقادة ليعلن بأعلى صوته قائلاً: «أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبَ أَنَا ابنُ عَبدِ المطَّلِبِ».

« اللَّهمَّ نَزِّل نَصْرَكَ».

قال البراء: كنا والله إذا احمرَّ البأسُ نتَّقى به وإن الشجاع منا الذي يحاذى به (يعنى رسول الله ﷺ)[1] .

وهو أب وزوجٌ ورب أسرة كبيرة تحتاج إلى كثيرٍ من النفقات، من نفقات الفكر . . من نفقات الشعور . . من نفقات التربية . . من نفقات النصح . . فضلا عن نفقات المال .

فيقوم الحبيب المصطفى ﷺ بهذا الدور على أعلى نسقٍ شهدته الأرض، وعرفه التاريخ .

وهو إنساني من طراز فريد كأنه ما خلق إلا ليزيل الدموع، كأنه ما خلق إلا ليمسح الآلام عن القلوب . . يمنح الناس وقته، وفكره، وعقله، وماله، ونصحه، وروحه وشعوره كأنه ﷺ ما خلق إلا ليسعد الناس في الدنيا قبل الآخرة .

وهو قبل كل ذلك، وبعد كل ذلك قائم على أعظم وأشرف دعوة شهدتها الأرض، أخذت عقله، وفكره، وروحه ، ودمه .

فيقوم المصطفى ﷺ بهذه الأدوار كلها كأنه ما خلق إلا لكل دورٍ من هذه الأدوار، ليقوم به على أعلى نسقٍ وأكمل صورة.

---

(١) رواه البخارى (٨/ ٢١ ـ ٣٧) فى المغازى، وفى الجهاد، باب من قاد دابة غيره فى الحرب، ومسلم رقم (١٧٧٦) فى الجهاد ، باب غزوة حنين، والترمذى رقم (١٦٨٨) فى الجهاد، باب ما جاء فى الثبات عند القتال .

فلقد بعث الله نبيه المصطفى ﷺ قدوةً طيبةً فقال: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٢١]

والسؤال الآن: هل بعث الله نبـيه المصطفي لتكون سيرته قـصةً تُتلى في يوم من أيام شهر ربيع ؟! ما أرخصه من حب !!

ما أرخصه من اتباع وما أرخصه من تقدير !!

أمةٌ والله لا تعرف قدر نبيها !!

هل بعث الله نبـيه المصطفي ﷺ لتكون سيرته قصـة تتلى كقصة أبي زيد الهلالى؟!! وكأننا ما كلفنا أن نحول هذه السيرة في حياتنا إلى واقع عملي ومنهج حياة .

حاول أعداء الأمة أن يحُولوا بين الأمـة وبين رسولها ٠٠ أن يحولوا بين الأمة وبين سـيرة النبي العظيم الخـاتم؛ لتظل سيرة النبي في حـياة الأمة قصة تُتلى، وحكاية جميلة ترددها الألسنة، وقصائد مزوقة، وكلمات منمقة، يحتفل بها عِليَةُ القوم وسادة الناس .

تحتفل الأمة برسول الله ﷺ عَبْرَ قصيدة، أو عَبْرَ أبيات شعرية، أو عبر خطبة رنانة، أو عبر ندوة طنانة، أو عبر ليلة ماجنة ٠٠٠ ليلة يؤتى فيها براقص يسـمـونه « مَـدَّاحًـا » يقف هذا الراقص بين جـموع تصـرخ، وترقص!! .

أليس في بلادنا من الفقراء من هم في أمس الحاجة إلى هذا المال٠٠ اتقوا الله يا أيهـا الناس والله إنه الكذب٠٠إنه الكذب٠٠إنه الدَّجل٠٠ ينفق في ليلة من هذه الليالى الآلاف بحجة أننا نحتفل بذكرى رسول الله ﷺ ٠٠أنحتفل بذكرى رسول الله بالموسيـقى والغناء ومزامير الشيطان ٠٠ إنه الدَّجل بعينه ٠٠ بدعة منكرة لا أصل لها ولا وجود ٠

والله ما فعل ذلك أبو بكر.. والله ما فعل ذلك عمر.. والله ما فعل ذلك عثمان.. والله ما فعل ذلك عليّ.. إن الإحتفال برسول الله ﷺ لا يتمثل في هذه الليالي الساهرة الماجنة التي يختلط فيها الشباب بالفتيات وترتكب فيها جُل المحرمات وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أهذا هو الحب لرسول الله ﷺ ؟!

أهذا هو الحب يا عباد الله ؟!!

أيها الأحبة: لا يعلم قدر رسول الله إلا الله جل وعلا، فأنزل الله القرآن ليربي ويعلم أصحابه وليعلم المسلمين من بعدهم كيف يعاملون رسول الله ﷺ وكيف يوقِّرون رسول الله ؟

وهو عنصرنا الثاني من عناصر هذا اللقاء

القرآن يعلم ويربي :

قال الله عز وجل: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾** [الحجرات: ١-٣]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: أي لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة

قال مجاهد: أى لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ حتى يقضي الله على لسان رسوله ﷺ .

قـال الضحـاك: أى لا تفضـوا شيـئاً من شـرائع دينكم دون الله ورسوله ﷺ .

قال القرطبي : لا تقدموا قولا ولا فعلا على قول الله وعلى قول وفـعل رسـول الله ﷺ ،فإن من قـدم قوله وفعله على قـول وفعل رسول الله ﷺ فإنما قدمه على الله لأن رسول الله ﷺ إنما يأمر بما أمر الله عز وجل به .

قال الشنقيطي: ﴿**لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ ويدخل في ذلك دخولا أوليًّا تشريع مالم يأذن به الله، وتحريم مالم يحرمه، وتحليل مالم يحلله، إذ لا حلال إلا ما أحله الله على لسان رسوله ﷺ ولا حرام إلا مـا حرمـه الله ورسوله، ولا دين إلا مـا شرعـه الله على لسان رسوله ﷺ.

والسؤال الآن: هل امتثلت الأمة أمـر الله فتأدبت مع رسول الله ﷺ؟!

هل امتثلت الأمة أمر الله فلم تقدم قولها وحكمها وفعلها على حكم وقول وفعل رسول الله ﷺ؟!

والجواب: لا، والواقع خير شاهد .

وهذا هو عنصرنا الثالث من عناصر اللقاء أرجىء الحديث عنه إلى ما بعده جلسة الاستراحة وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفي أثره إلى يوم الدين .

أما بعد فيا أيها الأحبة الكرام:

« الواقع خير شاهد »:

نعم أيها المسلمون : إن واقع الأمة خير شاهد على أن الأمة لم تمتثل أمر الله وأمر رسوله .

أمة تدعي أنها تحتفل برسول الله ﷺ في شهر ربيع في الوقت الذي نحَّت فيه شريعته وسخرت فيه من سنته !!

هل هذا حب ؟!! هل هذا احتفال ؟!!

أين السنة ؟! أين شريعة رسول الله ﷺ ؟!

هل تعلمون أن الأمة الآن قد حكَّمت في الأموال والأعراض والدماء والفروج القوانين الوضعية الفاجرة الجائرة وعطلت شريعة النبي المصطفى ﷺ ؟!

إن الأمة قد عطلت كتاب الله !! وعطلت سنة رسول الله ﷺ !! واستبدلت بالعبير بعرًا، بالثريا ثرى، وبالرحيق المختوم حريقاً محرقاً مدمراً.

أين الأمة من دماء تسفك ؟! وأشلاء تمزق ؟! وأعراض تنتهك ؟! ومقدسات تدنس ؟! وهي تغني لرسول الله ﷺ ؟!!!

والله إنها أمة لا تستحي .. أين الأمة من قول رسول الله ﷺ :

« مَثَلُ المُؤْمنينَ في تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ وتَعَاطُفِهم كَمَثَلِ الجَسَدِ الوَاحِد، إذا اشْتكَى منهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهرِ والحُمَّى »[1].

المسلمة في البوسنة تصرخ ،والمسلمون في بلاد المسلمين يأكلون عروسة المولد!! المسلمة في البوسنة ينتهك عرضها ولا زال الكبار يرقصون ويغنون بحب الرسول ﷺ !!

أين أنتم من رسول الله ﷺ ؟! أين أنتم من محبته ﷺ ؟!

المسلمة من أربع سنوات تصرخ،وأخيراً قالت: أيها المسلمون إن عجزتم عن مَدنا بالسلاح فأمدّونا بحبوب منع الحمل حتى لا تعظم المصيبة !!

أين المسلمون الراقصون ؟! أين المسلمون الذين يتغنون في الليل والنهار ؟!! المسلمة في البوسنة تصرخ وتقول:

أنَا لا أُريدُ طَعَامَكُمْ وشَرابَكُمْ ... فَدَمي هُنا يا مُسلمونَ يُرَاقُ
عِرْضي يُدنَّسُ أيْنَ شيمتُكُم ... أمَا فيكُم أَبيٌّ قَلْبهُ خَفَّاق
أُخْتَاهُ... أُمَّتُنَا الَّتي تَدْعُونها ... صَارتْ عَلى دَرْبِ الخُضُوعِ تُسَاقُ
أَوْدَتْ بَهَا قَوْميَّةٌ مَشْئومَةٌ ... وسَرى بهَا نَحْوَ الضَّيَاعِ رِفَاقُ
إنْ كُنت تَنْتظرِينَها فَيَنْتَهي ... نَفَقٌ منْ بَعْده أنْفَاقُ
فاهدَ إلى الرَّحْمَنِ كفَّ تَضرُّعٍ ... فَلَسَوْفَ يَرْفَعُ شَأْنك الخَلاَّقُ
لاَ تَيْأسي فَأَمَام قُدْرة ربِّنَا ... تَتَضَاءلُ الأنْسَابُ والأعْرَاقُ

(١) رواه البخاري (١٠/٣٦٦) في الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ، ومسلم رقم(٢٥٨٦) في البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم.

يا من احتضنت طفلك في صدرك، وضحكت ملء فمك، وأكلت ملء بطنك لقد أُخذَ الطفل من أحضان أمه على أرض البوسنة ،بل في أرض الصومال .

والله الذي لا إله غيره رأيت بعيني على شاشات التلفاز في أمريكا منظراً يخلع القلب رأيت امرأة صومالية خرجت في ظل هذه الحرب الطاحنة وخرج معها أبناؤها في صحراء مقفره، نفذ الطعام، ونفذ الشراب، وسقطت الأم من الإعياء وهي تحمل رضيعها، وتحمل طفلاً آخراً على ظهرها وأطفالها يجرون ثيابها من خلفها ،تمشي هذه الأم في الصحراء ونامت وطال نومها فقبض الله روحها وماتت، وانطلق الأطفال يبحثون عن طعام وشراب، فلما لم يجد الأطفال طعامًا ولا شرابًا انطلق الأطفال يفتشون عن ثدى الأم، فالتقموا الثدى فلما جف الثدى ولم يعد يعطي لبنا، انطلق الأطفال يبحثون عن شيء آخر، فلم يجدوا، فانقضوا على لحم أمهم ليأكلوه !!

هذه صورة في الصومال على مرأى ومسمع من العالم كله.

وفي البوسنة ينتزع الطفل ليشوى ويباع أمام أمه ... طفل يباع أمام أمه !!

أطفَالُنا نَامُوا عَلَى أَحْلامِهِم ... وعَلَى لَهيبِ القاذفات أفَاقُوا

أَطْفَالُنا بِيْعُوا وأروبا الَّتي تَشْرِي ... فَفِيْهَا رَاجَت الأَسْوَاقُ

أَيْنَ النِّظَامُ العَالَمي... أمَا لهُ أثرٌ ... أَلَمْ تَنْعَقُ بِهِ الأَبْوَاقُ

يَا مَجلسَ الأَمْنِ الَّذي في ظلِّه ... كُسَرِ الأَمَانُ وَضُيِّعَ المِيثَاقُ

أَوَ وما يُحركُكَ الَّذي يَجْرِي لَنَا ... أَوْ مَا يُثيرُكَ جُرحُنا الدَّفَّاقُ

يُعْفَى عن الصِّربِ الَّذين طَغَوا ... وَتَجَبَّرُوا ويُفْرَدُ بالعقَاب عراقُ

وَحْشِيَّةٌ يَقِفُ الخَيَالُ أَمَامَهَا ... مُتَضائلاً وتَمُجُّهَا الأَذْواقُ

أين الذين يغنون ويرقصون بحب رسول الله ﷺ ؟!!

أين هم من هذه المآسي المروعة في الصومال في الشيشان في طاجكستان، في تركستان، في كشمير، في الفلبين، في كل مكان .

فَفَي كُلِّ بَلَد عَلَى الإسلام دَائِرَةٌ ... ينْهدُّ منْ هَوْلهَا رَضْوَى وسَهْلانُ

ذَبْحٌ وصَلْبٌ وتَقْتِيلٌ بإخْوتَنا ... كَمَا أعدَّتْ لتُشْفي الحقْدَ نيْرَانُ

يَسْتَصْرِخُونَ ذَوي الإيمَان عَاطفةً ... فَلَمْ يُغثْهُم بيَوم الرَّوْع أعْوَانُ

فَهلْ هَذه غَيْرَةٌ أمْ هَذه ضعَةٌ ... للكُفْر ذكْرٌ للإسْلاَم نسْيَانُ

وأخيرا:

« **هذا هو الحب أيها المحب** » :

فرقٌ كبيرٌ بين حبٍ مبني على الابتداع وحب مبني على الاتباع .

فالحب الصادق هو الذي يبنى على الاتباع .. امتثال أمر النبي ﷺ، واجتناب نهي النبي ﷺ ...و الوقوف عند حدود النبي ﷺ .

يقول النبي ﷺ: « **وَالَّذي نَفْسي بَيده لاَ يُؤْمنُ أَحَدُكُمْ حتَّى أَكُون أَحَبَّ إلَيْه منْ نَفسه ووَالده وولَده والنَّاس أَجْمَعينَ**»(١) .

لاَ يكتمل الإيمَان في قلبك إلا إذا كان حبك للنبى يفوق حبك لولدك .. لوالدك .. للناس أجمعين، بل لنفسك التي بين جنبيك .

فليسأل كل منا نفسه الآن :

هل أنا أحب رسول الله ﷺ أكثر من حبي لولدي ؟

لا تخدع نفسك ..كن صادقًا مع نفسك وابحث عن إجابة دقيقة

---

(١) رواه البخاري في الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان رقم (١٤)، ومسلم رقم (٤٤) فى الإيمان، باب وجوب محبة النبى ﷺ، والنسائى فيه أيضًا (٨/ ١١٤, ١١٥) باب علامة الإيمان، وابن ماجه فى المقدمة رقم (١٦٧).

لهذا السؤال .

هل حب رسول الله ﷺ في قلبك يفوق حبك لوالدك ؟!

هل حب رســول الله ﷺ في قلبك يفـوق حبك لنفـسك التي بين جنبيك؟!

ففي صحـيح البخاري عن عبدالله بن هشـام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب .

فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحبَّ إليَّ من كل شيء إلا من نفسي فـقـال النبي ﷺ: « **لاَ والَّذي نَفْـسِي بِيَدِه حـتَّى أَكُـونَ أَحبَّ إليْكَ مِنْ نَفْسكَ** » .

فقال له عمر: والله لأنت أحب إليّ من نفسي .

فقال النبي ﷺ: « **الآنَ يَا عُمَرُ** »

والمراد أنه لا يكمل إيمان العبد حتى يكون الرسول ﷺ أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه فضلا عن ماله وأهله وولده .

أحـبتى في الله : إن المحـبـة الصادقـة ليـست كلمـة تقال باللسـان فحسب. فما أسهل الادعاء، ولكن المحبة الحقيقة هي اتباعه ﷺ واقتفاء أثره وامتثال أمره، واجتناب نهيه، فإن المحب لمن يحب مطيع .

وقد ذكر العلماء علامات لمعرفة محبة النبي ﷺ نذكر أهمها باختصار

من أهم العلامات لمعرفة محبة النبي ﷺ .

* فقد رؤيته أشد من فقد أي شيء آخر في الدنيا .

بمعنى أنه لو خير بين رؤية النبي ﷺ إن كان ذلك ممكنا وبين أن يفقد في سبيل ذلك أي شيء هام من أغراض الدنيا لاختار أن يرى حبيبه ﷺ.

* يتمنى حضور حياته عليه الصلاة والسلام كي يبذل نفسه وماله دونه.

* يمتثل أوامره ويجتنب نواهيه .

* ينصر سنته ويذب عن شريعته .

ولقـد ضرب الصـحـابة الكرام أروع الأمثلـة لأسمى مـراتب الحب لرسول الله ﷺ وأكتفي بهذا المشهد المهيب لهذا الصحابي الجليل الذي يعلمنا درسًا في الحب الصادق ليس له نظير .

ها هو خبـيب بن عدي ـ رضي الله عنه ـ يصلبه المشـركون في مكة ويحتشدون حوله في شماته ظاهرة ويشـحذ الرماة رماحهم لتمزيق هذا الجسد الطاهر في جنون ووحشية، فالتفت إليهم خبيب ـ رضي الله عنه ـ قائلاً: دعوني أركع ركعتين، فتركوه فصلاهما فلما سلم قال: والله لولا أن تقولوا أن ما بي جَزَعٌ لزدت .

ثم قال : اللهم أحصهم عددًا واقتلهم بددًا ولا تبق منهم أحدًا

فاقترب منه أبو سـفيان قائلا: أيسرُّك أن محمـدًا عندنا نضرب عنقه وإنك في أهلك ؟

فقال : لا والله ما يسـرُّني أني في أهلي وأن محمدًا ﷺ في مكـانه الذي هو فيه تصيبه شوكةٌ تؤذيه[1] .

بالله هل في لغـة البشـر من الكلمات مـا نستطيع أن نـعبر بهـا عن مدلول هذا الحب ؟

وجوابـي: اللهم لا . ألا فلندع المشهـد بروعتـه وجلاله يعـمل في القلوب عمله دون تدخل أو تعليق !!

أيها الأحـباب هذا هو الحـب والحديث عن محـبة الصـحب الكرام

---

(١) انظر القصـة كاملة في خبر غـزوة الرجيع في صحـيح البخاري في كتـاب المغازى رقم (٤٠٨٦) باب غزوة الرجيع ورعل زكوان وبئر معـونة وحديث عضل والقارة وعاصم بن الثابت وخبيـب وأصحابه، . ومسند أحمد (٧٩١٥)، وابن سعـد (٢/ ٥٥)، وغيرهم وانظر أيضا زاد المعاد (٣/ ٢٤٤، ٢٤٥) ط. مؤسسة الرسالة .

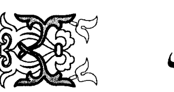
لرسول الله ﷺ حديث طويل جميل فعلينا أن نراجع أنفسنا بصدق.

أين نحن من هؤلاء الأطهار ؟؟

وهل نحن حقًّا محبون للحبيب المصطفى ﷺ؟!

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجمعنا بالحبيب المصطفى ﷺ وأن يسقينا بيده الشريفة شربة هنيئة لانظمأ بعدها أبدا حتى نستمتع بالنظر إلى وجه الله جل وعلا . . .

. . . الدعاء



وقفة مع النفس



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله،وصفيه من خـلقه وخليله، أدى الأمانة، وبلّغ الرسالة، ونصح للأمة فكشف الله به الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فاللهم اجـزه عنا خير مـا جزيت نبـيًّا عن أمـته، ورسولاً عن دعـوته ورسالته.

وصلِّ اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آلـه وأصحابه وأحبابـه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفي أثره إلى يوم الدين .

أما بعـد فحـياكم الله جـميعـا أيها الآباء الفـضلاء، وأيهـا الأخوة الأحباب الكرام،وطبـتم جميعـا وطاب ممشاكم وتبوأتم جمـيعاً من الجنة منزلاً .

وأسـأل الله العظيم الكريم جل وعـلا الذي جمـعنا وإياكم في هذا البيت المبارك على طاعـته أن يجمعنى وإياكم في الآخرة مع سـيد الدعاة المصطفى ﷺ في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أحبتي في الله:

عام هجـري جديد قـد أهل علينا اليوم بذكـرياته الكريمة التي تثـير

الجراح والأفراح . . والآلام والآمال في آن معًا .

ولست متحدثاً اليوم عن الهجرة فـقد تحدثنا مرارًا في أعوام ماضية عن الهجرة .

عام يهل علينا . . وعام مضى . . فها هي الأيام تمر والأشهر تجري وراءها تسحب معها السنين،وتجر خلفها الأعمار وتطوي حياة جيل بعد جيل ، وبعدها سيقف الجميع بين يدي الملك الجليل ليسألنا عن الكثير والقليل مصداقًا لقوله سبحانه :

﴿مَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

[الزلزلة: ٧، ٨]

من نفـيس ما قـاله لقـمان الحكـيم لولده: أي بني إنك من يوم أن نزلت إلى الدنيا قد استدبرت الدنيا واستقبلت الآخرة !!

فأنت إلى دار تقبل عليها أقرب من دار تبتعد عنها!!

وكان تَوْبَةُ بن الصِّمَّـة ـ رحمه الله تعالى ـ من أشد الناس محـاسبة لنفسـه فلما بلغ السـتين من عمره تقـريباً. عد أيام سنـواته التي مضت فوجدها تزيد على واحد وعشرين ألف يوم.

فصرخ وقال: ياويلاه . . ياويلاه!!

ألقى ربي بواحـد وعـشـرين ألف ذنب فـكيف وفي كل يوم آلاف الذنوب ؟!!

والناس صنفان:

صنف حاسب نفسه وانتصر عليها وقهرها وجعلها مطية إلى الجنة!!

وصنف ظفرت به نفسه وانتصرت عليه نفسه وأمرته بالشهوات والنزوات فامتثل أمرها فقادته إلى النار!!

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٣٧-٤٠].

وقال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [الشمس: ٧-١٢]

عام مضى وانتهي ولن يعود إلى يوم القيامة، فأبعدنا عن الدنيا عاماً.. وقربنا إلى الآخرة عاماً.

فأحببت أن يقف كل واحد منا مع نفسه وقفة صدق ليحاسبها الآن حساب الشريك الشحيح قبل أن يُحاسب بين يدي الله جلَّ وعلا يوم القيامة. ولذا فإن عنوان لقائنا اليوم مع حضراتكم

«وقفة مع النفس»

وكما تعودنا حتى لا ينسحب بساط الوقت من بين أيدينا سريعًا فسوف ينتظم حديثي مع حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية:

أولا: النفس في القرآن الكريم .

ثانيا: محاسبة النفس.

ثالثًا: مشقة الحساب يوم القيامة.

وأخيرا: أفق ياسابحًا في بحار الغمرات!!

فأعرني قلبك وسمعك أيها الكريم فإن هذا الموضوع والله من الأهمية والخطورة بمكان.

أولاً : « النفس في القرآن » :

لقد وصف الله النفس في القرآن بثلاث صفات، وهي النفس المطمئنة، والنفس اللوامة، والنفس الأمارة بالسوء.

قال تعالى في حق النفس المطمئنة: ﴿ **يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠]

والنفس المطمئنة هي النفس التي اطمأنت بالرضا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولا.

هي النفس التي اطمأنت إلى أمر الله ونهيه.

هي النفس التي اطمأنت إلى وعد الله وخافت من وعيده. هي النفس التي اطمأنت بذكر الله وعبادته وعبوديته.

هي النفس التي اشتاقت لربها جلَّ وعلا.

والنفس اللوامة هي النفس التي قال الله في حقها بل وأقسم بها في قوله: ﴿ **لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ** ﴾ [القيامة: ١-٣]

والنفس اللوامة هي التي تلوم صاحبها على الخير والشر.

تلوم صاحبها على الخير لماذا لم تكثر منه ؟!

تلوم صاحبها على الشر لماذا وقعت فيه ؟!

قال الحسن: إن المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه في كل حالاته، أما الفاجر فإنه يمضي قدمًا لا يعاتب نفسه!!.

فالمؤمن يحاسب نفسه ويعاتب نفسه. أما الفاجر فيرى نفسه في أعلى عليين وفي أكمل درجات التمام والكمال.

أما النفس الأمارة بالسوء فهي التي قال فيها ﴿ **إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ**

بالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٣) ﴾ [يوسف: ٥٣]

وهذه النفس هي التي تأمر صاحبها بالشر والمعصية دوماً!!وتريد أن تخرجه من طريق الهداية إلى طريق الغواية والضلال!!

هذه النفس إن أهملها صـاحبهـا وأهمل حسابها قـادته إلى الهلاك والخسران في الدنيا والآخرة.

وإن استعان بالله جل وعـلا ووقف لها بالمرصاد وحاسبها مـحاسبة الشريك الشحيح قادته إلى الفلاح في الدنيا والآخرة .

وهذا هو العنصر الثاني:

« **محاسبة النفس** » :

قال الله جـلا وعلا: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الحشر: ١٨]

قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ:

يأيها الناس حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزِنُوها قبل أن تُوزنوا!! وتزينوا للعرض الأكبر يوم لا تخفى منكم خـافية.. فإنما يخف الحساب يوم القيامة عمن حاسب نفسه في الدنيا.

وقال ميمون بن مهران :

لا يكون العبد تقيًّا حتى يحاسب نفسه محاسبة الشريك الشحيح .

وقال الحسن البصرى:

إن المؤمن قوَّام على نفـسه،يحاسب نفسـه لله عز وجل،وإنما خف الحسـابُ يوم القيـامة على قومٍ حـاسبـوا أنفسهم في الـدنيا،وإنما شق الحسابُ يوم القيامة على قومٍ أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة .

نعم أيهـا الأحبـاب، فالمسلم إذا حـاسب نفسـه في الدنيا قـبل أن

يحـاسب خف في القيـامة حـسابه وحـضر عند السـؤال بين يدي الله جوابه.

والمحاسبة نوعان: محاسبة قبل العمل ومحاسبة بعد العمل.

محاسبة قبل العمل: لمن أعمل؟ وكيف أعمل؟!

لماذا عـملت ؟! لماذا تكلمت ؟ لماذا صَـمَتُّ ؟ لماذا أحبـبت ؟! لماذا أبغـضت ؟! لماذا واليت ؟! لماذا عاديـت ؟! لماذا أعطيت ؟! لماذا منعت ؟! لماذا أتيت ؟! لماذا دخلت ؟! لماذا خرجت ؟!

هل تبتغي بعملك وجه الله ؟! ثم هل كان عملك هذا موافقا هدي رسول الله ﷺ ؟

فالسؤال الأول عن الإخلاص، والسؤال الثاني عن المتابعة .

فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً صواباً .

والخالص هـو ما ابتغـيت به وجه الله والـصواب هو ما وافـقت به هدي الحبيب رسول الله ﷺ.

ومحاسبـة بعد العمل : إن المؤمن يشمر عن سـاعد الجد والطاعة فإن رأى نقـصًا أتمه، وإن رأى قدمـه قد زلَّت في حُفَـرِ المعاصي وبرك الذنوب تاب وأناب إلى علام الغيوب .

إن رأى أنه مع الغافلين ومـن الغافلين تذكر رب العـالمين وعاد إلى الله سبحانه وتعالى فهو يحاسب نفسه على كل شيء !! يحاسب نفسه على ما تكلم به لسانه،أو مشت رجلاه أو سمعت أذناه .

مصداقـا لقول مولاه: ﴿ **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ [الإسراء:٣٦]

فالمـؤمن الصادق هو الذي يحـاسب نفسـه على كل شيء. المؤمن

الصادق دائما يتهم نفـسه بالتقصير ولا يرى للنفس فـضلا ولا خيراً إلا برحمة الله له .

الأخ الحـبـيب الكريم:حـاسب نفسك الآن وقل لهـا،يا نفس إن العمر هو بضاعتي فإن ضاع العمر فقد ضاع رأس المال ولن أربح أبدًا.

يا نفس لقد أمهلني الله في هذا اليوم الذي أحياه وأعيش فيه الآن. وإذا توفاني فربما تمنيتي الرجعة لتعملي صالحًا.

فتـوهمي يا نفس أنك قد طـلبت الرجعة مـن الله وأعادك الله جلّ وعلا فلا تضيـعي هذا اليوم واعملى صالحاً قبل أن تقـولى كما جاء في كـتـــاب الله: ﴿ **رَبِّ ارْجِعُونِ ۝ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ**﴾

[المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]

فيأتى الجواب كالصفعة «كلا» قال تعالى: ﴿ **كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ [المؤمنون: ٩٩]

ويحك يانفس!! إن كنت قد تجرأت على معصية الله وأنت تعتقدين أن الله لا يراك فما أعظم كفرك بالله !!.

ويحك يا نفس!!إن كنت قد تجرأت على معصية الله مع علمك أن الله يراك فما أشد وقاحتك وأقل حيائك من الله.

ويحك يا نفس!!هل تعرفين قدر نعمة الإسلام!!

يا نفس هل عشت بالإسلام وبذلت للإسلام!!

يا نفس هل حققت التوحيد لله جلّ وعلا!!

يا نفس هل استعنت بالله في كل أمر!!

يا نفس هل أخلصت العبادة لله وحده!!

يا نفس هل أذعنت لشرع الله وحده!!

يا نفس هل حافظت على الصلاة!!

هل حافظت على صيام رمضان، هل حافظت على الزكاة والحج مع قدرتك!!

يا نفس هل حرصت على بر الوالدين. يانفس هل صدقت الوعد ووفيت العهد!!

يا نفس هل أعطيت من حرمك ووصلت من قطعك. وعفوت عمن ظلمك!!

يا نفس هل أحسنت إلى الجيران؟ هل أحسنت إلى الناس في كل مكان؟ هل تخلقت بأخلاق الإسلام؟ هل حرصت على قراءة القرآن؟ هل حرصت على قيام الليل لله جل وعلا!!

ويحك يانفس إلى متى تعصين وعلى الله تجترئين؟!

يا نفس إن القبر بيتك ،والتراب فراشك ،والدود أنيسك ،والموت موعدك!!

ويحك يا نفس أما تنظرين إلى أهل القبور ،كانوا كثيرا وجمعوا كثيراً فأصبح جمعهم بورًا، وبنيانهم قبورًا، وأملهم غرورًا !!

ويحك يا نفس أمالك إليهم نظرة ؟!!

أما لك فيهم عبرة !! أتظنين أنهم دعوا إلى الآخِرةِ وأنت من المخلدين؟!! هيهات .. هيهات .. ساء ماتتوهمين !!

ويحك يانفس.. كأنك لا تؤمنين بيوم الحساب!!

ويحك يانفس. أما تخافين من سوء الخاتمة!!

ويحك يا نفس أما تخافين من عذاب القبر وأيامه.. أما تخافين من سكرات الموت وآلامه..أما تخافين من الحساب ودقته..أما تخافين من الصراط وحدته!!

أما تخافين من النار والأغلال والأهوال !!

أما تخافين أن تحجبي عن النظر إلى وجه الكبير المتعال!!

ويحك يا نفس .. اعملي قبل أن لا تعملي !!!

وحاسبي قبل أن تحاسبي !!!

فإن الوقوف بين يدي الله طويل .. وإن الحساب عسير .. وإن الخطب كبير !!

وهذا هو عنصرنا الثالث من عناصر هذا اللقاء

« مشقة الحساب يوم القيامة » :

أخي الحبيب : هل فكرت في يوم سيتولى حسابك فيه ملك الملوك جلّ وعلا ؟!! هل فكرت في هذا المشهد ؟!

ستخرج من قبرك حافيًا عاريًا كما في صحيح البخاري ومسلم من حديث عائشة أن النبي ﷺ قال:

« يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَة حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً»[1] .

حفاة: لا يلبسون نعالاً. عَراةً: لا يلبسون ثيابًا.

غرلاً: (جمع أغرل) وهو الطفل قبل ختانه!!

ستحشر إلى الله بهذه الهيئة وتصور معي هذه المشاهد التي تخلع القلوب !!

في أرض المحشر والناس في طريقهم للحساب بين يدي الله جل جلاله كما في الحديث الذي رواه الترمذي بسند حسن يقول ﷺ:
«يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَة ثَلاثَةَ أَصْنَاف صِنْفًا مُشَاةً وصِنْفًا رُكْبَانًا وصِنْفًا

---

(١) رواه البخاري (١١/٤٣٣) في الرقاق، باب الحشر، ومسلم رقم (٩٥٨٢) في الجنة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، والنسائي (٤/٤١١) في الجنائز، باب البعث.

يَمْشُونَ عَلَى وُجُوههم» قيل : يا رسول الله ،وكيف يمشون على وجوههم؟قال: «**إنَّ الَّذِي أَمْشَاهُم عَلَى أَقْدامِهِم قَادرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيهِمْ عَلَى وُجُوهِهِم، أَمَا إنَّهُم يَتَّقُونَ بوجُوهِهِم كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ**»[1]

الله أكبر . . اللهم سَلِّم . . سلم يارب العالمين .

صنفًا مشاة يحشرون إلى الله جلَّ وعلا وهم يمشون على أقدامهم .

وصنفًا ركبانًا يركبون في هذا اليوم العصيب ؟!

نعم يركبون نجائب من نجائب الآخرة عليها سُرُج من الذهب،لا يعرف عظمتها وقدرها إلا من أعدها جل جلال الله .

قال جلَّ وعلا: ﴿ **يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا** ﴾ [مريم: ٨٥]

وفداً: أى ركبانا،يركب التقي وهو في طريقه إلى الرب العلي .

وصنفًا على وجوههم!! كيف يمشون على الوجوه ؟!

إن الذي أمشى الحية على بطنها بدون أَرْجُل سيمشي الكافر على وجهه يوم القيامة .

قال تعالى ﴿ **وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا** ﴾ [الإسراء: ٩٧]

وقال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا** ﴾ [الفرقان: ٣٤]

وفي صحيح البخاري من حديث أنس سأل رجلٌ رسولَ الله ﷺ فقال: يارسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣١٤١) في التفسير، باب ومن سورة بني إسرائيل وقال الترمذي: هذا حديث حسن ،وللحديث شواهد بمعناه يقوي بها .

فقـال المصطفى ﷺ :« أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمشيه عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(1).

قال قتادة: بلى وعزة ربنا، إنه لقـادر على أن يمشي الكافر يوم القيامة على وجهه. تصور معي هذه المشاهد التي تخلع القلب.

صنف من الناس يحشر كما بينا في «سلسلة الدار الآخرة» يحشر والنور يشرق من وجهه، وعن يمينه، ومن بين يديه.

اللهم اجـعلنا من أهل الأنوار قال تعـالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُـؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾ [الحديد: ١٢]

وصنف يحشر ونـوره على إبهامه يوقد مرة، ويطفـأ مرة، ومنهم من يحشر وهو ينادي في أرض المحشر بالتلبية « لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ.. لَبَّيكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيكَ »... مَنْ هذا ؟!

إنه الذي مات بلباس الإحـرام في الحج والعمرة، يبعث يوم القـيامة ملبياً كما مات ملبياً .

وهذا ينطلق إلى أرض المحـشـر وينبـعث منه دم، اللون لون الدم، والريح ريح المسك.. من هذا ؟! إنه الشهيد في سبيل الله جلّ وعلا.

.ومنهم من يبعث بطنه منتـفخة لا يقوى على القـيام بل ولا على الجلوس يتخبط ينام يمنا وينام يسراً.. من هذا ؟! إنه آكل الربا .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ [البقرة: ٢٧٥]

---

(1) رواه البخـاري رقم (٦٥٣٣) في الرقاق ، باب الحشر، وفي تفـسير سورة الفـرقان، باب قــوله: ﴿ الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا ﴾، ومسلم رقم (٢٨٠٦) في المنافقين باب يحشر الكافر على وجهه .

وهذا آخر يـحشر ومن حـوله من الأطفال الصـغار يدفـعونه دفـعاً ويجرونه جراً وقـد تعلقوا به!! من هذا؟! ومن هؤلاء؟! إنه آكل أموال اليتامى وهؤلاء هم اليتامى!!

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠]

وهذا ينطلق في أرض المحشـر وهو يحمل على كتفه مـا سرقه في هذه الدنيا!!من سرق بيضة!! من سـرق دجاجة!!من سرق نعجة!!من سرق ناقة!!من سرق بنكاً!!من سرق أمة !!

﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران: ١٦١]

ومنهم من يبعث وكأس الخمر معلق في يده.

قال المصطفى ﷺ: « **يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ** »[(١)].

هؤلاء جميعًا بهذه المناظر التي تخلع القلوب قد انقادوا لداعية كريم من عند الله جاء ليقود البشرية كلها للحساب بين يدى الملك جل جلاله

السؤال هَمس !! والكلام تخافت !! وجلال الحي القـيوم قد غمر المكان والنفوس بالهيبة والعظمة والجلال .

قال سبحانه : **﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠) وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾**

[طه: ١٠٨-١١١]

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٨٧٨٢) في الجنة باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت.

بعد هذا الحشر حساب وعرض!! تصور نفسك الآن بين يدي الله جلّ وعلا ليحاسبك عن كل ما قدمت.

الملائكة تحيط بك!!البشرية كلها في أرض المحشر!!الأنبياء والملائكة،الجن،الكل صامت!!الكل خاشع!!وجلال الحي القيوم غمر النفوس والمكان بالهيبة والعظمة والجلال.

وفجأة : أين فلان بن فلان ؟! . . . أنا ؟!

هذا هو اسمي.. ماذا تريدون يا ملائكة الله ؟

أقبل للعرض على الله جلّ وعلا.

فتتخطى الصفوف يا عبد الله صفوف الملائكة وصفوف الإنس وصفوف الجن لترى نفسك بين يدي الملك .

يقول المصطفى ﷺ كما في الصحيحين من حديث عائشة:

«مَنْ نُوقِشَ الحَسَابَ يَوْمَ القيامَة عُذِّبَ».

فقالت عائشة: يا رسول الله، ألم يقل الله:

﴿ فأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِه (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾

[الانشقاق: ٧-٨]

قال رسول الله ﷺ: «**يَا عَائشَةُ لَيْسَ ذَلكَ هُوَ الحسَابُ إنَّمَا ذَلكَ هُوَ العَرْضُ فَمَنْ نُوقِشَ الحسَابَ يَوْمَ القيَامَة عُذِّبَ**»[1].

ومعنى العرض: أن الله سيوقفك بين يديه ليعرض عليك الأعمال

(١) رواه البخارى رقم (١٠٣) في العلم ،باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه ،وفي تفسير سورة ﴿**إذا السماء انشقت**﴾ وفي الرقاق،باب من نوقش الحساب عذب،ومسلم رقم(٢٨٧٦) في الجنة،باب إثبات الحساب،وأبو داود رقم (٣٠٩٣) في الجنائز،باب عيادة النساء،والترمذي رقم (٢٤٢٨) في صفة القيامة،باب من نوقش الحساب عذب .

كلها!!ليعطيك صحيفة.. هذه الصحيفة لم تغادر بلية كتمتها ولا مخبأة أسررتها.

فكم من معصية قد كنت نسيتها ذكرك الله إياها ؟!!

وكم من مصيبة قد كنت أخفيتها أظهرها الله لك وأبداها؟!!

فياحسرة قلبك وقتها على ما فرطت في دنياك من طاعة مولاك!!

اسمع لحبيبك المصطفى ﷺ وهو يقول كما في الصحيحين من حديث عدى بن حاتم :

« مَا منْكُمْ منْ أحد إلاَّ وَسَيُكَلِّمُهُ رَبُّه يَوْمَ القيَامَة لَيْسَ بَيْنَه وَبيْنَه تُرْجُمَانُ، فَيَنْظُرُ أَيْمنَ منْهُ فلاَ يَرَى إلاَّ مَا قدَّم، وينْظُرُ أَشْأمَ منهُ فَلاَ يرى إلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بيْنَ يَدَيْه فَلاَ يَرَى إلاَّ النَّارَ، تلْقَاءَ وَجْهه، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بشقِّ تَمْرة»[1]

فإذا كنت من الصادقين المؤمنين الذين حاسبوا أنفسهم في هذه الدنيا أعطاك الله كتابك بيمينك وقربك منه سبحانه، وأدناك وستر عليك .

يقول المصطفى ﷺ كما في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما :

« يُدْنَي الْمُؤْمنُ منْ ربِّه يَوْمَ القيَامة حَتَّى يَضَعَ ربُّ العزَّة عَلَيْه كَنَفَهُ ويقُرِّره بذُنُوبه وَيَقُولُ: لَقَدْ عَملتَ كَذَا وكَذَا، في يَوم كَذَا وَكَذَا، فَيَقُول الْمُؤْمنُ: ربِّ أَعرفُ أَعْرفُ، فَيَقُولُ اللَّهُ جلَّ وعَلاَ: ولكنِّي سَتَرْتُها عَليكَ

(١)رواه البخاري رقم (٧٥١٢) في التوحيد ،باب كلام الرب عز وجل،رقم(٧٤٤٣) في باب قول الله تعالى :﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ وفي الزكاة ،باب الصدقة قبل الرد وأخرجه مسلم رقم (١٠١٦)في الزكاة،باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة،والترمذي رقم (٢٤٢٧) في صفة القيامة باب في شأن القصاص .

في الدُّنْيَا، وأَغْفِرُهَا لَكَ اليَّومَ»(١) .

فيـعطيك الله كتابك بيـمينك فـيشرق وجهك، ويـنبعث النور من أعضائك، ويقال لك: انـطلق إلى إخوانك.. إلى من هم على شاكلتك من أهل الأنوار فذكرهم بأن مصيرهم اليوم هو الجنة، فينطلق في أرض المحشـر، وكتـابه بيـمينه، والنور يشـرق من وجهـه، ومن بين يديه، ومن أعضائه .

فقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا.

قال الله جل وعلا : ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**﴾ [الحاقة: ١٩-٢٤]

وإن كانت الأخرى أعاذنا الله وإياكم من الأخرى .

أعطاه الله كتابه بشماله أو من وراء ظهـره واسودَّ وجهه وكسى من سرابيل القطران وانطلق في أرض المحشر يصرخ ويقول :

﴿ **يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ**

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٤٤١) في المظالم، باب قول الله تعالى: ﴿**ألا لعنة الله على الظالمين**﴾ وفي تفسير سورة هود ، باب قوله تعالى: ﴿**ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم**﴾ وفي الأدب، وفي التوحيد، ومسلم رقم (٢٧٦٨) في التوبة، باب توبة القاتل وإن كثر قتله.

غِسْلِينٍ (٣٦) لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ (٣٧)﴾ [الحاقة: ٢٥-٣٧]

دَعْ عَنْكَ مَا قَدْ فَاتَ فِي زَمَنِ الصِّبَا ... وَاذْكُرْ ذُنُوبَكَ وَابْكِهَا يَا مُذْنِبُ
لَمْ يَنْسَهُ المَلَكَانِ حِينَ نَسِيتَهُ ... بَلْ أَثْبَتَاهُ وَأَنْتَ لاهٍ تَلْعَبُ
وَالرُّوحُ مِنْكَ وَدِيعَةٌ أُودِعْتَهَا ... سَتَرُدُّهَا بِالرَّغْمِ مِنْكَ وَتُسْلَبُ
وَغُرُورُ دُنْيَاكَ الَّتِي تَسْعَى لَهَا ... دَارٌ حَقِيقَتُهَا مَتَاعٌ يَذْهَبُ
اللَّيْلُ فَاعْلَمْ وَالنَّهَارُ كِلاهُمَا ... أَنْفَاسُنَا فِيهِمَا تُعَدُّ وَتُحْسَبُ

وفي صحيح مسلم من حديث أنس:

ضحك عليه الصلاة والسلام حتى بدت نواجزه.

فقال لأصحابه: « **أَلاَ تَسْأَلُونِي: مِمَّ أَضْحَكُ؟** »

فقالوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

فَقَالَ: «**أَضْحَكُ مِنْ مُجَادَلَةِ العَبْدِ لِرَبِّهِ يَوْمَ القِيامَةِ يَقُولُ العَبْدُ لِرَبِّهِ سُبْحَانَهُ: يَارَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ فَيَقُولُ رَبُّنَا: بَلَى، فَيَقُولُ العَبْدُ: فَأَنَا لا أُجِيزُ شَاهِدًا عَلَيَّ إِلاَّ مِنْ نَفْسِي، فَيَخْتِمُ عَلَى فِيهِ، وَيَأْذَنُ اللَّهُ لأَرْكَانِهِ وَجَوَارِحِهِ أَنْ تَشْهَدَ فَتَنْطِقُ فَتَشْهَدُ عَلَيْهِ فَيُخَلُّ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الكَلامِ بَعْدَ ذَلِكَ فَيَلْعَنُ أَرْكَانَهُ وَجَوَارِحَهُ وَيَقُولُ: سُحْقًا لَكُنَّ، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ**» يقول الله جل وعلا :

﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤) الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ**

وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥) وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ (٦٦) وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٦٠-٦٧]

أيها الحبيب: اعلم بأنك لن تترك سُدَى فما خلقت سدى، وما تركت سدى، وما خلقت عبثاً ولن تترك هملاً.

قال سبحانه: ﴿ **أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى** ﴾ [القيامة: ٣٦]

وقال سبحانه: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ**﴾ [المؤمنون: ١١٥]

أيها الحبيب : لم الغفلة ؟! وإلى متى هذا البعد ؟!

إلى متى هذه الغفلة ؟! إلى متى هذا الانحراف ؟!

أيها الحبيب: أقبل فإن الأنفاس محسوبة، وإن الأيام معدودة وإن أقرب غائب تنتظره هو الموت!!

فيا أيها الوالد ويا أيتها الأخت ويا أيها الأخ ويا أيها الابن الحبيب:

فلنعاهد ربنا أن نمتثل أمره، وأن نجتنب نهيه، وأن نقف عند حدوده وأن نبدأ صفحة جديدة في حياتنا.. لأنك لا تضمن متى سيأتيك ملك الموت.

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفي أثره إلى يوم الدين.

أما بعد فيا أيها الحبيب الكريم:

« **وأخيرا : أفق يا سابحًا في بحار الغمرات** » :

أيها اللاهي · أيها الساهي · أيها المفرط ·· أيها العاصي فلنعد جميعًا إلى الله، ولنبدأ صفحة طاعة مشرقة مع الله.

فلا تيأس ولا تقنط فإن الفقيه هو الذي لا يُقَنِّط الناس من رحمة الله ونعوذ بالله ممن يملأ القلوب قنوطاً.

بل إن الله لا يجمع على العبد أمنين أو خوفين، فمن أَمَّنَكَ في الدنيا عَرَّضَكَ للخوف في الآخرة، ومن خوَّفك في الدنيا وجهك إن شاء الله تعالى لحياة الأمن في الآخرة.

فيا أيها الخيار الكرام:

اعلموا أننا عبيده·· وأنه الرحمن الرحيم .

فأقبل على الله سبحانه. واتهم نفسك وقف على عيوبها وأحذر نفسي وإياك بأن مكمن الخطر أن تنخدع بنفسك!!وأن تغرك نفسك!! وأن تظن أنك على الهدى والخير مع تفريطك وتقصيرك .ولقد قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ في قوله تعالى :﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ**

بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ... ﴾ لو لقيت الله في كل يوم بذنب، فعد أيام عمرك لتقف على حجم الذنوب ولا تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر في حق من عصيت.

اتهم نفسك أخي الحبيب، فهذه عائشة الصديقة التي أنزل الله براءتها من فوق سبع سموات، التي أحبها النبي ﷺ من كل قلبه قال عبدالله بن عمرو كما في صحيح البخاري :مَنْ أحَبُّ النَّاسِ إليْكَ يَا رسُولَ اللَّه؟! قال: «عَائشةُ»، قال: من الرِّجالِ؟ قال: «أبوها» قال ثمَّ مَنْ؟ قَال: «عُمَرُ»[1].

عائشة يسألها رجل ويقول: ياأماه أريد أن أفهم قول الله سبحانه ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر:٣٢]

فقالت عائشة: أى بني، السابق بالخيرات هؤلاء هم الذين سبقوا مع رسول الله وشهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة.

والمقتصد: هم الذين مضوا على أثر رسول الله ﷺ من أصحابه حتى لحقوا به.

والظالم لنفسه: مثلى ومثلك !!!

فقالت :« والظالم لنفسه مثلى ومثلك » فجعلت عائشة ـ رضي الله عنها ـ نفسها معنا .

وهذا عمر فاروق الأمة ينام على فراش الموت ويثني عليه ابن عباس

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٣٨٤)،والترمذي رقم (٣٨٨٥) وقال هذا حديث حسن صحيح وأخرجه أيضاً أحمد في الفضائل (٢١٤) وابن أبي عاصم في السنة رقم (١٢٣٥) والنسائي في الفضائل رقم (٥) .

خير الثناء.

فيقول عمر: والله إن المغرور من غررتموه، وددت والله لو أن لى ملء الأرض ذهبًا لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه. وددت أن أخرج من الدنيا لا لى ولا على.

وخذ هذا المشهد لتابعي عَلَم إنه سفيان الثورى ـ رحمه الله ـ .

لما نام على فراش الموت دخل عليه حماد بن سلمة.

فقال له حماد: أبشر يا أبا عبد الله إنك مقبل على من كنت ترجوه وهو أرحم الراحمين!!

فبكى سفيان الثوري وقال: ياحماد أستحلفك بالله أتظن أن مثلي ينجو من النار ؟!! فلا تغتر بعمل.. ولا تغتر بطاعة.. فنفسك أمارة.

ما وفقت للخير إلا بتوفيقه ومدده فضع أنفك في التراب ذلاً لمولاك.

لا تغتر بجاه.. لا تغتر بمنصب أو كرسي، فلو دام الكرسي لغيرك ما وصل إليك!! ولا تغتر بمال ولا تغتر بأولاد، ولا بطاعة لله.

وكن دائماً على وَجَلْ، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الكافرون.

ومع هذا أقبل على الله بجد ورجولة.

أقبل على طاعة الله امتثل أمره واجتنب نهيه وقف عند حدوده ولا تنشغل بالدنيا، لا تقضي عمرك كله للدنيا، فإن الدنيا إلى زوال وإن العمر إلى فناء. فمهما طالت دنياك فهي قصيرة!! ومهما عظمت دنياك فهي حقيرة!! لأن الليل مهما طال لابد من طلوع الفجر، ولأن العمر مهما طال لابد من دخول القبر .

واسمع لهذا النداء العلوي من الرب العلى جلَّ وعلا:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣]

وفي الحديث القدسى الجليل الذي رواه مسلم والترمذى من حديث أنس واللفظ للترمذى قال المصطفى ﷺ :

«قال الله تعـالى : «**يا بْن آدمَ إنَّكَ مَا دَعَـوْتَني ورَجَوْتَني غَـفَرْتُ لَكَ عَلَى مـا كانَ منْكَ ولاَ أُبَالي، يا بن آدَمَ لَوْ بَـلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَـاء ثم استَـغْفَـرتَني غَفَرتُ لَكَ عَلَى مَـا كَانَ منْكَ ولاَ أُبَالي، يا بن آدَمَ لَـوْ أَتَيتَني بقُـراب الأَرْضِ خَطَايَا ثمَّ لَقـيْـتَني لاَ تُشْـركَ بي شَـيْئًا لأَتَيْـتُكَ بقُـرَابهَـا مَغْفرة**»[1]

وضع رأسك في الأرض شكرًا لله فإنك من أمة الحبيب رسول الله ﷺ فإن أمة النبي ﷺ أمة مرحومة.

وأختم بهذا الحديث الذي رواه مسلم أنه ﷺ تلا قول الله تعالى في إبـراهيـم ﴿**ربِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثيـراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبعَني فَإِنَّهُ منِّي وَمَنْ عَصَاني فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحيمٌ (٣٦)**﴾ [ابراهيم: ٣٦]

وقرأ قـول الله في عيـسى﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عبَادُكَ وَإِن تَغْفرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكيمُ**﴾ [المائدة: ١١٨]

فبكى المصطفى وقال: «**اللَّهمَّ أُمَّتي أُمَّتي**»!!

يا جبريل اذهب إلى محمد وربك اعلم فسله ما يبكيك؟فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال وهو أعلم فقال الله جلَّ وعلا: ياجـبريل اذهب إلى مـحمـد فقل له إنا سنرضيـك في أمتك ولا نَسُوءُك [2]

---

(١) رواه الترمـذي رقم (٣٥٣٤) في الدعوات باب رقم (١٠٦) وقال :هذا حـديث حسن غريب وذكره الحافظ في «الفتح» وقال رواه ابن حبان في صحيحه

(٢) رواه مسلم رقم (٣٤٦) في الإيمان باب دعاء النبى ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم.

فـأقـبل ولا تخف مـا من يوم يمر عليك إلا وربك ينادى كـمـا في صحيح مسلم من حديث أبي موسى أنه ﷺ قال:

« إنَّ اللَّهَ تَعَـالى يَبْسُطُ يَدَهَ بالليْلِ ليَتُوب مُسيءُ النَّهار ويَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ ليتُوبَ مُسيءُ اللَيْلِ حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها»[1].

أيهَا الشبـاب أيها الأحباب عودوا إلى الله وليـحاسب كل واحد منا نفسه حسابا شديدًا.

فإن محاسبة النفس من أعظم الأدواء التي تنجى صاحبها من الهلاك في الدنيا والآخرة.

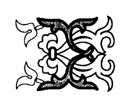
وإن إهمال مـحاسـبة النفس من أعظم الأمراض الـتي تؤدي بهلاك صاحبها في الدنيا والآخرة.

... الدعاء

(١) رواه مسلم رقم (٢٧٥٩) في التوبة باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة .



عبدة الشيطان



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾

[الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد :

فحيَّاكم الله جميعا أيهــا الآباء الفضلاء وأيها الأخوة الأحباب الكرام الأعزاء، وطبتم جميعاً وطاب ممشاكم، وتبوأتم جميعًا من الجنة منزلاً.

وأسال الله العظيم الكريم جل وعلا الذي جـمعنا وإياكم في هذا البيت المبــارك على طاعتــه،أن يجمــعني وإياكم في الآخرة مع ســيد الــدعاة المصطفى ﷺ في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أحبتي في الله :

لا ينبغي للعلماء والدعاة أن يكونوا بموضوعاتهم في وادٍ ،وأن تكون الأمة بجراحها ومشكلاتهــا وأزماتها في وادٍ آخر ،ومن هذا المنطلق فإن لقاءنا اليوم مع حضراتكم بعنوان:

«عبدة الشيطان»

وكعــادتنا فسوف ينتــظم حديثنا مع حضــراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية

أولاً :كلمات حزينة!!

ثانيًا: تاريخ أسود!!

ثالثًا:عقيدة فاسدة وطقوس شيطانية غامضة.

رابعًا:الشياطين تعترف !!

وأخيرًا: الأسباب والعلاج.

فأعيروني القلوب والأسماع ،فإن هذا الموضوع من الأهمية والخطورة بمكان، والله أسأل أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب.

أولا : كلمات حزينة:

مسكين والله هذا الجيل الذي يُنَشَّأ ويُربى في ظل حملة هائلة من المتناقضات والأزمات والمشكلات ،وكأنه يعيش في بحر لجُيّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، إذا أخرج يده لم يكد يراها.

بل إذا امتدت إليه يد حانية مشفقة طاهرة لتنقذه من هذا الغرق المحقق،جذبته أيادٍ أخرى كثيرة بكثرة الأعداء المتربصين بهذا الجيل ممن لا يريدون لهذا الجيل أن يتربى أبدا على منهج الإسلام وعلى سنة النبي محمد ﷺ بعد سنوات طوال عجاف .

وبعد تجربة مريرة طويلة حان وقت الحصاد، فلن تجن الأمة إلا الفشل الذريع في كل مجالات الحياة يوم أن أعرضت الأمة عن الله جلّ وعلا.

وأيقن الآن المنصفون ممن يحترمون أنفسهم ويحترمون عقولهم، الذين كانوا يدافعون بالأمس القريب عن المناهج التربوية الغربية الدخيلة على عقيدتنا وأخلاقنا وديننا.

أيقن المنصفون منهم أنهم قصدوا سرابا وزرعوا حنظلا ،وحصدوا شقاءً،وتعاسةً،وصدق ربي إذ يقول :

﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ** ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤]

إنهم يرون الآن نبتة السوء!!

يرون النبتة التي سقيت طيلة السنوات الماضية بمداد خبيث!!

يرون النبتة التي غذيت طيلة السنوات الماضية بفكر منحرف زائغ ضال ضائع تائه.

تتمثل هذه النبتة في مجموعة من شباب هذه الأمة يعبدون الشيطان

الرجيم !! لا في أوربا ،ولا في أمريكا ،بل في مصر بلد الأزهر ،وإنا لله وإنا إليه راجعون!!

وخرج علينا الإعلام بل وخرج علينا الكثيرون ليقولوا إنهم مساكين!!

إنها شرذمة شاذة خرجت من بين هذه الضغوط التي مورست عليهم في وسط هذا المجتمع!!

يريد الإعلام أن نعتقد أن هذه الجماعة قد خرجت من خلال الصدفة، وأرادوا أن يلبسوا على الأمة ذلك !!

إن جماعة عبدة الشيطان جماعة منظمة لها عقيدة مؤصلة ،ولها طقوس منظمة ،وها هو عنصرنا الثاني بإيجاز لأعرِّج على العناصر كلها إن شاء الله تعالى.

تاريخ أسود:

أيها المسلمون، لا شك أن الشيطان قد عبد في الأرض منذ أول لحظة كفر فيها الإنسان بالرحمن ،وأطاع فيها الشيطان.

إلا أن أقدم وثيقة وجدت لعبادة الشيطان ترجع إلى العام الثاني والعشرين بعد الألف من ميلاد المسيح ـ عليه السلام ـ في مدينة «أورلانس» بفرنسا.

ومن فرنسا خرجت جماعة « فرسان الهيكل» الماسونية مع الحملات الصليبية المبكرة على بلاد المسلمين ،واستطاعت هذه الجماعة أن تنشئ لها كنيسة خاصة لتمارس فيها طقوس عبادة الشيطان لأول مرة في بلاد المسلمين في عام ١١١٨م ،وذلك في مدينة القدس بفلسطين.

ومن القدس الشريف أخذوا في نشر دعوتهم إلى عبادة الشيطان داخل أوربا.

ومع هجرة الأوربيين إلى أمريكا الجديدة نقلوا معهم معتقداتهم الفاسدة ،وأصبحت أمريكا بعد ذلك مرتعًا خصبًا لعبادة الشيطان ،بل وقفزت هذه العبادة قفزات هائلة جدًا على يد هذا الكاهن الأمريكى الخبيث « **أنطون لافى** ».

الذي أنشأ أخطر كنيسة على وجه الأرض تسمى «**كنيسة عبدة الشيطان**» التي يقدر عدد المنتمين إليها بحوالى خمسين ألف عضو من الشباب والفتيات ينتسبون إلى أغنى العائلات !!!

ثم أنشأت الكنيسة فروعًا لها في بعض الولايات الأمريكية،وفي بعض المدن الأوربية ،وفي جنوب أمريكا.

وأخرجت مبشرين لها ودعاة لفكرها في مختلف أنحاء العالم !!

ثم كتب أنطون لافي «**الإنجيل الأسود**» ونشره في عام ١٩٦٩ بأكثر من لغة في عدة طبعات فخمة فاخرة يدعو فيه إلى عبادة وتمجيد الشيطان وكراهية الملك الرحمن!!

وفي عدد أكتوبر من عام ١٩٨٢ أفردت مجلة التايم الأمريكية موضوعاً في خمس وعشرين صفحة تحت عنوان « عودة الشيطان المقدس إلى الولايات المتحدة الأمريكية»

وقالت : إن عبادة الشيطان تتم ضمن أجواء خاصة في احتفالات أسبوعية دورية تبدأ بالرقص العاري مع الموسيقى الصاخبة ،ثم يعلن بعدها البدء في ممارسة الجنس بصورة جماعية مع استمرار الموسيقى الصاخبة والأضواء المتحركة إلى أن يصل الجميع إلى حالة من الهستيريا تُرتكب خلالها بعض الجرائم الشاذة والغامضة!!!

لاحظ أن هذه الصورة قد انتقلت بحذافيرها إلى هؤلاء المجرمين المتمردين في مصر بلد الأزهر!!!

وقد أعلنت الجرائد ذلك، بل وقد صرحت التقارير الأمنية بذلك ونشر ولم يعد هذا خافيًا على أحد، وهذا هو عنصرنا الثالث من عناصر هذا اللقاء:

ثالثًا: عقيدة فاسدة وطقوس شيطانية غامضة:

أيها المسلمون، إن هؤلاء الموتورين يعتقدون أخبث وأقذر عقيدة على وجه الأرض ،إنهم يعبدون الشيطان. ويكفرون بالرحمن الذي حذر من عداوة هذا العدو اللدود.

فقال سبحانه : ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾ [فاطر: ٦]

وبين سبحانه أن الشيطان سيتبرأ من أتباعه فقال تعالى:

﴿ **كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الحشر: ١٦]

وقال تعالى : ﴿ **وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾

[إبراهيم: ٢٢]

هم يعتقدون أن الله تعالى قد ظلم إبليس بإخراجه من الجنة !!!

وهم يعتقدون أنه لابد من اتباع إبليس لأنه هو الذي سيخلص العالم من الشر !!!وما ملأ العالم كله بالشر إلا إبليس !!

عقيدة خبيثة !!! عقيدة فاسدة !!!

في طقوس شيطانية يقدمون العبادة للشيطان !!

التي لا تخرج عن الجنس الفاضح وتعاطي المخدرات. فالهدف الرئيسى هو إشباع الغريزة الجنسية بغض النظر عن الوسيلة !!

فهم يبيحون ممارسة الجنس بين الذكور والذكور، وبين الإناث والإناث، وبين الذكور والإناث، ولا يجدون غضاضة في فعل الفاحشة في جثث الموتى أو الاعتداء على الآباء والأمهات والأبناء!!

وتبدأ حفلاتهم بالرقص على أنغام الموسيقى الصاخبة وسط جو مشبع بالبخور ،ودخان المخدرات، ويقوم أعضاء الجماعة بتمديد إحدى الفتيات على الأرض وهي شبه عارية!!

ثم تبدأ الطقوس الخبيثة بذبح خنزير أو دجاجة على جسد الفتاة ثم يلطخون جسدها بالدماء إيمانا بقبول النذر للشيطان !!

ثم يتناوب عليها أعضاء الجماعة لممارسة الجنس الفاضح!!

ثم يلتفون ويدورون حول نجمة خماسية وضعت الشموع السوداء في أركانها ،ثم يمرون عليهم كوبًا قد مُلِئَ بالدماء، فيرتشفون منه كدليل عملى على ولائهم للشيطان!!

ثم يقومون بهز رءوسهم بشكل رأسي بصورة هستيرية حتى يصابون بحالة دوار يفقدون فيها الوعي!!!

وها هي بعض الاعترافات الخطيرة لبعض قادة هذا التنظيم الشيطانى في مصر ،وهذا هو عنصرنا الرابع:

الشياطين تعترف:

يقول المتهم الأساسي :(وهو شاب في العشرين من عمره في المدرسة الثانوية الإنجليزية بالزمالك) : لقد تلقى المصريون هذه الأفكار من خلال مجموعة من الإسرائليين !!

فالصهاينة لا يملون من تدبير المؤامرات لتدمير الشباب المصري، فملأوا أرض سيناء الطاهرة بالعاهرات اللاتي أفسدن شباب البدو، ومصصن دمه.

وهم الذين نشروا العاهرات اللاتى يحملن فيروس الإيدز في كل مكان !!

وهم القائمون على صناعة سينما الدياثة والدعارة في هوليود ،ومنها إلى كل مكان !! وصدق الله إذ يقول :

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة:١٢٠]

إن اليهود هم الذين بدأوا في نشر أفكار و معتقدات هذا المذهب الخبيث في أوساط الشباب المصري عن طريق استدراجهم من خلال الجنس، وتعاطي المخدرات ،والخمور، ومن خلال الحفلات الموسيقية الصاخبة!!

ثم يقنعون هذا الشباب بعد ذلك بمعتقدات هذه الطائفة التي تركز على تقديس وتمجيد ،وعبادة الشيطان وكراهية الرحيم الرحمن.

ثم يقول: وهناك اتصالات وتبادل معلومات بين أعضاء هذه الطائفة في مصر وإسرائيل.

ويقول طالب آخر وهو في كلية الهندسة: نحن نعبد الشيطان لسببين!!

السبب الأول: لأن الشيطان يبيح المتعة السريعة في الدنيا ،ويبيح كل

ما حرمه الدين!!

والسبب الثاني: هو الخروج عن المألوف، والظهور بمظهر يختلف عن الآخرين للتميز عليهم !!.

يقول: فالفتيات مثلا يستخدمن المانيكير الأسود لطلاء الأظافر !! والرّوج الأسود للشفايف!! ويتعمدن إطالة الأظافر بشكل ظاهر!!

أما الشباب فالمظهر هو الشعر الطويل ،والأظافر الطويلة، ورسم الوشم.

ثم يقول: وقد قمت بتنظيم حفلات قدمت فيها أغاني تمجد الشيطان، وكل شيء في هذه الحفلات مباح لأن أيَّ شيء تحرمه الشريعة نمارسه في حفلاتنا بعد رسم النجمة الخماسية المقدسة على الأرض للرقص حولها !

نبتة سوء . . . وحصاد مر !!

ومأساة مروعة تخلع قلوب الغيورين الصادقين الذين تتقطع قلوبهم حسرات على أحوال هذه الأمة المسكينة التي يتكالب عليها الأعداء من شتى أقطار الأرض حتى لا تقوم لها قائمة ،بالقضاء على شبابها بل على سواعدها التي تبنى وتعمر!!!

السؤال الخطير: فما هي الأسباب التي أدت إلى ظهور هذه النبتة السيئة ؟!!

وهذا هو عنصرنا الخامس من عناصر هذا اللقاء.

خامسا : ما الأسباب ؟ والعلاج ..

السبب الأول: استقالة الأسرة وغياب القدوة.

أيها الآباء . . أيتها الأخوات . . أيها الأخوة :

ماذا تقولون لو قلت لحضراتكم إن والداً قدم استقالة مكتوبة لأسرته من تربية أبنائه ؟!!

ستضحكون بملء أفواهكم وستقولون: إنه أب مجنون .

ماذا تقولون، لو قلت لكم، إن أمًا قد قدمت استقالة مكتوبة أو شفوية لزوجها من تربية الأبناء ؟! ستُتَّهم بالجنون.

وهنا أقول: إنكم لو نظرتم نظرة فاحصة مدققة لواقع مُر أليم تحياه بيوت المسلمين، لرأيتم استقالة لا أقول فردية بل جماعية من كثير من الآباء والأمهات.

استقال الأب عن أغلى وظيفة له!!

واستقالت الأم أيضا من أشرف وظيفة لها وهي التربية!!

الطفل ينزل كصفحة بيضاء ،وأول الخطوط التي تخط على هذه الصفحة تخط في داخل الأسرة وفي داخل البيت

أين الوالد؟!أين الأم ؟! أين الأب الذي استقال منذ زمن؟!

أين الأم التي استقالت منذ زمن؟!

ظن الأب المسكين أن وظيفته أن يكون ممثلاً لوزارة المالية!!

لقد صرح والد أحد هؤلاء المنحرفين وقال: أنا لم أر ولدى منذ سنة!!قلنا ربما كان الوالد مسافراً .

قال: لا لم أكن مسافراً !!

وقالت أم: أنا لم أدخل غرفة ولدى ،ولم أر هذه المناظر إلاَّ الآن!!

أين الأم؟! أين الأب؟!

انشغل الأب بالوظيفة ،بالتجارات والأموال بالسفر ،بالحِلِّ والترحال قد أقول لكم الآن بأنني أعذر كثيرًا من الآباء لأن الظروف الاقتصادية تطحن الناس طحنا،فقد لا يجد الوالد رمقًا من الوقت ليوفر لأولاده الحياة الطيبة الكريمة!!هذا صنف.

لكنني أتكلم عن صنف آخر حتى لو تبقى له رمقاً من الوقت في آخر النهار يرجع ليقتل هذا الرمق قتلا بالمكث أمام الشيطان الذي جسم على صدورنا في البيوت !!

يجلس ليقضي ما تبقى من الوقت أمام فيلم داعر ،أو مسلسل هابط أو برنامج العالم يغني،وهاهم الأولاد رقصوا وغنوا.أين الأب ؟!.

إن جلوس الأب بين أبنائه ولو كان صامتا فيه من عمق التربية ما فيه.فما بالك لو تكلم؟!

لو ذكَّر أبناءه بالجنة والنار،لو حل مشكلة .. لو أجاب على تساؤل.. لو أزاح همًّا .. لو خطط لأبنائه في داخل البيت وخارجه .. ماذا ستكون النتيجة؟

وتزداد الكارثة إذا انضمت إلى استقالة الأب استقالة الأم ،فانشغلت الأم المسكينة بالمسلسلات والمباريات والأفلام والضرب في الأسواق واللهث وراء أحدث الموضات والموديلات .

انشغلت الأم وتركت الأبناء وانشغلت عن الأبناء فانطلقوا وهم يشعرون باليتم التربوى ليقتاتوا من الشوارع ،ومن وسائل الإعلام التي تبث الرذيلة

وَلَيْسَ اليَّتيمُ مَن انْتهَى أَبَوَاهُ وخَلَّفاهُ في همِّ الحياة ذَليلاً
إنَّ اليَتيمَ هُوَ الَّذي تَرَى لهُ أُمًّا تَخَلَّتْ أَوْ أَبًا مَشْغُولاً

ويشعر الأبناء حقًّا باليتم، فأنا أقول لكم إن غالب فساد الأبناء يرجع في المقام الأول إلى إهمال الأمهات والآباء، إلا ما رحم ربك.

فقد يكون الوالدُ صالحاً، وقد تكون الأم صالحة، ويخرج الولد على غيرالطريق، وهذا الاستثناء لاينقض أصل القاعدة .

فها أنذا أتذكر الآن بيتا هو أطهر بيت في زمانه، الوالد الذي يقوم فيه على التربية نبى من أنبياء الله، ومع ذلك خرج ابن هذا النبي كافرا مشركا بالله جل وعلا:

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ ﴾ [هود: ٤٢، ٤٣]

وفي المقابل أرى بيتا هو أخبث بيت على وجه الأرض في زمانه

إنه بيت فرعون يقوم على أمر التربية فيه طاغوت يقول: «**أنا ربكم الأعلى**» . . ومع ذلك خرج من هذا البيت نبى الله موسى عليه السلام الذي قال الله جل وعلا: ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ [طه: ٤١]

لكن غالب فساد الأبناء يرجع إلى إهمال الأمهات والآباء .

أيها الآباء الفضلاء: كما أن للوالدين حقوقا على الأبناء فإن للأبناء حقوقا على الآباء .

وما أروع ما أصَّلَه فاروق الأمة عمر يوم أن جاءه والد يشكو إليه عقوق ولده فقال : آتني به فجاء الشاب فوقف بين يدي عمر.

فقال له : لم تعق والدك؟

فقال الشاب: ما حقي على أبي يا أمير المؤمنين ؟!

قال: حقك عليه أن يحسن اختيار أمك ، وأن يحسن اختيار اسمك، وأن يعلمك القرآن.

فقال الشاب : والله ما فعل أبي شيئا من ذلك يا أمير المؤمنين.

فالتـفت عمـر إلى الوالد وقال: لـقد عقـقت ولدك قبل أن يـعقك ولدك!!

عقوق متبادل !!!

إن إهمال الوالدين للأبناء لم يضر الأبناء فـحسب بل يضر الآباء قبل الأبناء في الدنياوالآخرة قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر أنه ﷺ قال:

« كُلُّكُم رَاعٍ وَمَسئولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، فَالإِمَامُ رَاعٍ،ومَسْئولٌ عَنْ رَعِيَّته، والرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِه ومَسْئولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، والمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ في بَيْت زَوْجِهَا ومَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، والخَادِمُ راعٍ في مَالِ سَيِّدِه ومَسْئولٌ عَنْ رَعِيَّتِه»[١]

فإن غش الراعي الرعية حرم الله عليه الجنة.

ففي الصحيحين من حديث معقل بن يسار أن النبي ﷺ قال:

« مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيه اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يمُوتُ وَهُو غَاشٌ لِرَعِيَّتِه إلاَّ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْه الجَنَّةَ»[٢].

---

(١)رواه البخاري (٧١٣٨) في الأحكام في فاتحته،وكذلك في الجمعة والاستقراض والعتق وفي الوصـايا ،وفي النكاح،ورواه مسـلم رقم (١٨٢٩) في الإمارة باب فـضيلة الإمـام العـادل،والترمـذى رقم (١٧٠٥) فى الجـهـاد ،باب ماجـاء في الإمـام ،وأبو داود رقم (٢٩٢٨) في الإمارة ،باب ما يلزمه الإمام من حق الرعية.

(٢)البـخاري (١٣/١١٢) في الأحكام ،باب من اسـترعى رعـية فلم ينصح،ومـسلم رقم (١٤٢) في الإيمان ،باب استـحقاق الوالي الغاش لرعـيته النار،وفي الإمارة،باب فـضيلة الإمام لعادل ،وأخرجه أيضا أحمد في مسنده (٥ / ٢٥، ٢٧).

فاستـقالة الأسرة وغياب القـدوة أمر خطير!! الولد الذي يرى أباه لا يصلي كيف يتعلم الصلاة ؟!،إلا إذا وفقه المولى جل في علاه.

البنت التي ترى الأم مـتبرجـة مسـتهتـرة لا تخلص لزوجهـا كيف ستتعلم الفضيلة؟

مَشى الطَّاووسُ يومًا باخْتـيَال فَقَلَّدَ مَـشْيَتَـهُ بَنُــــوهُ!!
فـقَالَ عَـلامَ تَخْـتَالُـونَ؟ قَالُوا لَقَـدْ بَدأتَ ونَحْنُ مُـقَلِّدوكَ
يَشبُّ نـاشئُ الفـتْـيَـان منَّا.. عَلَـى مَـا قَـدْ عَـوَّدَهُ أَبُـوهُ

العـلاج: أن تعي الأسرة مسئوليـة التربية، وأن يتقي الله الوالدان، وأن يعلما يقينا أنهما مسئولان بين يدي الرحمن جل وعلا.

أسأل الله أن يستر عليَّ وعليكم في الدنيا والآخرة .

السبب الثانى: المناهج التعليمية الحديثة.

إن المناهج التعلـيمية الحـديثة في مدارسـنا وجامعاتـنا تحسن أن تعلم الجيـل المعارف والمعـاني ،والعلوم ،ولكنها لا تحـسن أن تعلم عيـونهم الدموع ولا قلوبهم الخشوع.

قد يدرس الشاب أربع سنوات لا يجد آية تقربه إلى الله!!!

لا يجد قدوة بين يديه يذكره بالله.

فالعملية التعليـمية تحتاج إلى مراجعة.اختلاط مـدمر!!وأعتقد أنه قد آن الأوان أن يحترم كل منصف نفسه،ولا يقـول بأن الاختلاط سيخفف حدة الكبت الجنسي عند الصنفين والنوعين، فها هي نتيجة الاختلاط!!

نقدم النار فنقربها من بنزين يضطرب ونقول إياك أن تشتعل.

أَلْقَـاهُ في اليَّم مَكْتُـوفًا وقَـالَ إِيَّاكَ.. إِيَّاكَ أنْ تَبْـتَلَّ بالمَـــاء

أمر عجيب: شـاب له غريزته ،له شهوته.شابة أو فتـاة لها غريزتها لهـا شهوتـها ..متـزينة ..متـجملـة.. كأنها مـا خرجت إلا لمسرح

أولسينما، ما خرجت إلى «الحرم» الجامعي كما يقولون !!!

ماذا تنتظرون يا سادة بعد هذا ؟!!

الصحابة وهم أصحاب أطهر القلوب على وجه الأرض بعد الأنبياء أمرهم الله جل وعلا، إذا كلموا أمهات المؤمنين أن يكلموهن من وراء حجاب: ﴿**إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾

[الأحزاب: ٥٣]

إن قلنا أن الإسلام حرم الاختلاط. قالوا: هذا عين التطرف !!

انظروا إلى التاريخ الإسلامي في كتب أبنائنا ؟!

أين سير الصحابة في كتب التعليم ؟!

حذفت من كتب أبنائنا قصة الفدائي الصغير لعلي بن أبي طالب يوم أن فدا النبي ﷺ ليلة الهجرة.

قلت: لعلهم وضعوا الفدائي الكبير أبو بكر أو رسول الله ﷺ، وإذا بهم في مثل هذا الموضع يضعون قصة مخترع السينما. بدلا من علي ابن أبي طالب !!!

والله لا نقول هذا للإثارة أبدا، وإنما أحمل الجميع المسئولية أمام الله فمحال أن يخلوا هذا الجمع الكبير المهيب من مسئول له كلمة تسمع فاتق الله أيها الحبيب وقل قَوْلة حق بأسلوب طيب رقيق رقراق، لعل الله أن ينفع بقلمك، لعل الله أن يرفع بنصيحتك الضرر الكبير عن أبنائنا وبناتنا، وبالجملة عن هذه الأمة المسكينة.

وأكمل الحديث عن الأسباب والعلاج

بعد جلسة الاستراحة، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحـمد لله رب العـالمين، وأشهـد ألا إله إلا الله وحده لا شـريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه، وخليله، أدى الأمانة وبلغ الرسـالة ،ونصح الأمة، فكشف الله به الغُمَّـة ،وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.

فاللهم اجزه عنا خـير ما جزيت نبـيًّا عن أمته، ورسـولا عن دعوته ورسالته وصلِّ اللهم وسلم وزد وبارك عليه ،وعلى آله وأصحابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه ،واستن بسنته واقتفي أثره إلى يوم الدين.

أما بعد فيا أيها الأحبة الكرام:

السبب الثالث: الإعلام.. وما أدراك ما الإعلام ؟!

إن القائمين على الإعلام لا يرقبون في المؤمنين إلاً ولا ذِمَّة، وأستطيع أن أعلن بكل ثقـة واطمئنان أن الناظر إلى الخـريطة الإعلامـية المقـدمة سيخرج بهذه النتيجة الحتمية ألا وهي: أن هذه الخريطة في الجملة تعزف على وتر الجريمة، والعنف والجنس!!

كم عدد الأفلام التي تعرض للفاحشة بأدق التفاصيل؟!

كم عدد الأفلام التي تعرض للعزف على وتر الجريمة؟!

يجلس الطفل المسكين أمام التلفاز أو حتى الشـاب فيرى ممثلا ساقطا هابطا لا يجيد إلا أدوار العنف والقذارة والجريمة، وفي فيلم آخر ومسلسل جديد يرى نفس المجرم يلبس العـباءة ،وقد ركب لحية وأمسك مـسبحة ويتمتم بآيات القرآن وبحديث النبي عليه الصلاة والسلام.

فتختل في قلب أبنائنا وبناتنا الفضيلة، وتستوي الفضيلة مع الرذيلة، ويستوي الحلال مع الحرام، والحق مع الباطل!!

وفي وسط هذا الغثاء «**حديث الروح**» ثم فاصل من الرقص الراقي الذي يسمى بفن البالية، وإن شئت فقل فن البلاء !!!

وأصبح الممثلون والممثلات واللاعبون هم القدوة ويقدمون على أنهم الأبطال فيتمنى الطفل أن يصبح مثل هؤلاء !!.

غياب القدوة أمر خطير، ونعتقد أن جهاز التلفاز من أخطر الوسائل للدعوة إلى الأفكار.

رابعا: الفراغ الديني القاتل، وعدم قيام المساجد بدورها التي ينبغى أن تقوم به.

إن هذا الشباب الذي خرج ليعبد الشيطان ما عرف الرحمن

وغيره من الشباب يعيش الآن في فراغ ديني قاتل، والدين هو الوقاية والعصمة والحصن.

قال تعالى :

﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤]

وأنا أود أن أقول للجميع الآن قارنوا مقارنة سريعة بين هذا الشباب الطاهر الطائع الذي بين يدي، وبين هذا الشباب التائه الضائع..

إنه الدين... إنه الدين

شاب يُبْتَلَى ويُفتن ومع ذلك يقبض على دينه كأنما يقبض على الجمر، إن ذل بمعصية يبكي ويعتصر قلبه

والله لقد وقفت على دراسة كاد قلبي أن ينخلع.

أجريت الدراسة في جامعة القاهرة على عينة عشوائية من الطلاب تتكون هذه العينة من سبعمائة طالب وطالبة فكانت النتيجة مروعة

ستة وثلاثون وأربعة من عشرة في المائة(٣٦,٤/)من نتيجة العينة شربوا المخدرات وخمسين في المائة (٥٠/) من نتيجة العينة شَمُّوا الهيروين.

الشباب يتجهون إلى المخدرات لأنهم يعانون من فراغ ديني قاتل.

والعلاج : هو المسجد

المساجد هي الحصن التربوي الطاهر الذي يحمى أبناءنا بإذن الله من الانحراف.. لما أقفلت المساجد في وجوه الشباب، انطلق الشباب ليبحثوا عن العلم في الظلام فأتى العلم مظلمًا!!

ولما حيل بين الشباب وبين العلماء والدعاة، انطلق الشباب ليبحثوا عن العلم في بطون الكتب، فجاء العلم في بعض الأحيان منحرفاً من خلال الفهم الخاطئ، فمن كان شيخه كتابه غلب خطؤه صوابه.

فَلِم تخشوا من المساجد؟!

افتحوا المساجد للعلماء وللدعاة وللشباب ليتربى أبناؤنا وبناتنا، بل وآباؤنا وأمهاتنا في الأحضان التربوية الطاهرة، وقد آن الأوان أن تُرْفَع من كل وسائل الإعلام كل صور الامتهان للعلماء والشيوخ والدعاة.

لازلنا إلى الساعة نمر على أبنائنا في المدارس فيقولون: إرهابي!! متطرف!! إفراز للإعلام .

قدمت له هذه الصورة ،صورة اللحية صورة سنة الحبيب محمد ﷺ

على أنهـا الإرهاب ،ولم يفـرق الإعـلام بين الإرهـاب وبين الدين فينبغي أن تُرَدّ كرامة التدين وكرامة أهل الدين.

أسأل الله العظيم أن يقر أعيننا وإياكم بنصرة الإسلام وعز الموحدين . . . الدعاء



فهرست الموضوعات